

اعداد مكتبة الروضة الحيدرية المكتبة الرقمية

الرسالة الأولى
الجزء الأول

الوعظ الديني في العصر العباسي الاول (دراسة تاريخية)

(١٣٢-٢٤٧ هـ / ٧٤٩-٨٦١ م)

رسالة تقدمت بها
خولة محمود محمد علي الحميداني

الى
مجلس كلية الآداب في جامعة الموصل
وهي
جزء من متطلبات درجة الماجستير في
التاريخ الاسلامي

باشراف
الدكتور موفق سالم نوري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء
لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ

صدق الله العظيم
(سورة يونس الآية ٥٧)

﴿إقرار المشرف﴾

أشهد بان إعداد هذه الرسالة جرى تحت إشرافي في جامعة الموصل وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي .

التوقيع :

اسم المشرف : أ.م.د. موفق سالم نوري

التاريخ : / / ٢٠٠٥ م

﴿إقرار المقوم اللغوي﴾

أشهد بان هذه الرسالة الموسومة (الوعظ الديني في العصر العباسي الاول - دراسة تاريخية) تمت مراجعتها من الناحية اللغوية وتصحيح ماورد فيها من أخطاء لغوية وتعبيرية وبذلك أصبحت الرسالة مؤهلة للمناقشة بقدر تعلق الأمر بسلامة الاسلوب وصحة التعبير .

التوقيع :

الاسم : د. عبدالله حسن

التاريخ : / / ٢٠٠٥ م

﴿إقرار رئيس لجنة الدراسات العليا﴾

بناءً على التوصيات التي تقدم بها المشرف والمقوم اللغوي أرشح هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع :

الاسم : أ.د. هاشم يحيى الملاح

رئيس لجنة الدراسات العليا

التاريخ : / / ٢٠٠٥ م

﴿إقرار رئيس القسم العلمي﴾

بناءً على التوصيات المقدمة من قبل المشرف والمقوم اللغوي ورئيس لجنة الدراسات العليا أرشح هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع :

الاسم : أ.م.د. عصمت برهان الدين عبدالقادر

التاريخ : / / ٢٠٠٥ م

إقرار لجنة المناقشة

نشهد بأننا أعضاء لجنة التقويم والمناقشة أطلعنا على هذه الرسالة الموسومة (الوعظ الديني في العصر العباسي الاول - دراسة تاريخية) التي قدمتها طالبة الماجستير خولة محمود محمد علي وناقشنا الطالبة في محتوياتها وفيما له علاقة بها ونعتقد انها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي .

التوقيع

أ.د بهجت كامل عبداللطيف
رئيس لجنة المناقشة

التوقيع

أ. د خليل ابراهيم جاسم
عضواً

التوقيع

م. د عبدالله حسين ولي
عضواً

التوقيع

أ. م. د. موفق سالم نوري
عضواً ومشرفاً

قرار مجلس الكلية

اجتمع مجلس كلية الآداب بجلسته () المنعقدة في / / ٢٠٠٥م

وقرر التوصية بمنحها شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي .

التوقيع

مقرر الكلية

د. زهير علي النحاس

التوقيع

عميد الكلية

أ.م.د محمد باسل قاسم

شكر وثناء

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ...
وأنا أتم رسالتي هذه لا يفوتني إلا أن أتقدم بوافر الشكر والعرفان
الى استاذي الفاضل الدكتور موفق سالم نوري المشرف على اعداد هذه
الرسالة لما بذله من جهود قيمة ومخلصة وآراء سديدة أغنت الرسالة
وأخرجتها بهذا الشكل ، كما أتقدم بالشكر الى أساتذتي الذين ساهموا في
تدريسي في السنة التحضيرية ، والى الدكتور عبدالله حسن المقوم اللغوي
للرسالة والدكتور احمد ابراهيم في كلية الآداب وأوجه شكري الى موظفي
وموظفات مكتبة كلية الآداب ومكتبة الدراسات العليا والمكتبة
المركزية وكل الذين أعانوني في اعداد هذه الرسالة .
ولا يفوتني التوجه بالشكر الجزيل الى زوجي الدكتور احمد اسماعيل
عبدالله لدعمه المتواصل ووقوفه جانبي اثناء دراستي ، والى بناتي إيناس
وحنان وايمان ومنار لتحملهنّ معي أعباء الدراسة والبحث ومن الله التوفيق .

المختصرات

م : ميلادي

هـ : هجري

ت : توفي

د / ت : دون تاريخ

م . م : مجهول المكان

ت ؟ : مجهول الوفاة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
استمارة مستخلصات أطاريح الدراسات العليا للجامعات العراقية

		رقم الاستمارة		٢٢٢	
الجامعة		الكلية		القسم	
الموصل		الاداب		التاريخ	
عنوان الرسالة		تاريخ تسجيل الرسالة		طبيعة البحث	
الوعظ الديني في العصر العباسي الاول (١٣٢-٢٤٧هـ / ٧٤٩-٨٦١م) (دراسة تاريخية)		٢٠٠٣/٩/١٣		أكاديمي	
الجهة المستفيدة		الجهة المستفيدة		الجهة المستفيدة	
للتطبيق فقط		للتطبيق فقط		للتطبيق فقط	
أسم الطالب	العمر	الجنس	جهة الانتساب	تاريخ القبول	قناة القبول
خولة محمود محمد علي	٤٥	انثى	متوسطة الحدياء للبنات	٢٠٠٢/١٢/٢٣	مباشر
أسم المشرف	الدرجة العلمية	العمر	الجنس	جهة الانتساب	
د.موفق سالم نوري	أستاذ مساعد	٤٧	ذكر	كلية الاداب /جامعة الموصل	
الجهة المانحة للشهادة: جامعة الموصل-العراق					
تاريخ الحصول على الشهادة: ١٩٩٧					
تاريخ آخر ترقية علمية: ٢٠٠٠/٩/٣					
تاريخ صدور الأمر الجامعي	الشهادة	الاختصاص العام		الاختصاص الدقيق	
ماجستير	التاريخ	التاريخ		التاريخ الاسلامي	
الكلمات المفتاحية: الوعظ الديني ، العصر العباسي الاول					

الملخص بلغة الرسالة

قال تعالى في محكم كتابه العزيز : (اَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالنُّوعِ ظِلِّ الصَّيْنَةِ)^(١) وقوله : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْغِي يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)^(٢) وقوله : (وَلَئِنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)^(٣) .

وقال ﷺ : (من رأى منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)^(٤) .

لقد كان للوعظ الديني أهمية بالغة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتراث الاسلامي ، من هنا جاءت أهمية الوعظ الديني في العصر العباسي الاول . ومن اجل اعطاء صورة واضحة عن أهمية هذا الوعظ وجد ان نجلي من خلال نصوصه الكثيرة ملامح مشروع اصلاحي استهدف تقويم مسيرة الامة وواقعها في الجوانب السياسية والاقتصادية والادارية والاجتماعية وحتى الدينية وحل مشكلات البلاد في ضوء ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسير الصحابة والتابعين .

ان مما اثار الاهتمام بهذا الموضوع ذلك التصور الذي تكوّن حول الوعظ بوصفه موقفاً سلبياً يعتمد مجرد الترغيب والترهيب فاذن بهذا الوعظ يعبر عن مشروع حقيقي لإصلاح حال الامة وتصويب مسيرتها بالاستناد الى معايير شرعية صحيحة .

ولما للمواعظ من تأثير في النفوس فقد وصفها محمد بن تمام بقوله : (الموعظة جند من جنود الله تعالى ومثلها مثل الطين يضرب به على الحائط ان استمسك نفع وان وقع أثر) .

ومما تنبغي الإشارة اليه ان الوعظ ليس فقط بالقول وانما بالفعل والسلوك والخوف اولاً من الله سبحانه وتعالى وقد قيل انه من كان في نفسه واعظاً له من الله حافظ .

وقد تضمنت الرسالة تمهيداً وستة فصول ، ففي التمهيد ذكر معنى الوعظ في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وكذلك معناه في اللغة والاصطلاح .

تناول الفصل الاول بدايات ظهور الوعظ في عصر الرسول ﷺ واشهر من ابتدأ الوعظ ومنها مواعظ الرسول ﷺ والصحابة والتابعين واستمر هذا النهج في العصر الراشدي والاموي ، ودور الوعاظ في هذين العصرين ومحاولة الرجوع الى عصر الرسالة وحث الناس على الاقتداء بما جاء فيه الرسول ﷺ خاصة وانهم اقرب اليه في الفترة الزمنية .

وفي الفصل الثاني تمت معالجة الاوضاع العامة في الدولة العباسية ، في عصرها الاول بما فيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية بما كشف عن المسوغات التي اوجبت ظهور هذا النشاط الفكري ، حيث بدأت الحياة تفقد في كثير من جوانبها بعض معاييرها الشرعية الامر الذي اوجب التنبيه على ذلك .

وتناول الفصل الثالث انماط وعظ الخاصة ، أي الخلفاء وما يحيط بهم والانماط التي اتخذتها المواعظ فجاء بعضها مباشراً ، وحتى العامة كان لهم دور في وعظ الخلفاء وكذلك اتخذ الوعظ نمط الشعر والقصص وكانت المواعظ تأتي على نمط ابیات شعرية ، وجاءت المواعظ على نمط رسائل موجهة من العلماء الى الخلفاء تضمنت في ثناياها تنبيه وتحذير الخلفاء من مغبة اعمالهم ونصحهم بالرجوع الى كتاب الله وسنة نبيه فهي الطريق الصحيح للوصول الى رضا الله وطاعته ، فقد كان العلماء بحق مرآة تعكس للخلفاء مساوئهم وتدعوهم الى التوبة وطلب المغفرة قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلاق .

ثم عالج الفصل الرابع انماط وعظ العامة ، فجرى معظمها في مجالس القصاص والتي غالباً ما انعقدت في المساجد وقليل منها كانت تتم في الاسواق وقد اتخذت شكل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاقوات التي كان يظهر فيها الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر من اجل اصلاح الناس وتهذيب سلوكهم .

أما الفصل الخامس فقد تناول مضامين الوعظ التي شملت اذكاء فاعلية الضمير (الوازع الديني) بما في ذلك التذكير بالموت والخوف من الله وبطشه وجبروته والتذكير بيوم القيامة وكل ما من شأنه محاولة اصلاح البلاد والعباد ارضاء لله تعالى والخوف من لقائه .

واخيراً عالج الفصل السادس مشروع اصلاح الامة في كافة جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بما في ذلك اصلاح الخليفة وتذكيره دائماً بأنه محاسب امام الله على كل صغيرة وكبيرة فمسؤوليته ثقيلة امام الله وعليه اداؤها بشكل صحيح وسليم ، وتذكيره دائماً بسياسة السلف الصالح بما فيهم الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعون (ضوان الله عليهم جميعاً) الذين ساروا على كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ ، فالوعاظ كان هدفهم من الموعظة اصلاح الخليفة لاصلاح اوضاع الامة واصلاح الناس وتهذيب سلوكهم حسب ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية والخضوع لاوامر الله ونواهيه لاستقامة البلاد والعباد .

د.شامل فخري العلاف

م.العميد للشؤون العلمية و الدراسات العليا

ثبت المحتويات

الصفحة من - الى	التفاصيل
٧-٤	المقدمة
١٨-٨	التمهيد : في معنى الوعظ
١٠-٨	- الوعظ لغة واصطلاحاً
١١-١٠	- الوعظ في القرآن الكريم
١٣-١١	١- مواعظ تتعلق بالمتقين
١٥-١٣	٢- وعظ عامة الناس بما فيهم العاصين والمذنبين
١٥	- الوعظ في السنة النبوية
١٨-١٦	- صفات الواعظ ومميزاته
٣٧-١٩	الفصل الاول : الوعظ في عصر صدر الاسلام
٢٣-١٩	اولاً : الوعظ في عصر الرسالة
٢٩-٢٣	ثانياً : الوعظ في العصر الراشدي
٢٥-٢٣	١- المواعظ الموجهة للخلفاء والامراء
٢٨-٢٦	٢- مجالس القصاص
٣١-٢٨	٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٣٧-٣٢	ثالثاً : الوعظ في العصر الاموي
٧١-٣٨	الفصل الثاني : الإوزاع العامة في العصر العباسي الاول
	(موجبات الوعظ)
٥٠-٣٨	اولاً : الوضع السياسي
٦٠-٥٠	ثانياً : الوضع الاجتماعي
٦٤-٦٠	ثالثاً : الوضع الثقافي والفكري
٧١-٦٤	رابعاً : الوضع الاقتصادي

الصفحة من - الى	التفاصيل
١٠٨-٧٢	الفصل الثالث : (انماط وعظ الخاطبة)
٩٧-٧٢	اولاً : الوعظ المباشر
٧٨-٧٢	١ - وعظ الخلفاء بطلب منهم
٨٦-٧٨	٢ - الوعظ بمبادرة من الوعاظ
٨٨-٨٦	٣ - وعظ العامة للخلفاء
٩١-٨٩	٤ - وعظ الخلفاء لأبنائهم وذويهم
٩٧-٩١	٥ - الوعظ المتعلق برجال الدولة
١٠٢-٩٧	ثانياً : الرسائل
١٠٨-١٠٢	ثالثاً : الوعظ شعراً وقصصاً
١٣٦-١٠٩	الفصل الرابع : أنماط وعظ العامة
١٠٩	اولاً مجالس القص والوعظ
١١٦-١٠٩	١ - مجالس القصاص
١٢٣-١١٦	٢ - أشهر القصاص والوعاظ في العصر العباسي الاول
١٣٦-١٢٣	ثانياً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
١٥٦-١٣٧	الفصل الخامس : الوعظ الديني ومشروع الإصلاح
	(١) : اذكاء فاعلية الزمير
١٤٨-١٣٧	اولاً : البعد الديني
١٣٩-١٣٨	١ - التأكيد على ان الدنيا فانية وان الآخرة خالدة :
١٤٣-١٣٩	٢ - التذكير بمواقف يوم القيامة ومشاهدها :
١٤٥-١٤٣	٣ - التخويف من غضب الله وجبروته وعقابه :
١٤٦-١٤٥	٤ - الجرأة والصراحة في قول الحق :
١٤٨-١٤٦	٥ - التذكير بالموت :
١٥٦-١٤٨	ثانياً : البعد الفكري
١٥١-١٤٨	١ - الحث على التعلم :
١٥٢-١٥١	٢ - تعزيز مبدأ احترام العلماء وتكريمهم ومجالستهم :

ثبت المحتويات

الصفحة من - الى	التفاصيل
١٥٤-١٥٢	٣- التحذير من اخطار الافكار الهدامة أشباه الشعبوية والزندقة :
١٥٦-١٥٥	٤- نقد العلماء لبعضهم عند ظهور الخلل
١٨٨-١٥٧	الفصل السادس : الوعظ الديني ومشروع الإصلاح
	(٢) : اصلاح بنية الدولة والمجتمع
١٧٨-١٥٧	أولاً : البعد السياسي
١٧٣-١٥٧	١- اصلاح مؤسسة الخلافة
١٦٢-١٥٨	أ- الدعوة الى نبذ الظلم والبغي
١٦٥-١٦٢	ب- حث الخلفاء على ضرورة ادراكهم لحجم المسؤوليات الملقاة على عاتقهم
١٦٩-١٦٦	ج- دعوة الخلفاء الى عدم الاحتجاب عن الرعية
١٧٣-١٧٠	د- دعوة الخلفاء بضرورة التزام المنهج الشرعي في سياسة الدولة
١٧٦-١٧٣	٢- اصلاح جهاز الدولة الاداري
١٧٥-١٧٣	أ- اختيار الموظفين الأكفاء والأمناء
١٧٦-١٧٥	ب- دعوة الخلفاء الى متابعة عمل موظفيهم ومراقبة عملهم
١٧٨-١٧٦	٣- اصلاح الجهاز المالي للدولة
١٨٥-١٧٨	ثانياً : البعد الاقتصادي
١٨٠-١٧٨	١- قيام الخلفاء بمتابعة الموظفين الماليين والاشراف على عملهم من اجل سيادة العدل والانصاف
١٨٢-١٨٠	٢- انفاق الاموال بوجهها الشرعي وعدم تبذيرها
١٨٣-١٨٢	٣- الحث على مراعاة احوال الناس المعاشية والاقتصادية
١٨٥-١٨٣	٤- حث الخلفاء والاعنياء من الناس على التصديق والانفاق
١٨٨-١٨٥	ثالثاً : البعد الاجتماعي
١٨٧-١٨٥	١- نقد التحلل الخلقي ومهاجمته
١٨٨-١٨٧	٢- نقد مظاهر البذخ والاسراف ودعوتهم للالتزام بالمنهج الشرعي في السلوك والتعامل
١٨٩	الخاتمة
٢١٣-١٩٠	قائمة المصادر والمراجع
A - B	ملخص باللغة الإنكليزية

المقدمة

قال تعالى في محكم كتابه العزيز : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالنُّعْظَةِ الْحَسَنَةِ)^(١) وقوله : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)^(٢) وقوله : (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)^(٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)^(٤) .

لقد كان للوعظ الديني أهمية بالغة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتراث الاسلامي ، من هنا جاءت أهمية الوعظ الديني في العصر العباسي الاول . ومن اجل اعطاء صورة واضحة عن أهمية هذا الوعظ وجد ان نجلي من خلال نصوصه الكثيرة ملامح مشروع اصلاحي استهدف تقويم مسيرة الامة وواقعها في الجوانب السياسية والاقتصادية والادارية والاجتماعية وحتى الدينية وحل مشكلات البلاد في ضوء ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسير الصحابة والتابعين .

ان مما اثار الاهتمام بهذا الموضوع ذلك التصور الذي تكوّن حول الوعظ بوصفه موقفاً سلبياً يعتمد مجرد الترغيب والترهيب فاذن بهذا الوعظ يعبر عن مشروع حقيقي لإصلاح حال الامة وتصويب مسيرتها بالاستناد الى معايير شرعية صحيحة .

ولما للمواعظ من تأثير في النفوس فقد وصفها محمد بن تمام بقوله : (الموعظة جند من جنود الله تعالى ومثلها مثل الطين يضرب به على الحائط ان استمسك نفع وان وقع أثر) . ومما تنبغي الإشارة اليه ان الوعظ ليس فقط بالقول وانما بالفعل والسلوك والخوف اولاً من الله سبحانه وتعالى وقد قيل انه من كان في نفسه واعظاً له من الله حافظ . وقد تضمنت الرسالة تمهيداً وستة فصول ، ففي التمهيد ذكر معنى الوعظ في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وكذلك معناه في اللغة والاصطلاح .

تناول الفصل الاول بدايات ظهور الوعظ في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم واشهر من ابتداء الوعظ ومنها مواظ الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين واستمر هذا النهج في العصر الراشدي والاموي ،

(١) سورة النحل ، الآية ١٢٥ .

(٢) سورة النحل ، الآية ٩٠ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٠٤ .

(٤) مسلم ، صحيح ، كتاب الإيمان ، باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، رقم الحديث ٤٩ ، ٦٩/١ .

ودور الوعاظ في هذين العصرين ومحاولة الرجوع الى عصر الرسالة وحث الناس على الاقتداء بما جاء فيه الرسول ﷺ خاصة وانهم اقرب اليه في الفترة الزمنية .

وفي الفصل الثاني تمت معالجة الاوضاع العامة في الدولة العباسية ، في عصرها الاول بما فيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية بما كشف عن المسوغات التي اوجبت ظهور هذا النشاط الفكري ، حيث بدأت الحياة تفقد في كثير من جوانبها بعض معاييرها الشرعية الامر الذي اوجب التنبيه على ذلك.

وتناول الفصل الثالث انماط وعظ الخاصة ، أي الخلفاء وما يحيط بهم والانماط التي اتخذتها المواعظ فجاء بعضها مباشراً ، وحتى العامة كان لهم دور في وعظ الخلفاء وكذلك اتخذ الوعظ نمط الشعر والقصص وكانت المواعظ تأتي على نمط ابیات شعرية ، وجاءت المواعظ على نمط رسائل موجهة من العلماء الى الخلفاء تضمنت في ثناياها تنبيه وتحذير الخلفاء من مغبة اعمالهم ونصحهم بالرجوع الى كتاب الله وسنة نبيه فهي الطريق الصحيح للوصول الى رضا الله وطاعته ، فقد كان العلماء بحق مرآة تعكس للخلفاء مساوئهم وتدعوهم الى التوبة وطلب المغفرة قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلاق .

ثم عالج الفصل الرابع انماط وعظ العامة ، فجرى معظمها في مجالس القصاص والتي غالباً ما انعقدت في المساجد وقليل منها كانت تتم في الاسواق وقد اتخذت شكل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاوقات التي كان يظهر فيها الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر من اجل اصلاح الناس وتهذيب سلوكهم .

أما الفصل الخامس فقد تناول مضامين الوعظ التي شملت اذكاء فاعلية الضمير (الواعظ الديني) بما في ذلك التذكير بالموت والخوف من الله وبطشه وجبروته والتذكير بيوم القيامة وكل ما من شأنه محاولة اصلاح البلاد والعباد ارضاء لله تعالى والخوف من لقائه .

واخيراً عالج الفصل السادس مشروع اصلاح الامة في كافة جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بما في ذلك اصلاح الخليفة وتذكيره دائماً بأنه محاسب امام الله على كل صغيرة وكبيرة فمسؤوليته ثقيلة امام الله وعليه اداؤها بشكل صحيح وسليم ، وتذكيره دائماً بسياسة السلف الصالح بما فيهم الخلفاء الراشدين والصحابه والتابعون (رضوان الله عليهم جميعاً) الذين ساروا على كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ ، فالوعاظ كان هدفهم من الموعظة اصلاح الخليفة لاصلاح اوضاع الامة واصلاح الناس وتهذيب سلوكهم حسب ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية والخضوع لاوامر الله ونواهيه لاستقامة البلاد والعباد .

اما المصادر فقد اعتمد البحث على مصادر كثيرة ومتنوعة ، يعد كتاب ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) (القصاص والمذكرين) خير من تناول موضوع الوعاظ ومواعظهم واول من قص في

عصر الرسول ﷺ وصفات الوعاظ واهدافهم وكتابه (المصباح المضيء) بجزأيه تناول فيه وبشكل مفصل المواعظ واشهر الوعاظ منذ عصر الرسالة والى العصر العباسي وما آلت اليه مهمة الوعاظ واهدافهم في عصره وكذلك كتابه (الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء) اذ يتناول تأثير المواعظ على الخلفاء وضرورة وعظهم لانهم اولي الامر وضرورة تقديم المشورة لهم ، وذكر عدد كبير من الخلفاء وسماعهم للوعاظ ورد فعلهم على مواعظ العلماء .

ويأتي بعد ذلك الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ) في كتابه (سراج الملوك) حيث ذكر لنا بشكل تفصيلي مواقف العلماء من الخلفاء ووعظهم في مناسبات عدة وفي اماكن مختلفة فجاءت مادته إثراء مهماً لبحثنا المتواضع هذا .

اما الامام الغزالي (ت ٥٠٥هـ) فذكر في كتابه (مقامات العلماء بين يدي الخلفاء) مواقف العلماء الجريئة امام الخلفاء ونصحهم ووعظهم حتى لو اودى هذا بحياتهم وبرزت لنا هذه المواقف الهامة في حياة العلماء ورد فعل الخلفاء عليها .

اما الكتب الفقهية فقد تناولت جانباً كبيراً من هذه المواعظ اذ يعد (كتاب الخراج) للامام ابو يوسف (ت ١٨٢هـ) خير دليل على وعظهم ، الذي وضع فيه الامام ابو يوسف للخليفة هارون الرشيد احكام ضريبة الخراج والضرائب الاخرى والطرائق الصحيحة لحياتها .

اما الماوردي (ت ٤٥٠هـ) في كتابه (نصيحة الملوك) فقد قدم لنا صورة واضحة للمواعظ التي خوطب بها الخلفاء في مختلف الجوانب والمناسبات .

ولا ننسى الكتب التاريخية فقد زودتنا بعض الاشارات عن نصح العلماء ومشاورتهم في بعض المواقف السياسية والاجتماعية فالطبري (ت ٣١٠هـ) في كتابه (تاريخ الرسل والملوك) تناول هذا الجانب ، وابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) في كتابه (الامامة والسياسة وعيون الاخبار) اورد منها بعض الاشارات ، وابن الاثير (ت ٦٣٠هـ) في كتابه (الكامل في التاريخ) .

اما الكتب الادبية فقد زودتنا باشعار العلماء ومواقفهم ووعظهم للخلفاء وغيرهم وابرزها كتاب الاغانى لابي الفرج الاصفهاني (ت ٣٥٦هـ) ، ومعجم الادباء لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) ، وديوان أبي العتاهية (ت ٢١١هـ) وديوان بشار بن برد ، وديوان أبي نؤاس وغيرها .

أما المراجع الحديثة فكثيرة ونستطيع القول ان كتب الحضارة العربية الاسلامية بمجملها قد تناولت هذا الجانب والاسباب السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي اسهمت في بروز هذا النوع من الوعظ واسلوب الوعاظ وابداعاتهم فيها .

واهم هذه المراجع : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري لادم متر ، ودراسات في الحضارة العربية الاسلامية لسعيد عبدالفتاح عاشور وآخرين ، وتاريخ الحضارة الاسلامية للكروي

، والمجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ لمحمد عويس ، والحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين لمليحة رحمة الله وغيرها كثير .

اضف الى ذلك فقد اعتمد البحث على عدد من الاطاريح الجامعية والدوريات والمراجع الاجنبية التي اثرت البحث بالمعلومات .

في الختام أتمنى ان اكون قد وفقت في ابراز ملامح جديدة تعيد تشكيل الرؤية التكوينية حول هذا الموضوع تمهيداً لدراسات لاحقة تعمق رؤية ايجابية جديدة تجاه موضوع الوعظ هذا ، ومن الله وحده التوفيق .

الباحثة

التمهيد في معنى الوعظ

- الوعظ لغة واصطلاحاً :

الوعظ لغة : الوعظ والعظة والعظة والموعظة : تعني النصح والتذكير بالعواقب للانسان إما الى الجنة او الى النار وهي تذكيرك للانسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب فيفعل الانسان الخير ويبتعد عن الشر ويخضع قلبه وجوارحه لاوامر الله تعالى^(١) وجاء في قوله تعالى : (فمن جاءه موعظة من ربه)^(٢) أي من جاءه نصح من الله سبحانه وتعالى نهاه فيها عن الدخول فيما حرمه الله وان يعرف ذلك ويتبصر بما اعطاه الله من العقل^(٣) ، وفي الحديث لاجعلنك عظة لغيرك أي عظة وعبرة يتعظ بها الاخرين^(٤) .

اما التذكير فيعني : تذكيرك الناس بنعم الله عز وجل وحثهم على شكره والالتزام بأوامره وعدم ارتكاب المعاصي^(٥) وصار كثير من الناس يطلقون على الواعظ اسم القاص وعلى القاص اسم المذكر^(٦) .

والذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وتعالى بل هو العمدة في هذا الطريق ولا يصل احد الى الله الا بدوام الذكر^(٧) .

أما الوعظ اصطلاحاً : فيقصد به نصح الناس واصلاحهم وتهذيب سلوكهم في ضوء ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والخضوع لاوامر الله ونواهيه قولاً وفعلاً والابتعاد عن المعاصي المسخطة لله سبحانه وتعالى والتعرض لعقابه ومجاهدة النفس في ذلك ورد العاصين بالكلام والقوة والنصيحة للناس في تدبر ما جاء في القرآن من خلال قراءته وتفسيره وتفهم ما فيه من ثواب وعقاب^(٨) .

(١) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ، لسان العرب (بيروت : ١٩٥٦) ٤٦٦/٧ .

(٢) سورة البقرة ، الاية ٢٧٥ .

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ٤٦٦/٧ .

(٤) نفسه .

(٥) عبدالرحمن بن علي بن محمد بن جعفر بن الجوزي ، القصاص والمذكرين ، تحقيق : مارلين سوارتر (بيروت : ١٩٨٦) ١١ ، شهاب الدين احمد بن محمد بن ابي الربيع ، سلوك المالك في تدبير الممالك ، تحقيق : الدكتور ناجي التكريتي (بغداد : ١٩٨٧) ١٠ .

(٦) ابن الجوزي ، القصاص والمذكرين ، ١١ .

(٧) اب القاسم عبدالكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري النيسابوري ، الرسالة القشيرية ، تحقيق : الدكتور عبدالحليم محمود (القاهرة : ١٩٦٦) ٤٦٥/٢ .

(٨) ابو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي ، سراج الملوك (القاهرة : ١٩٣٥) ١٤٩ .

وجاء في قوله تعالى (هَذَابْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)^(١) .
والنصيحة للرسول ﷺ في مؤازرته ونصرته والحماية من دونه حياً أو ميتاً واحياء سنته وطريقته في بث الدعوة وتأليف الكلمة والتخلق بالاخلاق الحميدة^(٢) .
وللائمة والخلفاء والامراء في معاونتهم ونصحهم على ما تكلفوا القيام به في تنبيههم ووعظهم من الغفلة وارشادهم عن الهفوة والذل وتعليمهم ما جهلوا به وتحذيرهم من بطانة السوء وضرورة اختيار صحبة الاخيار واعلامهم عن سيرة الامراء والقواد وأهل النفوذ وطريقتهم الحسنة مع الرعية ونصحهم على جميع المسلمين ووحدتهم^(٣) .
والنصح لعامة المسلمين من خلال الشفقة عليهم في احترام الكبير والعطف على الصغير ومعاونتهم فيما يسعدهم والابتعاد عما يثقل عليهم ويحزنهم^(٤) ، وذلك بارشادهم الى المنهج الشرعي الصحيح وبيانه لهم ليكونوا على بينة من أمرهم تحقيقاً لمعاني الدعوة الى الله أولاً والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثانياً ربما يقوم أي انحراف في حياة الامة .
وجاء في معنى النصح ارادة الخير للذي ينصح ويقال نصحت العسل أي خلصته من الشمع فمعنى نصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد به في وحدانيته واخلاص النية في عبادته^(٥) .

روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

(ان الدين النصيحة ، ان الدين النصيحة ، ان الدين النصيحة ، قيل لمن يا رسول الله قال : لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم)^(٦) .

يتضح لنا من هنا ان الوعظ الديني لا يقتصر على عملية الترغيب والترهيب والتخويف فحسب بل ان الدلالة الرئيسية للوعظ تنصب على معنى النصح وقد تبين ان النصح يتصرف نحو ارشاد المعنيين نحو المنهج الشرعي السليم في بناء الحياة واقامتها من خلال التأكيد على الالتزام بما هو شرعي ونبذ ما ليس شرعياً فهو بذلك أحد آليات تحقيق الإصلاح والتقويم في المجتمع الاسلامي التي تتضمن الجوانب الاتية : الدعوة الى الله وبيان المنهج الشرعي للحياة او

(١) سورة ص ، الاية ٢٩ .

(٢) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ١٤٩ .

(٣) نفسه .

(٤) نفسه .

(٥) ابن الجوزي ، المصباح المضيء في خلافة المستضيئ ، تحقيق : ناجية عبدالله ابراهيم (بغداد : ١٩٧٦)
١٨٢/١ .

(٦) ابو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الايمان ، باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة ، رقم الحديث ٤٢ (دمشق : ٢٠٠٢) ٢٥ ، ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب ان الدين النصيحة ، رقم الحديث ٥٥ ، ٧٤/١ .

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم الترغيب والترهيب من الله تعالى . وبموجب هذه الابعاد في الوعظ يتم الحد من حالة التروي والابتعاد عن الحياة الشرعية التي بدونها يقود الامر الى مزيد من التناقص في السوء مما قد يتسبب في الوقوع في العنف والفتنة وما الى ذلك .

الوعظ في القرآن الكريم :

يعطي القرآن الكريم قارئه تصوراً شاملاً للوعظ نجد فيه شبيهاً بما هو مستقر في ذهن من النماذج الواقعية وفيه نجد الموعظة للنساء والمنافقين والكافرين وان الوعظ سبيل من سبل ابراء الامانة تجاه الخالق فهو نوع من القيام بالخلافة الالهية في الارض بل نجد ان القرآن نفسه موعظة من الله وذلك بوعدده ووعيده وقصصه واخباره ولذلك أسندت المهمة الى انبياء الله وورثتهم العلماء^(١) .

ولم يكن الواعظ ذلك الرجل الذي يقوم في التجمعات بصورته المعهودة ليلقي كلمته ثم يعود محفوفاً بكلمات الدعاء المباركة مع غياب فقه الوعظ ، بل حل الوعظ بنحوه من شراة العلم فضلاً عن المتطفلين على موائده من العوام وكان ذلك صورة مضيئة في التراث الاسلامي^(٢) .

وقد وردت في القرآن الكريم عدة آيات توضح معنى الوعظ واهدافه وهو خير وسيلة للاقناع وتغيير القلوب والعقول والرجوع الى الله سبحانه وتعالى . ويعد نبي الله شعيب عليه السلام خير الواعظين يذكره لنا القرآن الكريم ويعد من ابرع وأحسن وأبلغ الوعاظ في عصره كما جاء في قوله تعالى :

(وَضَعْتُ لَكُمْ وَلَكِنِّي لَا تَحِبُّونَ النَّاصِحِينَ)^(٣)
وقوله تعالى : (وَضَعْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ)^(٤)

وجاء في قوله تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْذَبِينَ)^(١) .

(١) عبدالله بن صالح الوشمي ، صحيفة الحياة اللندنية ، العدد ١٤١٧٣ ، عبر الانترنت ١ - ٢

. www.google.com

(٢) نفسه .

(٣) سورة الاعراف ، الآية ٧٩ .

(٤) سورة الاعراف ، الآية ٩٣ .

ولا بد من الوقوف عند هذه الآية الكريمة فالموعظة الحسنة تعني الطريقة الحسنة والمنهج الحسن في الاقتناع والتغيير ولا سيما انها جاءت تبين مفهومي الحكمة والمجادلة والتي هي احسن فالموعظة اذن جزء من منهج التغيير يقوم على المحاوره والنصح والعمل على تغيير الافكار والمفاهيم بما يقود الى تغيير السلوك ، فالموعظة الحسنة اذن منهج دعوي يسهم في اقامة الحياة على اسسها واعتباراتها الشرعية السليمة ، ان الوعظ بهذه الدلالات ليس في طريقة الكلام والتعبير وحسب بل طريقة في التفكير تستهدف البحث في سبل الاصلاح^(١) .

ولاهمية الوعظ وكونه الطريق الامثل في تهذيب الانسان وسلوكه نجد ان الله سبحانه وتعالى عدّ الوعظ والتذكير فريضتين كما جاء في قوله تعالى : **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**^(٢) .

وقوله تعالى : **(وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ)**^(٣) .

وقوله تعالى **(يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَأْمُرُوا لِمَنْ لَمْ يَأْمُرْ)**^(٤) .

ويمكن ان نجل الآيات القرآنية التي تخص الوعظ باتجاهين :

١ - مواعظ تتعلق بالمتقين :

هذه المواعظ تبشرهم بالجنة جزاء عملهم وخضوعهم لله تعالى في السراء والضراء كما جاء في قوله تعالى : **(فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ)**^(٥) . وقوله تعالى : **(فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ)**^(٦) .

من هنا يتبين وقع الموعظة فيهم والانتفاع بها واصلاح بعضهم بعض^(٧) ، ونلاحظ ان القرآن يبين طريق الرشد للمتقين كما جاء في قوله تعالى : **(هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ)**^(٨) .

(١) سورة النحل ، الآية ١٢٥ .

(٢) محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير (بيروت : د / ت) ١٤٨/٢ .

(٣) سورة الذاريات ، الآية ٥٥ .

(٤) سورة ابراهيم ، الآية ٥ .

(٥) سورة النور ، الآية ١٧ .

(٦) سورة الزمر ، الآية ١٨ .

(٧) سورة البقرة ، الآية ٦٦ .

(٨) فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر الرازي ، تفسير الفخر الرازي (د / م : ١٩٨٥) ١٢١/٣ .

ويندرج القرآن الكريم في الاحكام ويلزم المسلمين بالاخلاق الحميدة ، منها تأدية الامانات ، وفي الجانب السياسي لزوم على من يتولى أمر المسلمين ان يحكمهم بالعدل وفق الشريعة الاسلامية ووضح ذلك في قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعِلِّ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)^(١) .

والمنفقون يعون الموعظة ويدركون دلالاتها ، قال تعالى (وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَدَقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَصَدَقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَنُورٌ لِّلْمُتَّقِينَ)^(٢)

ومن ناحية اخرى نجد ان هذا الوعظ لم يقتصر على المتقين من عامة الناس بل شمل خاصتهم من الانبياء والرسل ، ارشاداً وتبليهاً على ما ينتظرهم في عملهم من الدعوة الى الله ، قال تعالى مخاطباً نوحاً (عليه السلام) :

ظَالِمًا يَازُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَلَىٰ غَيْرِ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)^(٣) .

وفي سبيل ادخال الموعظة الى قلب الرسول ﷺ والمسلمين وتبليتهم على الاسلام نجد ان القرآن يذكر لنا القصص والاعبار للأمم السالفة ليتعظ بها السامع الذي لا يعرف عنها شيئاً كما في قوله تعالى : (وَكَلَّا لَا تَتْلُو دُونَهَا قُلْ لَّيْسَ مِنَ الْبَشَرِ مَا نُبَيِّنُ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ)^(٤) .

وأمر الله سبحانه وتعالى بمكارم الاخلاق والخضوع للنصح والارشاد كقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)^(٥) .

وأمر الرسول ﷺ بالدعوة ووعظ المسلمين باتباع الشريعة الاسلامية بأسلوب حكيم ولطيف ولين بما يؤثر فيهم لا بالزجر والتأنيب والقسوة والشدة ومناقشتهم بأحسن الطرق ومناظرتهم بالحجج والبراهين : (دُعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَاوِبْهُمْ بِأَتْيِ هِيَ أَهْنُ)^(٦) .

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٣٨ ؛ الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ١٣/٩ .

(٢) سورة النساء ، الآية ٥٨ ؛ الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ١٤٦/٩ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٤٦ ؛ السابق ، ١١/١٢ .

(٤) سورة هود ، الآية ٤٦ ؛ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ١٦/٢ .

(٥) سورة هود ، الآية ١٢٠ ؛ السابق ، ٣٧/٢ .

(٦) سورة النحل ، الآية ٩٠ ؛ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ١٣٩/٢ .

(٧) سورة النحل ، الآية ١٢٥ ؛ الصابوني ، صفوة التفاسير ، ١٤٨/٢ .

وجاء في قوله تعالى (وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ)^(١) . فالمقصود بالكتاب القرآن الكريم ، اما الحكمة تعني مجمل المواعظ التي في القرآن من الأمر والنهي والحلال والحرام كقوله في سورة النساء (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)^(٢) ، يعني القرآن الكريم والحكم الحلال والحرام الذي في البقرة ونظيرها في آل عمران (وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)^(٣) يعني المواعظ في القرآن القرآن الكريم وفي سورة مريم (وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا)^(٤) يعني الفهم والعلم^(٥) .

٢ - وعظ عامة الناس بما فيهم العاصين والمذنبين :

وردت في القرآن الكريم آيات فيها مواعظ للناس الذين خالفوا الشرع وسلوكوا طريق الشر والرديلة فينصحبهم القرآن الكريم بضرورة الرجوع الى الله تعالى وتحكيم شرع الله تعالى حتى لا يستمروا في غيهم وغفلتهم كما جاء في قوله تعالى : (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا)^(٦) .

نلاحظ ان الخطاب الوعظي في القرآن الكريم جاء لعامة الناس ولم يستثن منهم أحداً واخيراً وصفه الله تعالى وصفاً رائعاً وجعله شفاء للمرضى الذين يرغبون في ذلك كما جاء في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّنُورِ وَهَدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)^(٧) .

فالاصل في لقرآن الكريم انه خطاب الله تعالى الى البشر جميعاً تضمن الخطاب تصحيح عقيدة البشر بالدينونة لله تعالى والتعبد له وحده ونبذ التعبد لسواه كما تضمن الخطاب الالهي هذه الاحكام المتعلقة بتنظيم جوانب حياة الانسان المختلفة كما تضمن ايضاً صياغة السلوك الانساني بما يرتقي به الى اسمى الصور والاشكال ولهذا نجد عدداً كبيراً من الآيات

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٣١ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٥٤ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٤٨ .

(٤) سورة مريم ، الآية ١٢ .

(٥) مقاتل بن سليمان البلخي ، الاشباه والنظائر في القرآن الكريم ، تحقيق : عبدالله محمود شحاته

(القاهرة : ١٩٧٥) ١/١١ وما بعدها .

(٦) سورة النساء ، الآية ٦٣ .

(٧) سورة يونس ، الآية ٥٧ ؛ الصابوني ، صفوة التفسير ، ١/٥٨٨ .

القرآنية بدأت بصيغة الخطاب الشمولي للبشر جميعاً بقوله تعالى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ...^(١) .

هذا فضلاً عن الخطاب الموجه للذين ظلموا وعصوا وما شاكل ذلك من نماذج تستهدف توجيههم وارشادهم .

وهناك موعظة حول كيفية التعامل مع النساء وبصورة خاصة الخارجة عن طاعة الرجل وفق الشريعة الاسلامية كما جاء في قوله تعالى : (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً)^(٢) .

وهناك من المذنبين المصيرين على ذنبهم مما لا تنفع معهم الموعظة والنصح بترك ما هم عليه كما جاء في قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَفَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)^(٣) .

وكذلك قوله تعالى : (وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَيْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجُونَ)^(٤) .

وهناك من يرد على الواعظين بالسلب ولا يستمع لوعظهم بل يصر على المعصية كما جاء في قوله تعالى : (قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَزَّتْ أَمْ لَمْ تُكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ)^(٥) .

ووصى سيدنا لقمان (عليه السلام) ابنه بعبادة الله وعدم الاشرار به بقوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَضْحَكُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)^(٦) .

(١) سورة يونس ، الآية ٥٧ .

(٢) سورة النساء ، الآية ٣٤ ؛ الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ٩٣/٩ .

(٣) سورة الاعراف ، الآية ١٦٤ ؛ السابق ، ٢٤٧/١٤ .

(٤) سورة هود ، الآية ٣٤ .

(٥) سورة الشعراء ، الآية ١٣٦ ؛ ابو القاسم جارا الله محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل

وعيون الاقاويل في وجوه التأويل (طهران : د/ت) ١٢٢/٣ .

(٦) سورة لقمان ، الآية ١٣ ؛ الزمخشري ، الكشاف ، ٢٣١/٣ .

الوعظ في السنة النبوية :

كان الرسول ﷺ يتخول اصحابه المسلمين بالموعظة والتذكير والنصيحة^(١) وجاءت كثير من الاحاديث تؤكد لنا ذلك فقد قال ﷺ : (الا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)^(٢) ، فالامام الذي على الناس هو راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع على اهل بيته وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية على اهل بيت زوجها وولدها وهي مسؤولة عنهم وعبد الرجل راع مسؤول على مال سيده وهو مسؤول عنه^(٣) .

وقول الرسول ﷺ : (ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة)^(٤) .

وروى ابن مسعود انه كان ﷺ يتخولنا بالموعظة في الايام كراهية الآسامة علينا (والخائل هو المتعهد للاوامر المصلح له أي كان يتعهدنا بالنصح والتذكير بالعواقب فلا يوالي بين ذلك كراهية الحلال شفقة علينا وهكذا يكون شأن المرشد الحكيم والله تعالى ولي الارشاد والساداد)^(٥) . استهدفت موعظة الرسول ﷺ لاصحابه بناء افكار ومفاهيم نجح الرسول ﷺ من خلالها تربية اصحابه على منهج شرعي يؤسس لسلوك على درجة عالية من الرقي .

كذلك نلاحظ ان مفهوم (التخول في الموعظة) و(خشية الملل) لم يظهر في العهود المتأخرة بل ظهر في عصر الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ويرد في البخاري عن ابن عباس تقييد الحديث بطلب الحضور لا بالمبادرة الشخصية ويرد النهي عن قطع حديث الناس بغية وعظهم لما يسبب من ملل ونفور ، وهذا شيء نفع وليس الاقتصار في الموعظة وطلب يسوغه مغرض او يدعو اليه بطل بل هو مطلب شرعي توافرت النصوص عليه^(٦) .

وكان ﷺ يخرج يوم الفطر والاضحى الى المصلى موضع في الصحراء خارج المدينة فأول شيء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم فان كان يريد ان يقطع مبعثاً قطعة ، أي ان كان يردان يفرد مبعثاً أي مبعوثاً من الجيش الى الغزو وافرده آخر امر بشيء أمر به ثم انصرف^(٧) .

(١) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ٧٢ .

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الاحكام ، باب قول الله تعالى : (واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) رقم الحديث ٧١٣٨ ، ١٧٦٤ .

(٣) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ٧٢ .

(٤) البخاري ، صحيح ، باب من استرعى رعيه فلم ينصح ، رقم الحديث ٧١٥٠ ، ١٧٦٦ .

(٥) عبدالرحمن الطهطاوي ، هداية الباري لترتيب صحيح البخاري (بيروت : ١٩٧٠) ٨٧/٢ .

(٦) الوشمي ، الخطاب الوعظي ، صحيفة الحياة اللندنية عبر الانترنت ، العدد ١٤١٧٣ ، ١ .

(٧) الطهطاوي ، هداية الباري ، ٩٢/٢ .

صفات الواعظ ومميزاته

تناول الفقهاء والمريون المسلمون صفات الواعظ وطرائق وعظمهم ومدى تأثيرهم في الناس ومنهم او حيان التوحيدي ومسكويه^(١) فذكروا انه اذا كان الواعظ صادقاً نجح في كلامه وتقع في وعظه وسهل الاقتداء به وحفت الطاعة له والاخذ بما قاله ولو كان خلاف ذلك لم يؤثر كلامه وان راق لا ينفع وعظه وان بلغ ما في انسلاخه من حقيقة ما يقول مع حقيقة القول مع حجة الدلالة وسطوح الحجة وكيف صار فعله مسدداً لقوله وخلافه موهناً لدلالته لان الحكمة قائمة في نفسها مستقلة في صحتها ولهذا قيل : (الموعظة اذا خرجت من القلب وقعت في القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الاذان)^(٢) .

لا ريب في ان الانسان تكوين ذو بعدين ، مادي فسلجي وآخر روحي وكما ان للتكوين المادي حاجات فكذلك الحال مع تكوينه الروحي فان له حاجاته الخاصة ايضاً من اجل ان تتحقق في هذا الانسان الاستقرار والتوازن في معطياته الحياتية المختلفة .

وتتركز الحاجات الروحية على ضرورة الاخذ بيده نحو الهداية الحق بعيداً عن نزواته واهوائه او محاولات اشباع حاجاته المادية الجسدية بطريقة منحرفة فتأتي القيم الروحية لتقويم سيرة الانسان ومنهجه في الحياة بما يكفل له السعادة في حياته الدنيوية والاخرية ايضاً .

استمد الواعظ افكارهم من مصادر التلقي الاساسية الكتاب والسنة ، حيث شكلاً منهلاً خصباً للوعظ وتبع ذلك ما اثر عن الصحابة والتابعين من اقوال وافعال كان لها الأثر في مواعظهم^(٣) .

من المؤكد ان كثيراً من الواعظ كانوا يمزجون وعظهم بالقصص الديني وتفسير القرآن وظهر هذا واضحاً منذ العصر الاول للاسلام ومن الملاحظ كثرة القصصين والواعظ في العصر العباسي الاول وما بعده^(٤) .

كان على الواعظ ان يلم بكثير من الاحكام التي تشكل مجالاً واسعاً لاداء دوره في الوعظ الاجتماعي منها :

١- لا ينبغي ان يعظ الناس الا العالم المتقن فنون العلوم لانه يسأل عن كل فن والفقهاء اذا تصدر لم يكذب يسأل عن الحديث والمحدث لا يكاد يسأل عن الفقه والواعظ يسأل عن كل علم فينبغي ان يكون كاملاً حيث يروى ان علي بن ابي طالب عليه السلام مرّ بقاص فقال : (اتعرف الناسخ والمنسوخ قال : لا قال : (هلكت واهلكت)^(٥) .

(١) الهوامل والشوامل ، تحقيق : احمد امين والسيد احمد صقر (القاهرة : ١٩٥١) ٢٥٣ .

(٢) ابو حيان التوحيدي ، الهوامل والشوامل ، ٢٥٣ .

(٣) شوقي ضيف ، تاريخ الادب العربي في العصر العباسي الاول (مصر : ١٩٦٦) ٤٥٤ .

(٤) نفسه .

(٥) ابراهيم عبدالباقي ، درة الواعظين (القاهرة : ١٩٦٣) ٣٥٦ .

- ٢- (ينبغي للواعظ ان يكون حافظاً لحديث رسول الله ﷺ عارفاً بصحيحه وسقيمه ومسنده ومقطوعه ومعضله عالماً بالتواريخ وسير السلف حافظاً لآخبار الزهاد ، فقيهاً في دين الله عالماً بالعربية واللغة ، فصيح اللسان ومدار ذلك كله على تقوى الله عز وجل)^(١) .
- ٣- يجب ان يكون هدف الواعظ وجه الله تعالى في وعظه (فقد كان ابو حمدون الطيب بن اسماعيل^(٢) من الزهاد المشتهرين بالقرآن وكان يقصد المواضع التي ليس فيها احد يقرئ الناس فيقرئهم حتى اذا حفظوا انتقل الى آخرين)^(٣) .
- ٤- (ينبغي للواعظ ان يترك فضول العيش ويلبس متوسط الثياب ليقتدي به ، فقد كان في ازار عمر بن الخطاب رضي الله عنه رقا ع عدة وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه يلبس دني الثياب فقيل له في ذلك فقال : حتى يقتدي به الرجل المسلم ، وهذا لان الطبيب اذا احتمى نفع وصفه للحمية واذا خلط لم ينفع أمره بالحمية)^(٤) .
- ٥- ينبغي للواعظ ان يعتزل العوام ليكون لكلامه وقع وهيبة في النفوس)^(٥) .
- واذا حضر مجلس الواعظ نسوة ضرب بينهن وبين الرجال حجاباً وأشار الى وعظهن وتخويفهن من تضييع حق الزوج والتفريط في الصلاة ونهيهن عن التبرج والخروج)^(٦) .
- ٦- ونصح الواعظ ان لا يتكلموا الا في الاصول كأن يقول القرآن كلام الله غير مخلوق واخيار الصفات تمر كما جاءت ومهما خطر على البال من صفات الله عز وجل انه كذلك فهو بخلافه لانه (ليس كمثله شيء) وان اقواماً قل علمهم بالتفسير والحديث والمواعظ رزقوا مجالسهم بما يوجب العصبية من ذكر الصوت والحروف والتلاوة والمتلو والاستواء والنزول ، ومعلوم ان العلماء يعجزون عن تحقيق الامر في هذه الاشياء فكيف بالعامي الجاهل)^(٧) .
- ٧- توطيد العلاقات الاجتماعية للواعظ من خلال زيارته الى اصحابه وتفقدده لآحوال الناس من هوله حتى وان كانوا غير مسلمين بما يجعله مطلعاً على اوضاعهم مدركاً لما يحصل من خلل ، ناصحاً موجهاً دون ان ينغمس مع العوام في تفاصيل حياتهم)^(٨) ، ويقول ابن الجوزي

(١) ابن الجوزي ، القصاص والمذكرين ، ٢٤ .

(٢) لم اف له على ترجمة .

(٣) ابن الجوزي ، القصاص والمذكرين ، ٢٦ .

(٤) نفسه .

(٥) السابق ، ٢٧ .

(٦) السابق ، ١٤٢ .

(٧) نفسه .

(٨) عبد الباقي ، ذخيرة الواعظ ، ٦ .

: (كان الوعاظ في قديم الزمان علماء فقهاء ثم خست هذه الصناعة فتعرض لها الجهال)^(١)

.

^(١) تلبيس ابليس (المنيرية : ١٣٦٨هـ) ٣٩ ، الوشمي ، عبر الانترنت ، ١ وما بعدها .

الفصل الأول

الوعظ في عصر صدر الإسلام

اولاً: الوعظ في عصر الرسالة

كان الرسول ﷺ الواعظ الاول للمسلمين ومن بعده الخلفاء الراشدون وكان يقوم بذلك كلما وجد المسلمين بحاجة لذلك او عند نزول الوحي او حدوث حادثة او معركة (١) .

وعن ابن مسعود قال : (كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الايام كراهة السامة علينا) (٢) .

وكان عبدالله بن مسعود يذكر الناس في كل خميس فقال له رجل : (يا ابا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتني كل يوم قال : أما إنه يمنعني من ذلك أني اكراه ان أملككم واني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السامة علينا) (٣) .

كان الرسول ﷺ يختار الاوقات المناسبة لوعظ المسلمين ومن بينها خطبة الجمعة او الحالات التي يقع فيها الكسوف والخسوف (٤) ، وقد أمره الله تعالى بوعظ الناس كما جاء في قوله تعالى : (فَأَقْصُصْ الْقَصَصَ) (٥) ، وقوله تعالى : (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ) (٦) .

كان ﷺ يخطب يوم الجمعة بالمسلمين وهو على الارض وعلى المنبر وعلى الناقة ، منبره ثلاث درجات ، وكان قبل انشائه يخطب الى جذع يستند اليه ولم يكن المنبر في وسط المسجد وانما كان بجانبه الغربي قريباً من الحائط وكان بينه وبينها قدر ممر شخص (٧) .

وكثيراً ما كان ﷺ يخطب بالقرآن حيث قالت أم هشام بنت حارثة : (ما اخذت ق والقرآن المجيد الا عن لسان رسول الله ﷺ يقرأها كل يوم جمعة على المنبر اذا خطب الناس) (٨) ، وكان (عليه الصلاة والسلام) يكثر من ذكر الله ويقصد الكلمات الجوامع وكان يقول في خطبه : (أيها الناس انكم لن تطيقوا أو لن تفعلوا كل ما امرتم به ولكن سدّدوا وابشروا) (٩) .

(١) محمد عبدالغني حسن ، الخطب والمواعظ (القاهرة : ١٩٨٠) ٧٤ ؛ محمد عبدالعزيز الخولي ، اصلاح الوعظ الديني (بيروت : ١٩٦٩) ٢٦ .

(٢) البخاري ، صحيح ، كتاب العلم ، باب ما كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة ، رقم الحديث ٦٨ ، ٣٠ .

(٣) السابق ، باب من جعل لاهل العلم اياماً معلومة ، رقم الحديث ٦٨ ، ٣٠ .

(٤) الخولي ، اصلاح الوعظ الديني ، ٢٨ وما بعدها .

(٥) سورة الاعراف ، الآية ١٧٦ .

(٦) سورة الغاشية ، الآية ٢١ .

(٧) الخولي ، اصلاح الوعظ الديني ، ٢٨ .

(٨) الخولي ، اصلاح الوعظ الديني ، ٢٩ .

(٩) البخاري ، صحيح ، كتاب الايمان ، باب الدين يسر ، رقم الحديث ٣٩ ، ٢٠ .

وكان ﷺ يقطع خطبته لحاجة تعرض عليه او لسؤال احد من اصحابه فيجيب ثم يعود الى خطبته فيتمها وربما ينزل عن المنبر كما حدث عندما جاء الحسن والحسين (رضي الله عنهما) يعثران في قميصين احمرين فقطع كلامه ونزل فحملهما وعاد الى منبره^(١) .

وقد يغضب الرسول ﷺ فيظهر غضبه في موعظته فعن ابي مسعود الانصاري قال :
(قال رجل يا رسول الله ﷺ لا اكاد ادرك الصلاة مما يطول بنا فلان ، فما رأيت النبي ﷺ في موعظة اشد غضباً من يومئذ فقال ايها الناس إنكم منفرون فمن صلى بالناس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة)^(٢) .

وعن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال : (نما أنا بشر وانكم تختصمون اليّ ولعل بعضكم ان يكون ألحن بحجته من بعض فاقضي على نحو ما اسمع فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه فانما اقطع له قطعة من النار)^(٣) .

وقال ابن عمر (رضي الله عنهما) : اخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال : (يا عبدالله كن في الدنيا كأنك غريب او كعابر سبيل واعدد نفسك في الموتى يا ايها الرجل ان كنت لا تدري متى يفاجؤك الاجل فلا تغتر بطول الامل فإنه يقسي القلب ويفسد العمل)^(٤) وقد يمد الله اقواماً في الاجل فقست منهم القلوب وطال منهم الامل فقال تعالى :

(١) الخولي ، اصلاح الوعظ الديني ، ٢٩-٣٠ .

(٢) البخاري ، صحيح ، كتاب العلم ، باب الغضب في الموعظة ، رقم الحديث ٩٠ ، ٣٥ .

(٣) السابق ، باب موعظة الامام للخصوم ، رقم الحديث ٧١٦٩ ، ١٧٧١ .

(٤) علي حسن علي الحلبي وآخرون ، سلسلة الاحاديث الضعيفة ، رقم الحديث ٢٩١٥٦ (الرياض : ١٩٩٩)

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) (١) .

وكان صلى الله عليه وسلم حريصاً على وعظ النساء ، وطالب الولاية جميعاً على ممارسة الوعظ والتذكر للنساء وهذا جانب مهم في الدين والسياسة حيث أن المرأة جزء مهم في المجتمع فإذا صلحت صلح المجتمع وإذا فسدت فسدت فسد المجتمع ، ومن الملاحظ ان ممارسة الوعظ والتذكير كان موجوداً عند العلماء القصاصين والرسول صلى الله عليه وسلم على قيد الحياة (٢) .

ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم الوعظي يتبين من خلال خطبته في حجة الوداع والتي تنص على :

(..... أما بعد ايها الناس اسمعوا مني أبين لكم فاني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقعي هذا أيها الناس ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت اللهم اشهد ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى الذي ائتمنه عليها وان ربا الجاهلية موضوع وان أول ربا أبداً به ربا عمي العباس بن عبدالمطلب ، وان دماء الجاهلية موضوعة وان أول دم أبداً به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب ، وان مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعمد قود (القصاص) وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ففيه مائة بغير فمن زاد فهو من اهل الجاهلية ، أيها الناس ان الشيطان قد يئس أن يعبد في ارضكم هذه ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من اعمالكم ، ايها الناس ، انما النسيء زيادة في الكفر ، يضل به الذين كفروا يحلونهم عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله ، وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ، ثلاثة متواليات ، وواحد فرد ، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادي وشعبان الأهل بلغت اللهم أشهد ، أيها الناس ان لنسائكم عليكم حقاً ، وان لكم عليهن حقاً ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخنن احداً تكروهونه بيوتكم الا باذنكم ولا يأتين بفاحشة ، فان فعلن فان الله قد أذن لكم ان تعضلوهن وتجهروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح فان انتهين واطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وانما النساء عندكم عوار لا يملكن لانفسهن شيئاً إذ اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً ، أيها الناس انما المؤمنون إخوة فلا يحل لامرئ مال اخيه الا عن طيب نفسه الاهل بلغت اللهم

(١) سورة الحديد ، الآية ١٦ .

(٢) ابن الجوزي ، القصاص والمذكرين ، ١٣ .

اشهد ، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم اعناق بعض ، فاني قد تركت فيكم ما إن اخذتم به لم تضلوا : كتاب الله الا هل بلغت اللهم اشهد .

أيها الناس : ان ربكم واحد وان اباكم واحد ، كلكم لادم وادم من تراب ، اكرمكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربي على اعجمي فضل الا بالتقوى الا هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، ايها الناس ان الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصية ولا تجوز وصية في اكثر من الثلث والولد للفرش وللعاشر الحجر ، من ادعى الى غير أبيه ، او تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(١) .

يتضح لنا من هذه الخطبة ما يأتي :

- ١- ان الرسول ﷺ وضع للمسلمين منهج حياتهم في الدنيا والاخرة .
 - ٢- اوضح لهم الحلال والحرام واوجد لهم مقارنة بين ايام الجاهلية والاسلام .
 - ٣- حث على حسن معاملة النساء بوصف ان المرأة هي أساس المجتمع لاسيما المرأة الصالحة لان بصلاحها يصلح المجتمع وبفسادها يفسد المجتمع .
 - ٤- عد هذا المنهج الذي وضعه الرسول ﷺ أساس الحياة ومنهجاً للمسلمين بعد وفاة نبيهم .
 - ٥- اوضح للمسلمين الالتزام بكتاب الله وسنة نبيه فان فيها يجد المسلم كل طريق حياته السليم من خلال الاعتماد على اسس الشرع الاسلامي الصحيح .
 - ٦- ان هذه الخطبة الوداعية للرسول ﷺ بينت منهجه الوعظي الذي يسير عليه المسلمون من بعده وهو أمر واضح لحياتهم الدنيوية والاخرية .
- وكان ﷺ يعظ المسلمين وكانت مواعظه الشريفة تؤثر فيهم وتجعلهم يبكون بكاء شديداً حيث خاطبه أحد الحاضرين وطلب منه بماذا يوصيهم فقال : (اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان كان عبداً حبشياً فإنه من يعش من بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)^(٢) .

(١) ابو عمر بن محمد بن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد (القاهرة : ١٩٦٢) ٥٧/٤ - ٥٨ .

(٢) ابن عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، سنن الترمذي الجامع الصحيح وهو تحقيق : احمد شاکر (بيروت : ١٩٨٧) كتاب العلم ، باب ما جاء في الاخذ بالسنة واجتناب البدع ، رقم الحديث ٢٦٧٦ ، ٤٣/٥ .

وقال ﷺ : (يؤتى بالوالي الذي كان يطاع في معصية الله عز وجل فيؤمر به الى النار فيقذف فيها فتتدلق به اقتابه - يعني امعاه فيستدير فيها كما يستدير الحمار في الرجا فيأتي عليه اهل طاعته من الناس فيقولون له : أي فلان اين ما كنت تأمرنا ؟ فيقول كنت امركم بأمر واخالفكم الى غيره)^(١) .

وقال ﷺ : (بعثت أنا والساعة كهاتين وكان اذا ذكرت الساعة احمرت وجنتاه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه نذير جيش)^(٢) .

وقوله ﷺ : (انكم ستحرصون على الامارة وانها ستكون ندامة وحسرة يوم القيامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة)^(٣) .

الوعظ في العصر الراشدي :

مما لا شك فيه ان الوعظ في العصر الراشدي يعد امتداداً لعصر الرسول ﷺ فبعد وفاة الرسول ﷺ اصبح الصحابة هم الوعاظ الاول ، ولهذا نلاحظ ان المنهج الوعظي كان يستمد مادته من القرآن الكريم واقوال الرسول ﷺ وافعاله ونجد ان هذا الوعظ جاء من عدة مصادر مختلفة قدمت مواظها للخلفاء والامراء والعامّة على حد السواء^(٤) .

١ - المواظ الموجهة للخلفاء والامراء :

كان من اهم اهداف الوعظ الديني الاصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي والزام الناس العمل بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية ولهذا نجد قد انبرى عدد لا بأس به من العلماء والصحابة في ممارسة الوعظ الديني في اعلى المستويات في مناسبة او دون مناسبة ، وبرضى الخليفة او دون رضاه ، وربما يطلب الخليفة بنفسه من الوعاظ ان يتحفه بموعظه يريح بها نفسه ويفتح أمامه آفاقاً جديدة^(٥) .

(١) ابو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا (بيروت : ٢٠٠٢) كتاب الاحكام ، حديث رقم ٨/٧٠١٠ ، ٤/١٠١ .

(٢) ابو عبدالرحمن احمد بن شعيب النسائي ، السنن الكبرى ، تحقيق : الدكتور عبدالغفار سليمان البنداري وسيد كسروي (بيروت : ١٩٩١) كتاب العلم ، باب الغضب عند الموعظة ، رقم الحديث ٢/٥٨٩٢ ، ٣/٤٥٠ .

(٣) النسائي ، السنن ، كتاب القضاء ، باب الحرص على الامارة ، رقم الحديث ١/٥٩٢٧ ، ٤٦٣ .

(٤) سعيد عبدالفتاح عاشور وآخرون ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية (الكويت : ١٩٨٦) ٦٥ وما بعدها .

(٥) عاشور وآخرون ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية ، ٦٥ .

فالامام علي بن ابي طالب عليه السلام يطلب من أسقف بعد اسلامه أن يعظه وينصحه لكي يشعره بعظمة الاسلام وقيمته وان للفرد حقاً كبيراً ولا فرق بين خليفة ومسلم مبتدأ ، فنصح الخليفة بشيء استحسنته عندما قال له : (يا امير المؤمنين ان كان الله عليك فمن ترجو ؟ قال : أحسنت فزدني قال : ان كان الله معك فمن تخاف ؟ قال : أحسنت فزدني : احسب ان الله قد غفر ذنب المذنبين أليس قد فاتهم ثواب المحسنين ؟ قال : حسبي حسبي وبكى^(١) .

ونجد ان الخليفة عمر بن الخطاب عليه السلام كان على جانب كبير من أهمية الاخذ بالاستشارة وعدم الانفراد بالرأي واخيراً سماع الموعظة والرأي الآخر لان هذا يقوي الحجة عندما قال : (الرأي الفرد كالخيوط السحيل والرأيان كالخيطين والثلاثة آراء لا تكاد تنقطع)^(٢) . ولهذا نجد ان كبار الساسة يؤكدون على أهمية الوزارة والوزير لتقديم النصح والمشورة للخليفة ليأمن برأيهم ويأخذ به^(٣) .

ونصح الصحابي حذيفة بن اليمان الخليفة عثمان بن عفان عليه السلام بضرورة تلافي الخلاف حول القرآن بين المسلمين مثلما اختلف اليهود والنصارى وهذا خطر على مستقبل الاسلام والمسلمين ويذكر ان جماعة من العراق تنازعوا في القرآن وعرفهم حذيفة بن اليمان فخاف من ذلك فجاء الى الخليفة وأخبره الخبر ففزع الخليفة لما سمع وأمر بجمع الصحف التي كتب فيها القرآن فأرسلتها حفصة بنت عمر بن الخطاب عليه السلام وأمر زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبدالله بن الحارث بن هاشم وعبدالله بن الزبير أن ينسخوها في المصاحف وقال لهم : (اذا اختلفتم في عربية منه فاكتبوها بلسان قريش فان القرآن نزل بلسان القوم فاختلفوا في التابوت فقال القريشيون التابوت ، وقال زيد بن ثابت التابوت فرفعوا ذلك الى عثمان عليه السلام فقال اكتبوه التابوت كما نزل بلسان قريش ففعلوا ذلك وكتبوه في المصاحف)^(٤) ، ثم أمر عثمان عليه السلام أن يجعل في كل ارض مصحف وأمر ان يحرقوا كل مصحف باستثناء المصحف الذي ارسله حتى يوحد المصاحف جميعاً ولا يكون الاختلاف سوى في القراءة واللفظ ومن هنا ظهر علم القراءات السبعة^(٥) .

وهناك وعظ يركز فيه الواعظ على الجانب السياسي سواء أكان المقصود في الوعظ خليفة أم امير وأهم شيء هو حث الخليفة الذي هو إمام الامة على العدل لانه اساس الملك

(١) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ١٣ ؛ ابو حامد محمد بن محمد الغزالي ، مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والامراء ، تحقيق : محمد جاسم الحديثي (بغداد : ١٩٨٩) ١٨٧ .

(٢) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ١٤٥ ؛ الغزالي ، مقامات ، ١٨٧ .

(٣) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ١٤٦ .

(٤) الغزالي ، مقامات ، ١٨٣ .

(٥) الغزالي ، مقامات ، ١٨٣ .

والالتزام بما جاء به القرآن والرسول ﷺ وتمتاز هذه المواعظ بالبلاغة والتخويف والاصلاح عن طريق الرسائل ولهذا انبرى الصحابة أمثال ابي عبيدة عامر بن الجراح ومعاذ بن جبل للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه برسالة جاء فيها :

(فانا عهدناك وشأن نفسك لك مهم فاصبحت وقد وليت أمر هذه الامة احمرها واسودها ، يجلس بين يديك الشريف والوضيع والصديق والعدو ولكل حصته في العدل فانظر كيف انت عن ذلك يا عمر وانا نحذرك يوماً تغنو فيه الوجوه وتجب فيه القلوب وتنقطع فيه الحجج بحجة ملك قهرهم بجبروته والخلق داخرون له يرجون رحمته ويخافون عقابه وأنا كنا نحدث أن أمر هذه الامة سيرجع في آخر زمانها أن يكون اخوان العلانية وأعداء السريرة وأنا نعوذ بالله ان ينزل كتابنا منك سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا فان كتبنا به نصيحة لك والسلام عليك)^(١) .

وهناك مواعظ وعظ بها العلماء الامراء منبهين إياهم على عدم التكبر على الناس وعدم جعل الامارة حاجزاً بينه وبين العامة ومن بينهم اصدقائه ، ففي هذا المجال أرسل الصحابي أبو ذر الى صديقه عبدالله بن عامر والي البصرة رسالة شفوية عن طريق احد اصدقائه يذكره بأنه يعيش كما يعيش ولا فرق بينهما فلما وصلت اليه تآثر تأثيراً كبيراً وخشع قلبه لها^(٢) .

(١) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ٢٦/٢ .

(٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٥٧/١ .

٢ - مجالس القصاص :

القصص هو الذي يحكي عن الماضي ويروي اخبار السالفين حتى يتخذ منها عبرة وموعظة ، ومجالس القصاص على نوعين خاصة وعامة .

مارس القصاصون القصص الديني في هذا العصر واستمع الناس والخلفاء الى وعظهم واول من قصّ هو تميم الداري^(١) .

يذكر أن تميماً الداري استأذن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في القصص فقال : (انه علي مثل الذبح ، قال : اني ارجو العافية فاذن له عمر وجلس اليه عمر فقال تميم في قوله : اتقوا زلة العالم ، فكره عمر ان يسأله عنه فيقطع على القوم ، وحضر منه قيام فقال لابن عباس اذا فرغ فسله ما زلة العالم ، ثم قام الخليفة عمر فجلس ابن عباس ينتظر ولم يسأله ، ولما طلب منه الخليفة اعتذر له وحينها جاءه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرة اخرى وسأله ما زلة العالم ؟ قال : (العالم يزل بالناس فيؤخذ به فعسى ان يتوب منه العالم والناس يأخذون به)^(٢) .

وممن قصّ في هذا العصر ايضاً كعب^٣ ، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول له : يا كعب خوفنا . فقال كعب :

(يا امير المؤمنين او ليس فيكم كتاب الله وحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بلى ، ولكن خوفنا فقلت : يا امير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبياً لازدريت عملك مما ترى فأطرق عمر ملياً ثم افاق فقال : زدنا يا كعب ، قلت يا امير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلا دماغه حتى يسيل من حرها فأطرق عمر ملياً ثم افاق فقال زدنا يا كعب : قلت يا امير المؤمنين إن جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة لا يبقى

(١) تميم الداري : هو تميم بن اوس بن خارجة بن سود بن جذيمة بن وداع ويقال ذراع بن عدي بن الدار بن هاني بن جميل بن حبيب بن نمارة بن لحم ابو رقية الداري انتقل الى الشام ثم الى بيت المقدس وكان اسلامه سنة ٩ هـ ووفاته سنة ٤٠ هـ روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر وعن ابن عباس وأبي هريرة وأنس بن مالك . انظر ابن الجوزي ، كتاب الحقائق في علم الحديث والزهديات ، حققه : مصطفى السبكي (بيروت : ١٩٨٨) ٥١٧ ؛ ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب (بيروت : ١٩٦٨) ٥١١/١ .

(٢) ابن الجوزي ، القصاص والمذكرين ، ٣٢-٣٣ .

(٣) كعب : هو كعب بن ماتع الحميري من اوعية العلم ومن كبار علماء اهل الكتاب اسلم في زمن ابي بكر وقدم من اليمن في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاخذ عنه الصحابة ، توفي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه انظر : ابو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد الذهبي ، تذكرة الحفاظ (بيروت : د/ت) ٥٢/١ .

ملك مقرب ولا نبي مصطفى إلاّ آخر جاثياً على ركبته ويقول : ربّ نفسي نفسي لا أسألك اليوم إلاّ نفسي فأطرق عمر ملياً فقلت : يا أمير المؤمنين : أوليس تجدون هذا في كتاب الله عز وجل^(١) .

(وَهَمْ تَأْتِي كُلَّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَدَتْ وَهَمْ لَا يَظْلُمُونَ)^(٢) .

ومن الذين قصّوا ايضاً عبيد بن عمير بن قتادة الليثي^(٣) ، وكان عبدالله بن عمر ينظر اليه وهو يقص على اصحابه فكان ابن عمر عيناه تهرقان بالدموع عند سماعه عبيد بن عمير والذي يمكن ملاحظته في هذا العصر ان القصاص والمذكرين مارسوا الوعظ الديني في المساجد ، فممن قام بالقص ايضاً في هذا العصر : ابو الدرداء^(٤) ، فعندما دخل مسجد بيت المقدس فاذا يقوم يذكرهم مذكر لهم قد رفعوا اصواتهم بالبكاء والدعاء فقال ابو الدرداء : (بأبي وأمي النواحون على انفسهم قبل النوح ثم قال :

يا بن حوشب وكان معه عجل بنا حتى نأتي هولاً سمعت رسول الله ﷺ يقول : اذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا قلنا : يا رسول الله وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر ، فوالذي نفسي بيده ما اجتمع قوم على ذكر الله عز وجل الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده فاذا ارادوا ان يقوموا ناداهم مناد : ان قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات ثم انطلق الى القوم فجلس اليهم رغبة في مجلسهم)^(٥) .

ودخل ابن عباس المسجد وعبيد بن عمير يقص فقال لقائده (اذهب بي نحوه فجاء حتى قام على رأسه فقال : ابا عاصم ذكر بالله وذكر الله^(٦) .

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

(١) ابن الجوزي ، القصاص والمذكرين ، ٣٢-٣٣ .

(٢) سورة النحل ، الآية ١١١ .

(٣) عبيد بن عمير بن قتادة الليثي : ابو عاصم المكي ، روى عن عمر وأبي ذر وعائشة وروى عنه أبي مليكة وعمرو بن دينار وأبي الزبير وعبد العزيز وكان عالماً واعظاً كبير القدر توفي سنة ٧٤ هـ . انظر : الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٥٠/١ .

(٤) ابو الدرداء : هو عويمر بن زيد رضي الله عنه ويقال ابن ثعلبة الانصاري الخزرجي الامام الرياني وكان يقال هو حكيم هذه الامة ، قيل ان اسلامه تأخر الى يوم بدر ثم شهد احداً وابلى يومئذ بلاء حسناً وحفظ القرآن عن رسول الله ﷺ وكان عالم اهل الشام ومقرئ اهل دمشق وفضيهم وقاضيههم توفي سنة ٣٢ هـ . انظر : الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٢٤/١ وما بعدها .

(٥) ابن الجوزي ، القصاص والمذكرين ، ٣٤-٣٥ .

(٦) ابن الجوزي ، القصاص والمذكرين ، ٣٢-٣٣ .

وردت آيات وأحاديث عديدة تحت على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر منها قوله تعالى : (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)^(١)

وقال رسول الله ﷺ : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان)^(٢) ، وقوله ﷺ : (ما من نبي بعثه الله في امة قبلي الا كان له من امة حواريون واصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم انها تخلق من بعدهم خلوق يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل)^(٣) .

وقال ﷺ : (ما كان من نبي الا وقد كان له حواريون يهتدون بهديه ويستنون بسنته) .

حيث يقول الرسول ﷺ : (يؤتى بالوالي الذي كان يطاع في معصية الله عزوجل فيؤمر به الى النار فيقذف فيها فتدلق به اقتابه - يعني امعائه فيستدير فيها كما يستدير الحمار في الرحا فياتي عليه اهل طاعته من الناس فيقولون له أي فلان اين ما كنت تامرنا ؟ فيقول كنت امركم بامر واخالفكم الى غيره)^(٤) .

وفي قوله ﷺ : (اطلع قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فقالوا بما دخلتم النار وانا دخلنا الجنة بتعليمكم قالوا إنا كنا نأمركم ولا نفعل)^(٥) .

كما انه يشكل احد ابرز مفردات منهج التغيير في الاسلام من اجل بناء الامة والمجتمع الاسلاميين . والتخلي عن هذه المفردة في المنهج يغير من المنهج برمته للاخفاق ويحول دون انجاز مهمة التغيير .

والواعظ يجب ان يلزم هو اولاً بما ينصح به والا كان عقابه شديداً ولا يتخذ الوعظ لكسب

الرزق او الشهرة فالرسول ﷺ يؤكد على هذه المسالة حيث يقول : (مررت ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاهم بمقاريض من نار قال : قلت من هؤلاء قالوا خطباء من أهل الدنيا من كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون)^(٦) .

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٠٤ .

(٢) مسلم ، صحيح ، كتاب الايمان ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، رقم الحديث ٤٩ ، ٦٩/١ .

(٣) السابق ، رقم الحديث ٥٠ ، ٧٠/١ .

(٤) النيسابوري ، المستدرک على الصحيحين ، كتاب الاحكام ، حديث رقم ١٠١/٨،٤/٧٠١٠ .

(٥) البخاري ، صحيح ، كتاب بدأ الخلق ، باب صفة النار وانها مخلوقة ، رقم الحديث ٣٢٦٧ ، ٨٠٦ .

(٦) البخاري ، صحيح ، كتاب بدأ الخلق ، باب صفة النار وانها مخلوقة ، رقم الحديث ٣٣٤٢ ، ٨٢٢ .

ان هذه الاحاديث تؤكد أمراً غاية في الاهمية فسلامة المنهج تقتضي ان تتسجم مع الفكرة وان تتسجم الغاية مع الأداة والوسيلة فمن يدعو الى فكرة لابد ان يتحلى بها أولاً وينتهجها في نفسه قبل سعيه للدعوة اليها .

وقد جسد الخلفاء الراشدون مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنهم الخليفة ابو بكر الصديق الذي خطب في الناس خطبته المشهورة التي بينت سياسته والعدل الذي يحاول نشره بين الناس والاستقامة في الامور بقوله : (قد وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنتم فاعينوني وان زغت فقوموني)^(١) وعبرت هذه الخطبة عن خليفة شخصيته اعتيادية له ما لسائر المسلمين وعليه ما عليهم وهو وكيل للامة في رعاية شؤونها ويقع على عاتقها مراقبته في اثناء قيامه بواجباته فان أحسن فعلها معاونته وان اخطأ تتحمل عبء تقويمه فضلاً عن ان سلطاته التشريعية ليست مطلقة بل مقيدة بالقرآن والسنة ، وان شذ عنهما فلا طاعة له على المسلمين^(٢)

وعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على تعزيز اهم الخصائص التي طبعت خلافة ابي بكر ودعا الى تقويم أي اعوجاج يظهر في سياسته بقوله : (اعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم)^(٣) ، وعرف عنه كثرة استعانتة بالصحابة مستشيراً لهم في امور الامة^(٤) ، واجتهد في العديد من المسائل كان من اشهرها قضية قضية ارض السواد والمؤلفة قلوبهم وامتاز اجتهاده بانطلاقه من فهمه لروح الاسلام ولرسالته^(٥) .

وكان أشهر الوعاظ القصاصين في عهد الرسول صلوات الله عليه وآله والخلفاء الراشدين من كبار الصحابة الذين كانوا يقومون بوعظ الناس في مسجدهم ، الاسود بن سريع وعبدالله بن عباس وابا موسى الاشعري وابا ذر الغفاري وحذيفة بن اليمان وابو الدرداء وابا هريرة ومعاذ بن جبل وسلمان الفارسي وعبدالله بن مسعود^(٦) .

فمن مواظ عبدالله بن عباس انه قال : (يا صاحب الذنب لا تأمنن سوء العاقبة ولما يتبع الذنب اعظم من الذنب اذا عملته فان قلة حياك على يمينك وشمالك وانت على الذنب

(١) ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري ، السيرة النبوية (بيروت : د/ت) ٦٥٨/٢ ؛ محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى (بيروت : ١٩٥٧) ١٨٣/٣ .

(٢) هاشم يحيى الملاح ، الوسيط في السيرة (موصل : ١٩٩١) ٣٣٧ .

(٣) علاء الدين المتقي الهندي ، كنز العمال (حيدر آباد : ١٩٥٤) ١٤٧/٣ .

(٤) ابو طالب المكي ، علم القلوب (القاهرة : ١٩٦٤) ٧٧ .

(٥) تستجيفسكا ، تاريخ التشريع الاسلامي (بيروت : ١٩٨٠) ٤٧ .

(٦) ابن الجوزي ، القصاص والمذكرين ، ٤٤ وما بعدها .

الفصل الاول

اعظم من الذنب الذي عملته وضحكك وانت لا تدري ما لله صانع بك اعظم من الذنب وفرحك بالذنب اذ ظفرت به اعظم من الذنب وحزنك على الذنب اذا فاتك اعظم من الذنب اذا ظفرت به وخوفك من الريح اذا حركت ستر بابك وانت على الذنب ولاضطراب فؤادك من نظر الله اليك اعظم من الذنب اذا عملته ويحك هل تدري ما كان ذنب ايوب (عليه السلام) فابتلاه الله بالبلاء في جسده وذهاب ماله ؟ أنه استعان به مسكين على ظلم يدرأه عنه فلم يعنه ولم ينه الظالم فابتلاه الله تعالى^(١) .

ومن مواعظ الصحابي ابي ذر الغفاري : (قتلني حب يوم لا أدركه قيل : وما يوم لا تدره قال : طول الأمل)^(٢) .

اما حذيفة بن اليمان فمن مواعظه : (اياكم ومواقف الفتن قيل وما مواقف الفتن قال : ابواب الامراء يدخل أحدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه)^(٣) .

وقال ابو الدرداء مخاطباً اهل دمشق واعظاً اياهم : (يا اهل دمشق انتم الاخوان في الدين والجيران في الدار والانصار على الاعداء ما يمنعكم من مودتي وانما مؤونتي على غيركم ، مالي ارى علماءكم يذهبون وجهاً لكم لا يتعلمون وأراكم قد اقبلتم على ما تكفل لكم به وتركتم ما أمرت به الا أن اقواماً بنوا شديداً وجمعوا كثيراً وأملوا بعيداً فأصبح بنيانهم قبوراً وأملهم غروراً وجمعهم بوراً الا فتعلموا وعلموا ، فان العالم والمتعلم في الأجر سواء ولا خير في الناس بعدهما) ، وكان يقول : (تلقون شديداً وتأملون بعيداً وتموتون قريباً)^(٤) .

وكان ابو هريرة يعظ المسلمين في المسجد وذكرهم في أحد مواعظه بقصيدة شعر قالها عبدالله بن رواحة :

وفينا رسول الله يتلو كتابه

إذا انشق معروف من الليل ساطع

يبيت يجافي جنبه عن فراشه

إذا استنقلت بالكافرين المضاجع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا

به موقنات ان ما قال واقع^(٥)

(١) السابق ، ٥٢ .

(٢) السابق ، ٤٨ .

(٣) السابق ، ٤٨-٤٩ .

(٤) ابن الجوزي ، القصاص ، ٤٩ .

(٥) السابق ، ٥٠ .

اما معاذ بن جبل فقد كان لا يجلس مجلساً للذكر الا قال حين يجلس (الله حكم عدل قسط تبارك اسمه ، هلك المرتابون)^(١) .

وقد كان للصحابي الجليل عبدالله بن مسعود مجلس للوعظ اسبوعي كل يوم خميس وطلب منه ان يضيف يوماً آخر في الوعظ فرفض ذلك خشية الملل وانتقال الناس بها ، وكان اذا جلس للوعظ يذكرهم باعمالهم في الليل والنهار وفناء العمر وحفظ الاعمال وزيارة الموت فجأة والذي يزرع الخير ليس مثل الذي يزرع الشر وقوله :

(المتقون سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة)^(٢) .

وكان حثه هو على تعلم القرآن والسنة النبوية وسلوك المسلم في ضوء ذلك ويركز على الاخلاق الحميدة في مواعظه والابتعاد عن الكذب والفسوق والقتل وكسب المال الحرام والجهد والاستشهاد في سبيل الله^(٣) .

(١) ابن الجوزي ، القصاص والمذكرين ، ٤٦ .

(٢) ابن الجوزي ، صفوة الصفوة (الهند : ١٩٦٨) ١/١٦١ ، ابن الجوزي ، القصاص والمذكرين ، ٤٤ .

(٣) ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، ١/١٦١ .

ثالثاً : الوعظ في العصر الأموي :

لقد اسهمت حركة الفتوحات الاسلامية في اندماج المسلمين الجدد مع المسلمين الفاتحين وهؤلاء الجدد لم يتخلوا تماماً عما كانوا عليه من قيم واعراف ومعتقدات وربما اخذت تتسلل الى بنية المجتمع بشكل عام فهؤلاء كانوا بحاجة الى تحسين اسلامهم اولاً وتحذير المسلمين الآخرين وتنبههم على ما يحفظ لهم دينهم من ان تتسلل اليه ما ليس في اصل الدين ، وهذا من خلال التأكيد الواسع على ضرورة تجنب البدعة وعدم الوقوع فيها هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان الفتوحات الاسلامية اسهمت في تدفق كميات كبيرة جداً من الاموال الى بلاد المسلمين لتفتح ابواب الغنى امام الناس مع ما يحتاجه ذلك من ضرورة التحصن والتوقي ازاء امكانيات الزلل المتزايد ، فابواب الفتنة التي يفتحها الغنى اكثر بكثير مما يفتحه الفقر من ابواب فتنه ، فالاسلام ليس ضد الغنى والثروة ورفاهية العيش لكنه يفرض عليه ضوابط مهمة لتحسين المسلم من الوقوع في المعاصي والاثام متعرضة لسخط الله تعالى ، وذلك ما قام به الوعظ ليكون منهجاً ذا مهمة مزدوجة مهمته الحفاظ على القيم من جهة ومنع انتشار قيم اخرى دخيلة^(١) .

لقد انبرى العلماء الى نصح الخلفاء في العصر الاموي بضرورة الحكم وفق الشريعة الاسلامية وعلى ضوء ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية خاصة وان الناس لا يزالون اقرب الى عصر الرسول ﷺ والصحابة عندئذ لا بد من المطالبة بالعمل وفق المفاهيم الاسلامية عملاً صحيحاً وصادقاً من اجل اقامة الاسلام على خير الوجوه في انفسهم اولاً وفي الامة ثانياً ومما لا شك فيه ان الموعظة اسلوب اصلاحي ناجح والسيدة عائشة (رضي الله عنها) كتبت الى معاوية بن ابي سفيان بضرورة التزام القرآن بقولها : (فان العبد اذا عمل بمعصية الله عاد حامده من الناس ذمماً)^(٢) .

ونصح ابو بكر^(٣) معاوية بن ابي سفيان بضرورة عدم الركون الى حب الدنيا والمال والخلافة بقوله : (اتق الله يا معاوية واعلم انك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليل يأتي عليك

(١) عاشور ، دراسات ، ٦٥ وما بعدها .

(٢) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ٣٨/٢ .

(٣) هو نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن ابي سلمة واسمه عبدالعزى بن غيره بن عوف بن قيس وهو ثقيف ابو بكره الثقفي صحابي روى عن الرسول ﷺ وقيل كان من خيار الصحابة مات في ولاية زياد وقال المدائني مات سنة ٥٠هـ وقال غيره مات سنة ٥١هـ وقال خليفة مات سنة ٥٢هـ ، العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ٤٦٩/١٠ وما بعدها .

لا تزداد من الدنيا الا بعداً ومن الآخرة الا قريباً^(١) .

وذكر ابو الدرداء الخليفة معاوية بن ابي سفيان بانه سوف يأتي يوم ويصبح تاريخاً ويتحدث الناس عن اعماله هل هي جيدة ام غير ذلك بقوله : (إنك ستصير أحدثاً فأحسن أحدثك)^(٢) .

ووعظ ابو مسلم الخولاني الخليفة معاوية بن ابي سفيان بأسلوب خشن ولم يسم الخليفة وإنما الاجير الذي استرعاه الله الرعية وهو مسؤول عنها امامه فعليه دواء مريضها ووضعها في الماء والكأ وهو عنها مسؤول^(٣) .

وكتب زر بن حبيش^(٤) الى عبدالملك بن مروان كتاباً وعظه فيه بعدم الركون الى الدنيا والاعتزاز بها وضمنه ابياتاً من الشعر وكان فيها نوع من الغلظ :

إذا الرجال ولدت أولادها

وبليت من كبر أجسادها

وجعلت أسقامها فسادها

تلك زروع قددنا حصادها^(٥)

وقد تأتي الموعظة من عامة الناس للخلفاء ويقبلها الخليفة بكل رحابة صدر ويكون لها وقع في نفس الخليفة^(٦) .

وقد يتجرأ الوعاظ بكلام قاس وخشن للخلفاء من اجل لفت نظرهم الى عملهم ومكانتهم ونجدهم لا يستعملون القوة والعنف مع مثل هؤلاء بل يؤكدون على صحتها فأبو مسلم الخولاني^(٧) الخولاني^(٧) خاطب معاوية بن ابي سفيان عندما جلس للعتاء بقوله :

(يا معاوية ليس من كدك ولا من كد امك ولا من كد ابيك فما رأي معاوية امتلاً غيظاً الا يومئذ فلم يعط شيئاً وقام عن مجلسه وقال لاصحابه كما انتم ثم غاب ساعة وخرج عليهم وقال :

(١) ابن الجوزي ، المصباح ، ٣٨/٢ .

(٢) الغزالي ، مقامات ، ٢٣١ .

(٣) ابن الجوزي ، الشفاء في مواظ الملوك والخلفاء (الاسكندرية : ١٩٧٨) ٩٨ .

(٤) هو زر بن حبيش بن حباشة بن أوس الاسدي التابعي ادرك الجاهلية والاسلام ولم ير النبي ﷺ وكان عالماً بالقرآن ، سكن الكوفة عاشة مائة وعشرين عاماً ومات بموقعه دير الجماجم سنة ٨٣هـ . خير الدين الزركلي ، الاعلام (بيروت : ١٩٦٩) ٧٥/٣ .

(٥) ابن الجوزي ، المصباح ، ٤٣/٢ .

(٦) نفسه .

(٧) الفقيه العابد الزاهد ربحانة الشام الذي ألقاه الاسود العنسي في النار فنجا منها روى عن عمر و معاذ وابي عبيدة والكبار له مناقب وكرامات توفي سنة ٦٢هـ ، الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٤٩/١ .

ان ابا مسلم تكلم بكلام اغضبني فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول الغضب من الشيطان والشيطان من النار وانما يطفئ النار الماء فاذا غضب احدكم فليغتسل ثم اني دخلت واغتسلت وصدق ابو مسلم انه ليس من كدي ولا من كد ابي فاهلوا الى عطاياكم معشر الناس^(١)

يتبين لنا من ذلك ان العطايا هي من حق الناس وليس من حق الخليفة ان يمنعها عنهم لانه ليس من ماله وانما هي للناس فالذي يعمل بكتاب الله وسنة نبيه سوف يتعظ بما يوجه اليه من مواظ ويعمل بما امره الله به ولا يبخس الناس حقهم .

وقد يطلب الخليفة من احد العلماء الموعظة ويسمع منه ما يريح نفسه ويجعله اكثر قرباً الى الله سبحانه وتعالى فالخليفة سليمان بن عبد الملك يطلب من حميد الطويل^(٢) أن يعظه بشيء يفيد ووعظه بضرورة الخوف من الله تعالى بقوله ان كنت اذا عصيت الله ظننت انه يراك فلقد اجترأت على رب عظيم وان كنت تظن انه لا يراك فلقد كفرت برب العالمين^(٣) .

هذا ولم يأت الوعظ من اصحاب العلم والمعرفة فحسب بل شاركت العامة فيه ايضاً فقد كان كثير من ابناء هذه الطبقة على درجة كبيرة من الجرأة والمعرفة بما يلزم لاصلاح حال الامة وحكامها فنصحوا ووعظوا ، من ذلك ابو حازم الاعرج رحل من التابعين ، ادرك جماعة من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ونقل عنه الاحاديث كان يقص بعد الفجر وبعد العصر في مسجد المدينة^(٤) ، وعظ سليمان بن عبد الملك فقال :

(يا امير المؤمنين اسمع مني اتبع كلمات فيهن صلاح دينك وملكك وآخرتك ودنياك قال : لا تعد احداً عدة وانت لا تريد انجازها ولا يغرنك مرتقى سهل اذا كان المنحدر وعراً واعلم ان الاعمال جزاء فاحذر العواقب والدمر تارات فكن على حذر)^(٥) .

وقد وردت مثل هذه النصيحة فيما يتعلق بهشام بن عبد الملك مع وجود بعض التغيير في الاسلوب بعض الشيء^(٦) .

وشبه الوعاظ الدنيا بالسوق بوسعك ان تشتري فيها الثمين والمفيد او الضار غير النافع فقد وعظ محمد بن كعب القرظي^(١) الخليفة عمر بن عبدالعزيز بقوله :

(١) الغزالي ، مقامات ، ٢١٣ وللمزيد انظر جاسم علي جاسم البدراني ، الوفادات على الخلفاء الامويين ، رسالة دكتوراه غير منشورة (موصل : ١٩٩٩) ١١٩ .

(٢) هو حميد بن ابي حميد الطويل ابو عبيدة البصري ، ثقة دعاية زائدة لدخوله في شيء من امر الامراء ، توفي سنة ١٤٢ هـ ، ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ٢٥٢/١ .

(٣) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ١٤ .

(٤) ابن الجوزي ، القصاص والمذكرين ، ٥٨ .

(٥) ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، عيون الاخبار (بيروت : د/ت) ٣٦٤/١ ؛ ابن الجوزي ، المصباح ، ٥٠/٢ ؛ ابو عبدالرحمن بن عبدالله بن نصر الشيزري ، المنهج المسلوك في سياسة الملوك (الزرقاء : ١٩٨٧) ٧١٦ - ٧٢١ .

(٦) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٥٩/١ .

(انما الدنيا سوق من الاسواق فمنها خرج الناس بما ينفعهم وما يضرهم وكم من قوم قد عزم مثل الذي اصبحنا فيه حتى اتاهم الموت فاستوعبهم فخرجوا من الدنيا مرملين (مهرولين) لم يأخذوا لما حبوا من الآخرة عدة ، وطلب منه ان لا يرد الناس عن لقائه وينظر في حوائجهم ومشاكلهم ويأخذ الحق من القوي وينصر الضعيف)^(١) .

ولا بد من ان نعقب هنا ان الوعاظ لم يكونوا اعداء للدنيا ولانشطتها الاقتصادية وهم ليسوا اعداء للثروة بل ان موقفهم انبنى على اساس ان الدنيا تعمّر بمنهج الله وان الاقتصاد يمارس على اساس المنهج الشرعي هو الآخر وان يتم تعاطي الثروة على وفق الضوابط الشرعية فتعرض الوعاظ لهذه الامور كان من اجل ضبطها وفق ثوابت المنهج الشرعي وليس على اساس محاربتها ومناصبته العدا .

وذكر الوعاظ الخلفاء بنعمة الله وسبب رواجها وزوالها وبعد النعمة والشر عنهم ويذكرونهم بما حدث للامم السالفة والملوك المتجبرين فحري بالخليفة ان يتعظ بما سمع فلقد دخل خالد بن صفوان^(٢) على الخليفة هشام بن عبدالملك وحدثه وقال :

(كان رجل من ملوك الاعاجم جمع له فتاء (الشباب) السن وصحة الطباع وسعة الملك وكثرة المال وذلك بالخورنق فأشرف يوماً فنظر ما حوله فقال لمن حضره : هل علمتم احداً اوتي مثل الذي اوتيت فقال رجل من بقايا حملة الحجة : ان أذنت لي تكلمت فقال : قل فقال : رأيت ما جمع لك ؟ اشيء هولك لم يزل ولا يزول ، أم هو شيء كان لمن قبلك زال عنه وصار اليك وكذلك يزول عني قال : فسرت بشيء تذهب لذته وتبقى تبعته تكون فيه قليلاً وترتهن به طويلاً فبكى وقال : اين المهرب ؟ قال : احد من امرين : اما ان تقيم في ملكك فستعمل فيه بطاعة ربك واما ان تلقي عليك اماماً ثم تلحق بجبل تعيد فيه ربك حتى يأتي عليك اجلك قال : فمالي اذ انا فعلت ذلك قال : حياة لا تموت وشباب لا يهرم وصحة لا تسقم وملك جديد لا يبلى فأتى جبلاً فكان فيه حتى مات)^(٣) .

(١) هو محمد بن كعب بن سليم بن اسد القرظي ابو حمزة وقيل ابو عبدالله المدني من حلفاء الاوس وكان ابوه قد سبى قريظة سكن الكوفة ثم المدينة روى عن العباس بن عبدالمطلب وعلي ابن ابي طالب وابن مسعود وعمر بن العاص وابي ذر وابو الدرداء ، توفي سنة ٢٠ هـ . ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ٤٢١/٩ وما بعدها .

(٢) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٣٧٠/١ ، عبدالباقي ، درة الواعظين ، ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٣) خالد بن صفوان بن عبدالله بن عمرو بن الاهتم التميمي من عظماء العرب المشهورين كان يجالس عمر بن عبدالعزيز وهشام بن عبدالملك وله معهما اخبار ، ولد ونشأ في البصرة وكان أيسر اهل مالاً ولم يتزوج له كلمات سائرة ، قيل له : أي اخوانك احب اليك فقال : الذي يغفر زللي ويقبل عللي ويسد خللي عاش الى خلافة السفاح توفي سنة ١٣٣ هـ . انظر : ابو العباس شمس الدين احمد بن ابي بكر بن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، حققه احسان عباس (بيروت : ١٩٧٧) ٢٤٣/١ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ٣٣٨/٢ .

(٤) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٣٦٥/١ .

ونصح اعرابي الخليفة هشام بن عبدالمك بن مروان بضرورة توزيع الاموال على المسلمين اذ كان هنالك زيادة فيها في الخزينة فنفع ذلك^(١) .

وطلب الخليفة عمر بن عبدالعزيز من يزيد الرقاشي^(٢) أن يعظه فقال :

(يا امير المؤمنين اعلم انك اول خليفة تموت فبكا عمر وقال : زدني يا يزيد فقال : يا لمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم الاّ أب ميت فبكا عمر وقال زدني يا يزيد فقال : يا امير المؤمنين ليس بين الجنة وبين النار منزل فسقط مغشياً^(٣)) .

وروى أن رجلاً من العامة وقف امام سليمان بن عبدالمك وطلب منه ان يحتمل ما يقوله له من خشونة الكلام والنصيحة ما لم يستطع احد ان يقوله ويتجرأ على فعله فبهت الخليفة من كلامه وطلب منه الحديث فقال :

(سأطلق لساني بما خست به الألسن اداء لحق الله ولحق امانتك انك قد اكتفتك رجال أساؤا الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله منك فلا تصلح دنياك بفساد آخرتك فأعظم الناس غبناً يوم القيامة من باع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان : أما انت فقد نصحت وارجو من الله يعيننا على ما قلدنا وقد جرت لسانك فهو سيفك فقال : أجل يا أمير المؤمنين وهو لك لا عليك)^(٤) .

واثناء الحج التقى سليمان بن عبدالمك بطاووس اليماني^(٥) وطلب منه ان يعظه ، فوعظه وذكره بضرورة العدل بين الناس والعمل بما جاء في القرآن الكريم

واحاديث الرسول ﷺ^(٦) .

وحول الملك والعدل ودوامه نصح ابو حازم القاص (الواعظ) هشام بن عبدالمك فقال :

(يا امير المؤمنين : احفظ عني اربع كلمات فيهن صلاح ملكك واستقامة رعيته فقال : هاتهن فقال : لا تعنّ عدةً لا تثق من نفسك بانجازها قال هذه واحدة فهات الثانية قال : لا

(١) السابق ، ٣٧٠/١ .

(٢) هو يزيد بن ابن الرقاشي ابو عمرو البصري القاص الزاهد روى عن ابيه وعن أنس بن مالك وآخرين وروى عنه الكثير ، توفي سنة ١٠٠ هـ . ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ٣٠٩/١١ وما بعدها .

(٣) الطرطوشي ، سراج ، ١٢ ؛ شهاب الدين احمد بن عبداله النويري ، نهاية الادب في فنون الادب (مصر : د/ت) ٢٥/٥ ، وللمزيد انظر عبد الباقي ذخيرة الواعظ ، ٦ .

(٤) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ٦٢ .

(٥) وهو طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني بالولاء ابو عبد الرحمن من اكابر التابعين تفقهاً في الدين ورواية الحديث وتقشفاً في العيش وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك أصله من الفرس ومولده ومنشأه في اليمن توفي حاجاً في المزدلفة ١٠٦ هـ . ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ٨/٥ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ٣٢٢/٣ .

(٦) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ٥٣/٢ ؛ ابن الجوزي ، الشفاء في مواضع الملوك والخلفاء ، ٩٨ ؛ محمد عبدالله السمان ، سلسلة الثقافة الاسلامية ، ٢٣ .

يغرنك المتقي وان كان سهلاً اذا كان المحذور وعراً قال : هات الثالثة قال : ان للاعمال جزاء فاتق العواقب قال : هات الرابعة قال : واعلم ان للامور بغتات فكن على حذر^(١) .

وقد يضطر الخليفة الى معاقبة بعض الوعاظ لتجروهم والخروج عن المألوف مثلما فعل هشام بن عبدالملك بغيلان الواعظ^(٢) فقال له رجل : (ما ظلمك الله ولا سلط عليك أمير المؤمنين الا وأنت تستحق فقال غيلان قاتلك انك جاهل بأصحاب الاخدود)^(٣) .

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٥٩/١ .

(٢) هو غيلان بن مسلم الدمشقي ابو مروان كاتب من البلغاء تنسب اليه الفرق الغيلانية في القدرية وهو ثاني من تكلم بالقدر توفي بعد سنة ١٠٥ هـ ، الزركلي ، الاعلام ، ٣٢٠/٥ .

(٣) ابو حيان التوحيدي ، كتاب الامتاع والمؤانسة ، صححه : احمد أمين واحمد الزين (لبنان : د/ت) ١٨٢/٣ .

الفصل الثاني
الأوضاع العامة في العصر العباسي الأول
(موجبات الوعظ)

أولاً - الوضع السياسي :

بعد النجاح الذي حققه العباسيون في معركة الزاب^(١) (سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م) توج العباسيون انتصارهم هذا باعلان أبي العباس أول خليفة عباسي في مسجد الكوفة بعد أن اخذ له البيعة الخاصة من القواد والدعاة والبيعة العامة في مسجد الكوفة الكبير وأكد في خطبته التي ألقاها بالمناسبة منهج الدولة الجديد وطبيعة مشروعاتها وحمل على الامويين وسياستهم ، ووعد الناس بالعمل وفق القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة^(٢) فقد جاء في خطبته :

(ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار ، نكص بكم يا اهل الشام آل حرب وآل مروان يتسكعون بكم الظلم ويتهورون بكم مداحض الزلق ، يطؤون بكم حرم الله وحرم رسوله ، ماذا يقول زعماءكم غداً ؟ يقولون : ربنا هؤلاء أخلونا فاتهم عذاباً ضعفاً من النار اذا يقول الله (لكل ضعف ولكن لا تعلمون) اما امير المؤمنين فقد انتنق بكم التوبة واغتفر لكم الزلة ، وبسط لكم الاقالة وعاد بفضلته على نقصكم وبحملة على جهلكم ، فليفرح روعكم ولتطمئن به داركم ولتعظكم مصارع اوائلكم فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا)^(٣) .

ذكر لنا ابن الطقطقي شأن سياسة الدولة العباسية فقال : (ان هذه الدولة ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك فكان اخبارهم وصلحائهم يطيعونها تديناً والباقيون يطيعونها رهبة او رغبة)^(٤) .

وتأكيداً لهذا المنهج اعلن العباسيون منذ بدء الدعوة انهم يريدون إحياء السنة والحكم بالعدل وارجاع الناس الى زمن الخلافة الراشدة فارتدى خلفاؤهم بردة الرسول ﷺ في المناسبات الدينية والاعياد واحاطوا انفسهم بالفقهاء وحاربوا الزنادقة^(٥) .

(١) وهي المعركة التي وقعت بين الامويين والعباسيين على الزاب الاعلى الذي يقع بين الموصل واربيل ، انظر عبدالله بن شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي ، معجم البلدان (بيروت : ١٩٥٥) ١٢٤/٣ .

(٢) ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم (القاهرة : د/ت) ٤٢٥/٧ ؛ كلود كاهن ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، نقله الى العربية : بدر الدين القاسم (بيروت : ١٩٧٢) ٧٥ .

(٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٩٧/٤ .

(٤) محمد بن علي بن طباطبا ، الفخري في الاداب السلطانية (بيروت : د/ت) ١١٠ وما بعدها .

(٥) خليفة بن خياط ، تاريخ بن خياط ، حققه : اكرم ضياء العمري (النجف : ١٩٦٧) ٦٠٤ وما بعدها وللمزيد انظر : احمد اسماعيل عبدالله الجبوري علاقة الخلافة العباسية بالعلماء في العصر العباسي الاول ، اطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة الموصل : ١٩٩٧) ١١ .

وبعد وفاة الخليفة ابي العباس سنة (١٣٦هـ / ٧٥٣م) خلفه ابو جعفر المنصور الذي وصف بانه المؤسس الحقيقي للدولة العباسية فلقد واجه الكثير من المشاكل واستطاع بجهوده وحكمته ان يحفظ الدولة ويبقيها في الاسرة العباسية^(١)

وهنا تظهر آلية انتقال السلطة وتداولها على اساس الوراثة استمراراً للانحراف عن المنهج الشرعي في هذا الجانب الذي بدأ مع قيام الدولة الاموية ثم استمر بعدها وقد كان هذا النهج محط نقد الفقهاء والعلماء لما فيه من ابتعاد عن الالية الشرعية في تداول السلطة في النظام السياسي الاسلامي ، ان من أخطر ما يترتب على تجنب المنحى الشرعي هذا حصر السلطة في اسرة معينة مما قد ينجم عنه تولي غير الاكفاء للسلطة احياناً وهو حصل كثيراً في المراحل اللاحقة للدولة العباسية في حين يقود إقامة نظام الشورى بمضامينه الحقيقية الى تولي السلطة للاكفاء حقاً ، فلقد عمد الخلفاء العباسيون في سبيل تعزيز مشروعية حكمهم على ابراز نسبهم الهاشمي بأنهم اولاد عم الرسول محمد ﷺ العباس بن عبدالمطلب ليضفوا بذلك على حكمهم نوعاً من القداسة والشرعية وبذلك اشترك العباسيون والعلويون في هذه المسالة^(٢) فقد اكد الخليفة العباسي الاول ابو العباس ذلك بقوله :

(الحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه تكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا وايده بنا وجعلنا اهله وكهفه وحصنه والقوام به والذابين عنه والناصرين له والزمناء كلمة التقوى وجعلنا احق بها واهلها وخصنا برحم رسول الله ﷺ وقربته وأنشأنا من آبائه)^(٣) وتلا قوله تعالى **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ** **لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**^(٤) مهاجماً بذلك العناصر المعارضة التي بدأت تتحرك بعد نجاح الثورة العباسية من اهل الشام ومؤكداً على حق العباسيين الشرعي بقوله : (زعمت الشامية الضلال ان غيرها أحق بالرياسة والسياسة والخلافة)^(٥) .

وترتب على فكرة الحق هذه جوانب عملية مهمة منها بقاء هذا الحق في اهله مما اسهم كثيراً في تعزيز مبدأ الوراثة ، لكن ذلك لا يعني نهاية الصراع على السلطة فاذا كانت المعارضة السياسية قدهدأت نسبياً أيام العباسيين الا أن صراعاً كان يحدث باستمرار داخل البيت الحاكم من اجل الانفراد بالسلطة ولعل الصراع الدامي بين المنصور الذي دعمه عبدالله بن علي عام (١٣٦هـ / ٧٥٣م) وبين الامين والمأمون عام (١٩٤هـ - ١٩٨هـ / ٨٠٩م - ٨١٣م) يلقي ضوء

(١) شاكر مصطفى ، دولة بني العباس (دمشق : ١٩٧٣) ١/ ١٨٦ وما بعدها .

(٢) السابق ، ٩/٢ وما بعدها .

(٣) الطبري ، تاريخ ، ٤٢٥/٧ .

(٤) سورة الاحزاب ، الآية ٣٣ .

(٥) الطبري ، تاريخ ، ٤٢٥/٧ .

على ذلك ، ان الايام الواقعة بين موت خليفة وقيام آخر تعد اياماً مضطربة وقلقة لا تهدد البلاط فقط وانما الدولة بأسرها^(١) ، وهذا التحول في طبيعة الحكم جعله ملكية اكثر منه خلافة وان كان مثل هذا التحول قد بدأ منذ أيام الامويين لكنه ترسخ اكثر في هذه الفترة حتى قال ابن خلدون ان الامر صار ملكاً وأنه حمل نفس دلالات الخلافة في الطبيعة والمهام الا أن الوازع الذي كان دينياً أصبح الان يقوم على العصبية والقوة والقسر^(٢) ، أهم ما رافق عملية التحول هذه ايضاً ترسيخ الطابع الاوتوقراطي الاستبدادي المطلق للحكم^(٣) ، وان شعاراتهم في اقامة حكم الله على الارض لم تكن سوى غطاء لهذه النزعة الاستبدادية وانهم اخفقوا في التوفيق بين شعاراتهم وتطبيقاتهم السياسية^(٤) الا ان صورة الاستبداد هذه ما لبثت ان اضمحلت بعد ان اخذ قادة الجند بفرض هيمنتهم على مؤسسة الخلافة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري حتى ضربوا امثلة سيئة في وحشية التعامل مع الخلفاء ولا سيما الذين يجري عزلهم فيفقدون حتى قيمتهم الرمزية عندها تكون الفرصة سانحة للقيام بكل عمل شنيع ضدهم^(٥) .

ولتعزيز طابع الاستبداد هذا وجعله مقبولاً من جمهور الناس تم اللجوء الى بعض مظاهر الدين الذي يتميز بهيمته على النفوس اذ يرى سبنسر ان الدولة مهما كانت علمانية لا بد ان تطبع قسها بشيء من طابع الدين وان من طبيعة السلطة ان تمتلك ديناً سياسياً^(٦) ، ثم ان العباسيين جاؤوا الى الحكم بفعل نشاط حركة دينية وشعارات دينية ورأوا في الدين عاملاً لوحدة الدولة المترامية الاطراف التي حكموها^(٧) .

ومما عزز طابع الاستبداد في السلطة العباسية ايضاً الافتقاد الى مؤسسات دستورية رقابية معترف بها تتمتع بصلاحيات وسلطات خاصة تحول دون الانزلاق الى الاستبداد المطلق ، فضلاً عن أن الفقهاء لم يمارسوا دوراً سياسياً فعالاً وواسعاً ومؤثراً بحيث يشكلون قوة ضغط

(١) أبوت ، ملكتان في بغداد ، ترجمة : عمر ابو النصر (بيروت : ١٩٦٩) ٩١ .

(٢) المقدمة (القاهرة : د/ت) ٢٠٨/١ .

(٣) عبدالعزيز الدوري ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة (بغداد : ١٩٤٥) ١٩٠ ، صبحي الصالح ، النظم الاسلامية (بيروت : ١٩٧٨) ٢٦٩ .

(٤) Schaht , An Introduction to Islamic law , 49 .

(٥) الطبري ، تاريخ ، ٣٨٩/٩ و ٤٥٨ .

(٦) بالاندييه ، الانثرو بولوجيا السياسية (بيروت : ١٩٨٦) ٨٣ .

(٧) Lewis , Abbassid , 1/19 .

يحسب حسابها وانما كان دورهم في الغالب توجيهاً ارشادياً أو نقدياً أو تبريرياً في بعض الاحيان وبذلك تكون قد تجمعت عناصر عديدة رسخت مبدأ الاستبداد في السلطة العباسية^(١) .

ان طبيعة صلة العباسيين بالسماء دفعت الباحثين الى اطلاق صفة النثوقراطية او نظرية الحق الالهي على نظام الحكم العباسي^(٢) ، وساوى عدد في ذلك بين الامويين والعباسيين والعلويين^(٣) ، في حين أكد آخرون أن مما اختص به العباسيون لتمييز انفسهم من الامويين^(٤) .

ومهما يكن من أمر فان العباسيين اعطوا لانفسهم الشرعية في الوصول الى الحكم بكونهم الاحق بوراثه الرسول ﷺ فجدهم العباس عند وفاته والعم شرعاً بمقام الوالد فيكون بذلك أحق بوراثته وهم بهذا المنطق تعاملوا مع خصومهم وانصارهم على حد سواء ، أما ما يرد من إشارات تفيد بان الخلافة والسلطان باختيار من الله وان ذلك موهبة سماوية وقدر من الله وتقدير منه وانه سبحانه وتعالى هو الذي يولي أمور المسلمين من يشاء وما الى ذلك^(٥) فكان الهدف منها مداعبة الشعور الديني لجمهور المسلمين ذلك الشعور الميال للتسليم بالقدر وهي في نفس الوقت مغازلة للاتقياء والورعين ليسلموا بوجودهم في السلطة بالاستناد الى ان ذلك كان بقضاء الله وقدره .

فضلاً عن ذلك ان الخلفاء العباسيين لم يجمعوا بين السلطات الدينية والدنيوية لانه لم تبق أي سلطة دينية في الاسلام بعد وفاة الرسول ﷺ ولما كانت هاتان المسالتان أصل فكرة النثوقراطية لذا فانه لم يبق من نثوقراطية الخلفاء العباسيين سوى ما اتخذوه من القاب ونعوت ، هذا فضلاً عن انه من التعسف تطبيق مفاهيم او مذاهب نشأت في ظرف مغاير وعصر له ملامحه وشخصياته ومقوماته واحداثه على عصر آخر يختلف عنه تماماً من النواحي كافة^(٦) .

(١) موفق سالم نوري ، العامة والسلطة في بغداد ١٤٥هـ - ٣٢٤ هـ ، اطروحة دكتوراه (موصل : ١٩٩٧) ٥٤ وما بعدها .

(٢) ابراهيم سلمان الكروي ، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية (الكويت : ١٩٨٧) ٣٧ ؛ فاروق عمر فوزي ، الخلفاء والفقهاء ، مجلة آفاق عربية ، العدد ١٢ (بغداد : ١٩٨٠) ٣١ ؛

G old ziher , muslim studies , 2 / 66 – 67 .

George stewart , is the caliph apope , 190 .

IB rahim Hasan , Jslam , 130 .

(٣) محمد عمارة ، المعتزلة واصول الحكم (بغداد : ١٩٨٤) ٢٣٣ .

(٤) Schacht , An introduction to islamic law , 49 .

(٥) احمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، انساب الاشراف ، تحقيق : عبدالعزيز الدوري (بيروت : ١٩٧٨) ٢٦٨/٣ الطبري ، تاريخ ، ٦٤٨/٨ .

(٦) مصطفى حلمي ، نظام الخلافة في الفكر الاسلامي (القاهرة : ١٩٥٧) ١٠ .

فمثلاً من ضمن ما اطلقه الخلفاء على انفسهم هو سلطان الله ففي الخطبة التي القاها المنصور أكد ذلك بقوله : (ايها الناس انما أنا سلطان الله في ارضه اسوسكم بتوفيقه وتسديده وأنا خازنه على فيئه اعمل بمشيئته واقسم بارادته واعطي باذنه وقد جعلني الله عليكم قفلاً^(١) .

ومن منطلق تعزيز هذه القدسية حاول المنصور ان يروج تاريخ اسرته وصلتها بالرسول محمد ﷺ وما كان من شأن الدعوة وبداياتها ووصولها الى الخلافة^(٢) ، وكان هذا الولاء للأسرة يقلق المنصور الذي أمر ان تنقش الرؤيا التي رآها في حادثته على الواح من الذهب وتعلق في اعناق صبيان بني العباس ، وكثيراً ما جمع افراد الاسرة وسألهم عن تلك الرؤيا وملخصها انه بينما كان يطوف حول الكعبة ومعه اخوه ابو العباس وعمه عبدالله بن علي اذا بصوت ينادي ابا العباس داخل الكعبة فأسرع اليه ودخل الكعبة ولما خرج كان بيده لواء اسود قصير على قناة قصيرة ثم نودي ابو جعفر فنهض ومعه عمه عبدالله الذي حاول ان يدخل قبله فدفعه ودخل ابو جعفر ليجد الرسول ﷺ فسلم عليه وعقد له الرسول ﷺ لواء طويلاً وطلب منه ان يقاتل الدجال^(٣) ، ولعل المنصور اراد بهذه الرؤيا ان يدعم دعواه بانه ظل الله في ارضه وانه يسوى الناس بتفويض من الله وليضفي مزيداً من القدسية على نفسه فلا ينازعه احد ولا سيما بعد ظهور الفتن في الدولة^(٤) ، ولكي يقوي الخليفة العباسي هذه الصفة الدينية صار يرتدي بردة النبي محمد ﷺ عند توليه الخلافة وفي المناسبات الرسمية وصلاة الجمعة وأطلق على الخليفة العباسي لقب (إمام) توكيداً للمعنى الديني اذ لم يكن هذا متداولاً ومعروفاً في عهد الخلفاء الراشدين والامويين^(٥) .

(١) الطبري ، تاريخ ، ٨٨/٨ ؛ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل عمر بن كثير ، البداية والنهاية (بيروت : ١٩٦٦) ١٠/١٢٢ ؛ فاروق عمر فوزي ، بحوث في التاريخ العباسي (بغداد : ١٩٧٧) ٢٢٦ .

(٢) محمد عيسى صالحية ، مؤدبو الخلفاء في العصر العباسي الاول ، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، العدد الخامس ، المجلد الثاني ١٩٨٢ ، ٥٦٥ .

(٣) محمد بن علي بن محمد العمراني ، الاتباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق : قاسم السامرائي (لیدن : ١٩٧٣) ، ٦٢ وما بعدها .

(٤) صالحية ، مؤدبو الخلفاء ، ٦٦ .

(٥) عبدالسلام رستم ، ابو جعفر المنصور (القاهرة : ١٩٦٤) ٣٢ ؛ الكروي ، المرجع في الحضارة ، ٣٧ .

وفي ضوء ذلك قوى العباسيون سلطتهم ودولتهم وحجج شرعيتهم وجاءت هذه على لسان الخليفة المنصور حيث قال : (الملوك تحتل كل شيء الا ثلاثاً ، افشاء السر ، التعرض للحرمة ، القدح في الملك)^(١) .

فضلاً عن ذلك ان اساليب الخطاب اضفت على الخلفاء صفة عالية جداً من التقديس والتفخيم تراوحت دواعيها بين اصفاء القدسية والتعظيم الى أغراض دنيوية اخرى ، ومن العبارات الواردة في أساليب الخطاب هذه ان الخليفة ، الحبل الممدود بين الله وخلقه والمصطفى ومقامه العالي^(٢) وان الله تعالى جعل الخلفاء نوراً يضيء للرعية ما أظلم عليهم^(٣) فقد قال ابو العتاهية في الرشيد :

قد دعونا نائياً فوجدناه على نأيه قريباً سمياً^(٤)

ففي ذلك اصفاء لبعض صفات الله تعالى على شخص الخليفة : القريب والسميع والاغرب من هذا هو قول الصولي في المتقي (٣٢٩ هـ - ٣٣٣ هـ / ٩٤٠ م - ٩٤٤ م) الذي جسد ذروة ضعف الخلافة في هذه الفترة :

وقال الذي سماك متقياً له فأنت عماد الدين ليس يزول
ادين بك الاسلام فازداد عزه فأنت من الدهر الغشوم تدين^(٥)

استمرت ولاية العهد وراثية في العصر العباسي الاول كما كانت عليه في العصر الاموي ، فقد اخذ الخليفة العباسي يعين ولي عهد وبأخذ في حياته البيعة له من وجوه الناس والاعيان وكبار القواد ويلجأ أحياناً الى توليه العهد لاكثر من واحد من ابنائه او اقربائه^(٦) .

ولهذا السبب فقد واجهت الخلافة العباسية كثيراً من المشاكل حول ولاية العهد وشرعيتها ومسألة نقلها من ولي عهد الى آخر فالخليفة الاول ابو العباس قرر واقتنع بان المرشح للمنصب من بعده اخوه ابو جعفر المنصور الذي يستطيع ضمان الحفاظ على الخلافة في نسل ابنيه محمد

(١) الطبري ، تاريخ ، ٨/٨٨ ؛ جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد (مصر : ١٩٥٢) ٢٦٨ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، ٩/١٧٠ و ٨/٢٦٨ ؛ احمد بن علي القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، شرحه وعلق عليه : محمد حسين شمس الدين (بيروت : ١٩٨٧) ٣١/٧ .

(٣) ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم ، كتاب الخراج ، حققه : احسان عباس (القاهرة : ١٩٨٥) ٥ .

(٤) ابو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني ، الاغاني (بيروت : د/ت) ١٤١/٣ .

(٥) اخبار الرازي والمتقي . تحقيق : هيورت (بيروت : ١٩٧٩) ١٨٩ .

(٦) الكروي ، المرجع في الحضارة ، ٣٩ .

العباسي لما ابداه ابو جعفر المنصور من الاعمال الكبيرة في خدمة الدولة العباسية لامتلاكه ثقافة واسعة ، اذ كان يحضر الحلقات الادبية والكلامية والمناقشات الدينية والسياسية في البصرة وصاحب عدداً من علماء البصرة مثل عمرو بن عبيد وغيره ، وجعل عيسى بن موسى ولياً للعهد بعد المنصور مبعداً ابنه محمداً عنها لضعف قدرته الادارية والشخصية وصغر سنه^(١) مما أثار غضب عمه عبدالله بن علي الذي ادعى بان ابا العباس كان قد وعده بالخلافة اذا تمكن من قتل مروان بن محمد وقد فعل ولكنه لم يعلن ذلك رسمياً او علنياً^(٢) .

وحين توفي ابو العباس سنة (١٣٦هـ / ٧٥٣م) اعلن الخليفة ابو جعفر المنصور ولي عهده عيسى بن موسى (ت ١٦٧هـ / ٧٨٣م) والتطور الجديد الذي حدث هو رغبة المنصور في جعل الخلافة في نسله وابعاد ابن اخيه عيسى بن موسى عن ولاية العهد وقد بدأ يعرض هذا الموضوع بعد نجاحه في القضاء على ثورة محمد ذي النفس الزكية إذ لُقّب هو (المنصور) وابنه (المهدي) من اجل رفع منزلته لدى العامة وترويج ذلك بين الناس والتمهيد له ليخلفه^(٣) .

وجاء بعد الخليفة أبي جعفر المنصور ابنه المهدي سنة (١٥٨هـ / ٧٧٤م) الذي شهد عصره اخطر حركة فكرية في العصر العباسي الاول الا وهي الحركة الشعبية والتي سنتناول دراستها عند طرح الجانب الثقافي والفكري في العصر العباسي الاول . إذ وجد انصارها ودعاتها بين الكتاب والادباء وبعض رجال الدولة والعامة ، ويتضح فيها العداء للاسلام واضعاف الدين الاسلامي والنبرة العنصرية والعودة الى احياء التراث القديم للشعوب والتقليل من شأن العرب ودورهم الحضاري والاستهزاء بالمثل والقيم العربية^(٤) .

ويعد عصر هارون الرشيد سنة (١٧٠هـ / ٧٨٦م - ١٩٣هـ / ٨٠٨م) من ابهى العصور العباسية وسمي (بالعصر الذهبي) حيث كان من افاضل الخلفاء العباسيين وعلمائهم وكرمائمهم ، كان يحج سنة ويغزو سنة وقيل كان يصلي في اليوم مئة ركعة ، وحج ماشياً ولم يحج خليفة ماشياً غيره وكان اذا حجّ حجّ معه مئة من الفقهاء وابنائهم^(٥) .

(١) الطبري ، تاريخ ، ٤٤٧/٧ وللمزيد حول ولاية العهد ، انظر : مصطفى ، دولة بني العباس ، ٢٠٧/٢ .

(٢) نفسه .

(٣) السابق ، ٩/٨ وما بعدها .

(٤) احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي ، تاريخ اليعقوبي (بيروت : ١٩٦٠) ١٢٥/٣ وما بعدها ؛ الدوري ، الجذور التاريخية للشعبوية ، ١٢٠ ؛ فوزي ، الفكر العربي في مواجهة الشعبية ، ١٤ .

(٥) ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ١٥٧ .

وازدهر النشاط الثقافي في عهده المتمثل في بيت الحكمة وهو مؤسسة للثقافة العلمية تختص بالدرجة الاولى بالطب والفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك وتترجم كتب الاوائل في العلوم العقلية مثل مؤلفات اليونان والهنود وغيرهم^(١) .

وفي عصر الخليفة المأمون وبالتحديد سنة (٢١٨هـ / ٨٣٣م) ظهر مبدأ الاعتزال وتقريب المتكلمين وظهرت (محنة خلق القرآن) ونوظر الامام احمد بن حنبل وعلماء آخرون واوصى الخليفة أخاه المعتصم بالله باتباع هذه السياسة فلما مات ضرب احمد بن حنبل واضطهد أهل الحديث في عصري المعتصم والواثق^(٢) .

لا شك ان الخلاف في الافكار ووجهات النظر بين العلماء والخلفاء كان موجوداً منذ بداية العصور العباسي الاول ولكنه كان يمر احياناً هادئاً او مشوباً ببعض التوتر ، وحنة هذا الخلاف اشتدت في عهد المأمون في ما يسمى (بالمحنة) اذ دار الخلاف حول مسألة واحدة في العقيدة هي (هل القرآن مخلوق) أم قديم لكون هذه الفكرة تمس حياة المسلمين عامة وقد اخذت ابعاداً واهدافاً متعددة بل وخطيرة وبعد حوار طويل مع العلماء من المعتزلة اقتنع المأمون بالمسألة^(٣) .

وقد لا نتفق مع الدكتور زكي نجيب محمود بقوله : (لم يكن في ساحة الفكر عند الاسلاف حوار حر الا في القليل النادر وفي مواقف لم تكن بذى خطر كبير على السلطة^(٤)) ، فكتب التاريخ والادب تظهر لنا خلاف ذلك فالحوار مفتوح اذا كان صريحاً وواضحاً حتى لو كان يمس السلطة والسلطان ولكن هذا الحوار كانت له ضوابط وأفق يلتزمها المفكرون ، فمن غير المنطقي أن يسكت الخليفة عمن يهدد الدين وكيان الدولة بالخطر ولهذا نرى تفاوتاً في مواقف الخلفاء من هذه المسألة ، ولكون العلماء هم ورثة الانبياء وحفاظ الشريعة الاسلامية على وجهها الصحيح نراهم لم يتوانوا في تقديم النقد الى الخلفاء والتوجيه في هذا المجال بشكل هادئ احياناً وقاس في احيان اخرى^(٥) .

(١) فوزي ، الخليفة المجاهد هارون الرشيد ، ٩٢ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، ٦٣١/٨ وما بعدها .

(٣) عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ، الفرق بين الفرق ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد (القاهرة : د/ت) ٣٥٨ ؛ ابو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني ، الملل والنحل ، تحقيق : عبدالعزيز محمد الوكيل (القاهرة : ١٩٦٨) ٤٣ ؛ ابن الجوزي ، مناقب ، ٣٤٤ .

(٤) تجديد الفكر العربي (القاهرة : ١٩٧٨) ٤٦ .

(٥) ديبور ، تاريخ الفلسفة في الاسلام ، نقله الى العربية : محمد عبدالهادي أبو ريدة (القاهرة : ١٩٣٨) ٢٤ وما بعدها .

بدأت في عهد المأمون (محنة خلق القرآن) واستمرت الى بداية عصر المتوكل على الله سنة (٢٣٤هـ / ٨٤٦م)^(١) ، فقد راودت مسألة خلق القرآن الخليفة المأمون منذ وقت مبكر ولكنه لم يتخذ موقفه النهائي فيها الا في السنتين الاخيرتين من خلافته وقد افضى الى قاضي قضائه يحيى بن الاكثم بانه يخشى الفقيه يزيد بن هارون (ت ٢٠٦هـ / ٨٢٠م) وهو من حفاظ الحديث والذي كان واسع العلم بالدين كبير الشأن^(٢) ولولاه لظهر أن القرآن مخلوق ، فقال له يحيى بن اكثم : (من هو يزيد حتى يخشاه امير المؤمنين) فاجاب قائلاً : (ويحك اني لاتقيه لان له سلطاناً ولكني اخاف ان اظهرته فيرد علي فيختلف الناس وتكون فتنة وأنا اكره الفتنة)^(٣) .

ومما ساعد المأمون على تبني فكرة (خلق القرآن) ثقافته وحبه للجدل في مجالات العلم لمختلفة لما يمتلكه من عقلية فلسفية وحبه للاعتزال لانه كان اكثر اعتماداً على العقل ، ونظر الى عمة الناس على انهم اقل اهتماماً بالعقل بقوله : (ان الجمهور الاعظم والسواد الاكبر من حشو الرعية ممن لا نظر له ولا روية ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته والاستضاءة بنور العلم وبرهانه في جميع الاقطار والآفاق)^(٤) .

وما أن وصل المأمون الى بغداد قادماً من خراسان سنة (٢٠٤هـ / ٨١٨م) حتى اباح الجدل الذي كان محرماً في خلافة الرشيد والامين ، اذ يذكر أن الرشيد سمع بشراً المريسي يزعم أن القرآن مخلوق وتوعده إذا قبض عليه لقتله فبقى بعيداً عن انظار الخلافة عشرون سنة ولم يظهر الا في خلافة المأمون^(٥) .

في سنة (٢١٨هـ / ٨٣٢م) أصدر المأمون أوامره الى قاضيه اسحاق بن ابراهيم في بغداد في امتحان القضاة والمحدثين وقد عدّ المأمون المخالفين لرأيه جهلة بقوله : (فرأى أمير المؤمنين ان اولئك شر الأمة ورؤوس الضلالة المنقوصون من التوحيد خطأ والمحسوسون من الايمان نصيباً وأوعية الجهالة واعلام الكذب)^(٦) ، ولهذا أنزل بمخالفيه انواعاً من العقاب

(١) الطبري ، تاريخ ، ٦٣١/٨ ؛ عادل محيي الدين الالوسي ، الراي العام في القرن الثالث الهجري (بغداد : ١٩٨٧) ١٦٥ ؛ فاروق عمر فوزي ، الدولة العباسية في عصر القوة (عمان : ٢٠٠٣) ٢٢٧/١ .

(٢) الحافظ ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد (بيروت : د/ت) ٣٣٧/١٤ - ٣٤٣ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ٢٤٧/٩ .

(٣) نفسه .

(٤) الطبري ، تاريخ ، ٦٣٢/٨ .

(٥) ابن الجوزي ، مناقب الامام احمد بن حنبل (بيروت : ١٩٧٣) ٣٠٨ .

(٦) الطبري ، تاريخ ، ٦٣٣/٨ .

مثل قطع الرواتب والسجن والضرب بالسياط وقد جعل نفسه في هذه القضية خصماً وحكماً^(١).

وبدأت المحنة بامتحان عدد من كبار العلماء وهم عبدالله بن عمرو القواريري (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م) وهو فقيه ومحدث ثقة^(٢)، والحسن بن حماد المعروف بـ (سجادة) الحضرمي البغدادي (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م) محدث ثقة^(٣)، ويحيى بن عبدالرحمن العمري^(٤)، وبشر بن الوليد الكندي^(٥)، ومحمد بن نوح العجلي (ت ٢١٨هـ / ٨٣٢م) وهو فقيه ومحدث ثقة^(٦) واحمد بن حنبل، فلقد اجاب العلماء هؤلاء خوفاً من العقاب واقرؤا بأن القرآن مخلوق باستثناء احمد بن حنبل ومحمد بن نوح^(٧).

وقطعت الدولة رواتب عدد من العلماء وعزلتهم عن القضاء بسبب عدم اقرارهم بأن القرآن مخلوق مثل عفان بن مسلم (ت ٢٢٠هـ / ٨٣٥م) الذي كان يتقاضى راتباً شهرياً قدره خمسمئة درهم وعندما نوقش في ذلك تلا : (وفي السماء رزقكم وما توعدون)^(٨).

وممن عارض بشدة القول بخلق القرآن ولم يغير رأيه الامام احمد بن حنبل ومحمد بن نوح فاشخصا الى الخليفة المأمون وهو في مدينة طرسوس فلما وصلا الى مدينة أذنه^(٩)، وصل وصل نبأ وفاة المأمون فرجعا وهما بمدينة عانات^(١٠) توفي الفقيه محمد بن نوح ورجع الامام احمد بن حنبل الى بغداد وسجن فيها ثم حمل الى سامراء بطلب من الخليفة المعتصم بالله^(١١)، وقد اوصى المأمون أخاه الخليفة الجديد المعتصم بالله بالسير على نهجه في تبني فكرة المعتزلة والاستمرار في امتحان العلماء في مسألة خلق القرآن ولهذا أمر الخليفة المعتصم بحمل الفقهاء

(١) الطبري، تاريخ، ٦٤٤/٨؛ ابن الجوزي، مناقب، ٣٤٤.

(٢) العسقلاني، تهذيب التهذيب، ٤٠/٧.

(٣) العسقلاني، تقريب، ١٦٥/١.

(٤) لم اقف له على ترجمة.

(٥) العسقلاني، تقريب، ١٠٢/١.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٢٢/٣.

(٧) تاج الدين ابو نصر عبدالوهاب علي السبكي، طبقات الشافعية، تحقيق: محمود ومحمد الطناحي (القاهرة : القاهرة : ١٩٦٤) ٣٧/٢ وما بعدها.

(٨) ابو العرب محمد بن احمد بن تميم التميمي، المحن، تحقيق: يحيى وهيب الحبور (بيروت : ١٩٨٨) ٤٣٣؛ يعقوب بن اسحاق بن السكيت الكندي الولاية والقضاء (بيروت : ١٩٠٨) ٤٤٥.

(٩) أذنه : هي بلد من الثغور قرب المصيصة. انظر : الحموي، معجم البلدان، ١٣٢/١ - ١٣٣.

(١٠) عانة : هي بلدة مشهورة بين الرقة وهيت وتعد من اعمال الجزيرة. انظر : الحموي، معجم، ٧٢/٤.

(١١) ابو الفضل صالح بن احمد بن حنبل، سيرة الامام احمد بن حنبل، تحقيق : الدكتور فؤاد عبدالمنعم احمد (اسكندرية : ١٩٨١) ٥١ وما بعدها.

الى سامراء من بغداد والمدن الاخرى (سنة ٢١٨ هـ / ٨١٥ م) وهرب عدد من العلماء في خلافة الواثق وبالتحديد في سنة (٢٢٨ هـ / ٨٢٥ م) مثل أبي يوسف بن ابي طيبة واحمد بن صالح الى اليمن والقي القبض على محمد بن سالم الذي حمل الى العراق^(١) .

وضرب الامام احمد بن حنبل في عهد الخليفة المعتصم ضرباً اوشك فيه على مفارقة الحياة ولكنه ثبت ، وحاول الخليفة اقناعه بالعدول عن رأيه والقول بخلق القرآن والعطف عليه قائلاً : (أطلقنه بيدي ولأركبن اليه بجندي)^(٢) وقال : (يا احمد والله اني عليك شفيق - اني لأشفقن عليك كشفقتي على هارون ابني ما تقول ؛ قال : كلام الله)^(٣) ولم يقل مخلوقاً .

وقد ندم الخليفة على ضربه احمد بن حنبل وأطلق سراحه^(٤) ولهذا نجد ان احمد بن حنبل جعل الخليفة المعتصم بالله في حل يوم فتح عمورية لما لهذا الفتح من اهمية لخدمة الاسلام والمسلمين^(٥) .

ونلاحظ ان موقف احمد بن حنبل الثابت يمثل موقف اهل السنة والجماعة ولو قال انه مخلوق لتغير الرأي العام الاسلامي ، ويكن القول ان ثبات الامام احمد بن حنبل اسهم بشكل كبير في فشل المعتزلة باظهار فساد آرائهم ، وقد عاب الامام احمد على العلماء الذين اجابوا وعدهم ضعافاً وغضب من موقفهم الضعيف وحزن ، وكان يعتقد انهم لو ثبتوا لتوقف أمر المحنة ولترك المأمون ذلك بسبب معارضتهم لانهم اقطاب المدينة واعلامها^(٦) .

وقد امتحن المأمون كبار العلماء لان هؤلاء اذا اقروا بذلك فسوف يسحبون العامة الى القول بذلك^(٧) ، ولكن الذي حدث هو خلاف ذلك فالامام احمد بن حنبل اصبح بطلاً في نظر الناس ووقفت العامة الى جانبه فقالوا : (ابو بكر يوم الردة ، وعمر يوم السقيفة ، وعثمان يوم الدار ، وعلي يوم صفين ، واحمد بن حنبل يوم المحنة)^(٨) في الثبات على المبادئ وعدم التملق او المداهنة .

(١) الكندي ، الولاة والقضاة ، ٤٤٧-٤٥٣ .

(٢) ابن الجوزي ، مناقب ، ٣٤٤ .

(٣) نفسه ؛ زكي مجيب محمود ، تجديد الفكر العربي ، ٤٥ .

(٤) ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٢٧/٢ - ٣٩ .

(٥) ابن الجوزي ، مناقب ، ٣٤٤ .

(٦) باتون ، احمد بن حنبل والمحنة ، ترجمة : عبدالعزيز عبدالحق (القاهرة : د/ت) ١٠٨ وما بعدها .

(٧) السبكي ، طبقات الشافعية ، ٣٧/٢ وما بعدها .

(٨) ابو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور بن محمد السمعاني ، الانساب ، تحقيق وتعليق : الشيخ عبدالرحمن عبدالرحمن بن يحيى العلمي (بيروت : ١٩٨٠) ٢٤٧/٤ ؛ ابن الجوزي ، مناقب ، ٣٣٤ .

ولقد احدث ضرب الامام احمد بن حنبل استياء لدى العامة وتذمروا ولولا اخراجه من السجن في عصر المعتصم لحصل تمرد من قبل انصاره على الخلافة^(١) .

وفي عصر الواثق امتحن الناس بخلق القرآن وكتب بذلك الى جميع نواحي البلاد الا تقبل شهادة الا ممن قال بأن القرآن مخلوق ، وسجن عدد من العلماء ووصل الأمر حلاً بعيداً من التطرف طال عملية تبادل الاسرى مع الروم سنة (٢٣١هـ / ٨٤٥م) على نهر اللامس - قرية على شاطئ البحر (بحر الروم) فيه يكون الفداء بين المسلمين والروم يكون الروم في البحر في سفن والمسلمون في البحر يتفادون^(٢) ، فامتنح الاسرى فمن قال انه مخلوق نودي به ودفع اليه ديناران وثوبان وبلغ عددهم خمسمئة رجل وسبعمئة امرأة^(٣) .

وشمل الواثق في الامتحان فئة اخرى من العلماء فلقد أمر سنة (٢٣١هـ / ٨٤٥م) أمير البصرة بامتحان الائمة والمؤذنين^(٤) ومنع الواثق احمد بن حنبل من التحديث طالباً منه الا يساكنه في بلد هو فيه وعليه الذهاب حيث شاء فأرض الله واسعة وهذا نوع من النفي السياسي فاختفى احمد بن حنبل بقية حياة الواثق^(٥) .

ولما تولى المتوكل على الله الخلافة سنة (٢٣٢هـ / ٨٤٦م) نهى عن الكلام في القرآن والجدل سنة (٢٣٤هـ / ٨٤٨م) واطلق سراح من كانوا في السجون من اهل البلدان وممن أخذوا في خلافة الواثق وأكساهم وكتب الى البلاد كتباً نهى فيها عن المناظرة والجدل فامسك الناس عن ذلك^(٦) وأمر شيوخ المحدثين بالتحديث وازهار السنة والجماعة واستقدم العلماء من المدن المختلفة وأجزل عطاياهم^(٧) ، وبهذا اخذ اهل الحديث مكان المعتزلة في بلاط الخلافة العباسية واصبحوا حملة العقيدة الرسمية في زمن المتوكل^(٨) .

(١) ابن الجوزي ، مناقب ، ٣٩٤-٣٩٨ .

(٢) ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الاصطخري ، المسالك والممالك ، تحقيق : محمد جابر عبدالعال ومحمد شفيق شفيق غريالي (القاهرة : ١٩٦١) ٥٠ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، ٤٨٢/٢ ؛ الدوري ، دراسات ، ٣٥ وما بعدها .

(٤) الذهبي ، العبر (بيروت : ١٩٨٥) ٣٢١/١ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ٣٤٠ وما بعدها .

(٥) ابن الجوزي ، مناقب ، ٣٤٨ ؛ الذهبي سير اعلام النبلاء (بيروت : ١٩٨١) ٢٦٤/١ .

(٦) اليعقوبي ، تاريخ ، ٤٨٤/٢ ؛ ابو الحسن علي بن الحسين بن علي السعودي ، مروح الذهب ومعادن الجواهر (بيروت : ١٩٨١) ٨٦/٤ ؛ جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة : ١٩٦٦) ٢٧٥/٢ .

(٧) اليعقوبي ، تاريخ ، ٤٨٤/٢ .

(٨) ثلمان ناغل ، مسألة اهل السنة في الاسلام البكر ، مجلة الاجتهاد ، العدد ١٩ لسنة ١٩٩٣ ، ٥٣ .

وخلاصة ما تقدم بعامة فاننا نستطيع القول ان الدولة في العصر العباسي الاول ابتعدت نسبياً عن منهج الحكم الذي شهده عصر النبوة والخلفاء الراشدين المرتكز كلياً على الكتاب والسنة متأثرة بذلك بالطابع الساساني نتيجة لاختلاط المجتمع ودخول العناصر الساسانية في جهاز الدولة وطبعها بطابعها بحيث رسمت للخليفة صفة القدسية وان سلطانه مستمد من الله ثم بالتالي اصفوا على انفسهم هالة من التقديس وعُدَّ الخليفة قوة طاغية وجبارة لا ينبغي الوقوف بوجهها ورافق ذلك انتشار مفاهيم تجعل الرعية عبيداً للسيد صاحب السلطة العليا ، واصبح الجور والظلم من مميزات هذا العصر مما دفع الفقهاء والعلماء الى اعطاء المواعظ للخلفاء وتذكيرهم بالله وباليوم الآخر وبنهم مسؤولون امام الله عن الرعية ، وفي هذا الصدد يذكر ابن الجوزي : (وتزداد الحاجة الى هذا النداء يعني (الوعظ) مما تراه من كثرة الفساد الذي انتشر واصبح يجذب الناس جذباً فانساهم ذكر ربهم وكثر اقتراف المعاصي واستهينت حرمان الله ونسي العباد ان لكل ملك حمى وحى الله محارمه وان الله يغضب اذا استهينت محارمه وغضب الله عقابه اليم ووخيم)^(١) .

وقد ذكر المقريزي ايضاً : (لقد صارت الخلافة بعد الخلفاء الراشدين ملكاً عضوضاً أي فيه عسف وعنف وانتقل الى بني أمية)^(٢) .

فالاوضاع السياسية السائدة في العصر العباسي الاول كانت من الدوافع الاساسية للوعظ وانتشار الوعاظ وقوتهم في مواجهة الخلفاء بجرأة وشجاعة في كثير من الاحيان .

ثانياً - الوضع الاجتماعي :

تطورت الحياة الاجتماعية تدريجياً نتيجة التفاعل المستمر الذي انبثق عن الاسلام وروحه وتعاليمه هذا من ناحية ومن ناحية اخرى بعض المؤثرات الاجنبية التي دخلت الى المجتمع الاسلامي من الحضارات التي استوعبتها الدولة الاسلامية^(٣) .

لقد ازداد هذا التطور الذي مرَّ به المجتمع الاسلامي كثيراً في العصر العباسي الاول نتيجة لازدياد وتفاعل جميع العناصر المختلفة من العرب وغير العرب مع كثرة المال

(١) المواعظ والمجالس ، تحقيق وتعليق : عاطف صابر شاهين (القاهرة : ١٩٧٧) ٣ .

(٢) تقي الدين احمد بن علي المقريزي ، السلوك في معرفة دول الملوك (مصر : ١٩٥٦) ١٣/١ وما بعدها ؛ محمد بن عابد الجابري ، الدين والدولة وتطبيق الشريعة (بيروت : ١٩٩٦) ٨٢ ؛ وللمزيد انظر : عز الدين هشام بن عبدالكريم البدراني ، النظام السياسي بعد هدم دولة الخلافة ، دراسة شرعية (موصل : ٢٠٠٣) ١٦ وما بعدها

(٣) عاشور وآخرون ، دراسات ، ٢٥٨ .

والابتعاد تدريجياً عن العهد الاول للاسلام من ناحية^(١) ، ومن ناحية اخرى بلغت الحضارة الاسلامية مرحلة النصح وذورة الانتعاش سواء في الجوانب الفكرية والاقتصادية او الاجتماعية وغيرها حيث حفلت دور الخلفاء بالادباء والشعراء والعلماء^(٢) ، واصبحت الدولة الاسلامية في هذا العصر مركز العالم المعروف والذي ادى الى انتعاش هذه الدولة هو انتشار الامن بين ربوعها مع اتساعها الا انها غدت مجعاً لكثير من الاجناس والعناصر والطوائف الدينية وغير الدينية وادى هذا الخليط البشري الكبير المتنوع الاصول والدماء واللغات والعادات والتقاليد والمذاهب الى اكساب الحياة الاجتماعية لوناً خاصاً فريداً داخل بوتقة الحضارة الاسلامية^(٣) .

وقد ضم المجتمع في العصر العباسي الفئات الاجتماعية الآتية :

١ - العلماء

كان العراق مركزاً للعلم والعلماء في العصر العباسي الاول وحظي العلماء بمنزلة رفيعة لدى رجال الدولة من الخلفاء والامراء والولاة ولدى الطبقة العامة ، وبمختلف اختصاصاتهم سواء أكانوا فقهاء أم ادباء ، أم مؤرخين أم لغويين^(٤) ، فقد كان للفقهاء دور كبير خاصة في بداية الدولة العباسية وهي فترة اضطراب لان كثيراً من الناس لم يكونوا قد استوعبوا التغيير الجديد ، فمتى ت زال هذه الاشكالات رسم للفقهاء دور توجيهي مهم من خلال قدرتهم على النصح وهذا سوف يؤدي الى اقامة قيم جديدة وازالة قيم قديمة وبأقل الخسائر وهذا اعطى مساحة جديدة من النشاط للفقهاء لممارسة دورهم وفعاليتهم الاجتماعية^(٥) .

ومن ابرز الخلفاء العباسيين الذين قربوا هذه الفئة هو الخليفة المأمون الذي ازدهرت في عصره الحركة العلمية وحركة الترجمة والتأليف ونلوا منه اموالاً كثيرة^(٦) .

(١) عاشور وآخرون ، دراسات ، ٢٦٣ .

(٢) ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي ، لطائف المعارف تحقيق : ابراهيم الانباري (بيروت : د/ت) ٣ .

(٣) فوزي ، الخليفة المجاهد هارون الرشيد ، ٩٣ وما بعدها .

(٤) مليحة رحمة الله ، الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين (بغداد : ١٩٧٠) ٤٧ .

(٥) فارس محمود ذنون ، المكانة الاجتماعية للفقهاء في العراق في العصر العباسي ، رسالة ماجستير غير منشورة (موصل : ١٩٨٩) ٧٦ .

(٦) أحمد فريد رفاعي ، عصر الخليفة المأمون (القاهرة : ١٩٢٨) ٤٦ .

٢ - التجار

ضمت هذه الفئة المسلمين وأهل الذمة واقع نفوذ هؤلاء في العصر العباسي نتيجة ازدياد الترف والبدخ لدى رجال الدولة والاعنياء من الناس وظهرت الاسواق الكبيرة لتلبية حاجة هؤلاء مثل سوق الكرخ ، وكان يعيش هؤلاء بمستوى عالٍ مقارنة بالفئات الاخرى في المجتمع^(١) ، حيث يمكن تصور حياة هؤلاء وقد قامت على الترف والبدخ والاسراف في الانفاق وما يترتب على ذلك من مشكلات اجتماعية واقتصادية منها على سبيل المثال ظهور التحاسد بين الاعنياء على ثرواتهم أو بين الفقراء والمعدمين من جهة والاعنياء من جهة اخرى وقد يقود البذخ الى الوقوع في المعاصي والاثام من قبيل تعاطي الخمر أو غيرها من مظاهر التحلل الخلقي لان الغنى والثراء يفتح أمام الانسان أبواباً واسعة للفتنة .

٣ - أرباب الحرف والصناعات

ضمت هذه الفئة أصحاب المكاسب من باعة وحرفيين وتدل الاشارات إلى أن معظم سكان بغداد كانوا ممن يعمل في الخدمة الحكومية مدنيين كانوا أم عسكريين فضلاً عن الصناعات والتجار^(٢) .

ومن المنطقي فان عدداً كبيراً من سكان بغداد هم من العاملين في السوق سواء أكانوا باعة في مختلف مستوياتهم أم حرفيين ، ويبلغ عدد الحرف تقريباً أكثر من مئتين^(٣) ، ولا شك فان عدد العاملين في الزراعة داخل مدينة بغداد هم اقل بكثير من العاملين في الحرف الاخرى .

ويدخل اصحاب المكاسب في غمار العامة ويصدق عليهم القول الماثور (الحرفة أمان من الفقر وأمان من الغنى)^(٤) وان المستوى المعاشي لهؤلاء يتراوح بين الفقر الشديد ودون مستوى مستوى الغنى .

وهناك بعض المهن عُدت الأكثر فقراً من غيرها مثل الجزارين والقصابين والشوائين والطهائين فضلاً عن العاملين في الصيد^(٥) لذا لجأ هؤلاء الى التضامن والتعاون بينهم لتحقيق نوع من الحماية الذاتية في مواجهة شدة الفقر او للخروج من المصائب التي قد تحل ببعضهم

(١) حمدان الكبيسي ، اسواق بغداد (بغداد : ١٩٧٩) ٨٠ .

(٢) آدمز ، اطراف بغداد ، ترجمة : صالح احمد العلي وآخرون (بغداد : ١٩٨٤) ٣٢ ؛ ناجية عبدالله ابراهيم ، ريف بغداد (بغداد : ١٩٨٨) ٣٥٧ .

(٣) فهمي عبدالرزاق سعد ، العامة في بغداد (بيروت : ١٩٨٣) ١٣١ .

(٤) الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي (بيروت : ١٩٨٠) ٦٧ .

(٥) ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق : عبدالسلام هارون (القاهرة : ١٩٦٥) ٤٢٩/٤ .

وعرف ذلك عن القصابين مثلاً^(١)، وبلغ من سوء الحال لعدد منهم مثلاً أن حجاماً كان يحجم بالنسيئة^(٢)، وعدّ الجاحظ مهناً أخرى لا تبلغ باصحابها مبلغ اليسار مثل السقائين والعاملين في الطين والحراثة وكل ما صغر من تجارات وصناعات في حين كانت مهن أخرى تحقق لأصحابها عائداً جزيلاً مثل كبار الكتاب وباعة الجواهر وأصحاب الوشي والصيرفة^(٣) وبلغ شظف العيش عند عدد من الزهاد انه كان يكتفي بسبعة عشر درهماً في الشهر^(٤)، فانتشر السوق كمادة غذائية رئيسة بنطاق واسع لرخص سعرها^(٥)، وربما لكونه بطئ الهضم فيقلل بذلك من آلام الجوع، وجسد الشعراء الصعاليك المعاصرون لهذه الفترة حالة البؤس الشديد التي عاشها قطاع من الفقراء^(٦)، ويظهر ان المساجد والجوامع كانت السكن الذي آوى اليه ليلاً عدد غير قليل من الفقراء لعجزهم عن امتلاك مساكن خاصة بهم .

ولم تكلف الدولة نفسها في الحفاظ على أصحاب الحرف والمهن من الظلم والتعسف أو ما يفرض عليهم من ضرائب^(٧) .

ومما ميز هذه الفئة من العامة طبيعة التكتل الذي بسبب تخطيط الدولة للأسواق، حيث أمر المنصور عند تخطيط اسواق بغداد في الكرخ ان يكون لكل صنف مكان خاص به لا يشاركه فيه صنف آخر^(٨)، ومما لا ريب فيه ان لمثل هذه التكتلات فوائد جمة لعل من ابرزها الاحساس بضرورة التضامن والتعاون كما ان ذلك يفيد في خلق اجواء المنافسة بما يحسن نوعية البضاعة ويجعل سعرها مقبولاً في الوقت نفسه^(٩) .

لقد جسدت الفعالية السياسية للاصناف والحرف وقائع عديدة امتدت بين أواخر القرن الثاني للهجرة عند احتدام الصراع بين الامين والمأمون فبرز دور هؤلاء تحت تسمية اهل الاسواق^(١٠) وكذلك الصراع بين الخليفة المستعين وقادة الجند^(١١) .

(١) الجاحظ، ثلاث رسائل، تحقيق: يوشع فنكل (القاهرة: ١٣٨٢هـ) ٤٦ .

(٢) الثعالبي، برد الاكباد في الاعداد في خمس رسائل (القسطنطينية: ١٣٠١هـ) ١٣١ .

(٣) الحيوان، ٤/٤٣٤ .

(٤) ابن الجوزي، المنتظم في اخبار الملوك والامم (بغداد: ١٩٩٠) ٧٦/٦ .

(٥) ابن الفقيه الهمداني، بغداد مدينة السلام، تحقيق: صالح احمد العلي (بغداد: ١٩٧٧) ٦٠ .

(٦) حسين عطوان، الشعراء والصعاليك (بيروت: ١٩٧٢) ١٢٤-١٧٠ .

(٧) الكبيسي، اسواق بغداد، ٣٤١ .

(٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٨٠/١ .

(٩) نوري، العامة والسلطة، ٢٧ .

(١٠) الطبري، تاريخ، ٤٦٦/٨ .

(١١) السابق، ٣٣٦/٩ .

وقد ضم المجتمع في العصر العباسي الاول ثلاث طبقات سياسية متدرجة ، الخليفة في القمة ، الخاصة في الوسط وتشمل الامراء وكبار التجار ، العامة وهم بقية الناس وعامة العسكر^(١) ، وتحكم هذه الطبقات شبكة من العلاقات الثابتة في اطار التحول الذي شهده العصر العباسي الاول ولا سيما بعد الازدهار الحضاري وبروز تيار اهل السنة والجماعة وتواري الخوارج تدريجياً عن المسرح السياسي واصبحت الخلافة رمزاً لوحدة المسلمين ووحدة اجتماعهم السياسي والثقافي والحضاري^(٢) .

وكانت العامة تشكل مختلف الاجناس اغلبهم من المسلمين والباقي من اهل الذمة ، وكان لها تأثير كبير على حياة المجتمع لكونها تشكل السواد الاعظم منه فغالباً ما كانت تثير الاضطرابات في المجتمع على رجال السلطة^(٣) .

وقد كانت الاوضاع المعاشية للعامة سيئة الامر الذي ادى الى ظهور فئات مختلفة مثل اللصوص التي تقبع في ادنى مراتب سلم العامة جاعلين من الاغنياء هدفاً لهم^(٤) ، ثم يعقبهم المكدون والمتسولون^(٥) وشكل العيارون والشطار فئة اخرى من العامة نتيجة للاوضاع السيئة في مستوياتهم المعاشية حيث افرزت هذه الظروف هذه الفئة التي غالباً ما يرى الباحثون انها ثورية انتجتها ظروف طبقية معينة لها خصائص اخلاقية نبيلة^(٦) .

يرجع ظهور هذه الجماعة الى النصف الاول من القرن الثاني للهجرة وكان السبب في ظهور هذه الفئة وتفاقم نشاطها ذلك التمايز الطبقي الذي القى ظلاله على بنية المجتمع البغدادي^(٧) .

ومن الباحثين من يرى ان هناك اسباباً اخرى الى جانب هذا السبب منها : اخفاق الدولة في تحقيق قدر من المساواة او ما يدعى حديثاً بالعدالة الاجتماعية ، فعلى الرغم من وفرة واردات

(١) محمد عابد الجابري ، العقل السياسي العربي (بيروت : ١٩٩٠) ٣٣ ؛ بدري محمد فهد ، العامة في بغداد في القرن الخامس الهجري (بغداد : ١٩٦٧) ١١ .

(٢) رضوان السيد ، شكاليات التوحيد والانقسام في المجال العربي الاسلامي ، مجلة الاجتهاد ، العدد ١٩ لسنة ١٩٩٣ ، ٩ .

(٣) رحمة الله ، الحالة الاجتماعية ، ٥٥ .

(٤) ابو علي المحسن بن ابي القاسم التنوحي ، الفرج بعد الشدة (بغداد : ١٩٥٥) ٢٣٩/٤ .

(٥) ابو بكر الزبيدي ، لحن العوام ، تحقيق : رمضان عبدالنواب (القاهرة : ١٩٦٤) ٢٩٦ ؛ وللمزيد انظر : نوري نوري ، العامة والسلطة في بغداد ، ٢٢ وما بعدها .

(٦) الدوري ، نشوء الاصناف والحرف في الاسلام ، مجلة كلية الاداب ، العدد الاول (بغداد : ١٩٥٩) ١٥٨ ؛ محمد رجب النجار ، الشطار والعيارون (الكويت : ١٩٨٩) ٩٣ .

(٧) توفيق اليوزكي ، العيارون والشطار ، مجلة رسالة الخليج ، العدد ١٨ (الرياض : ١٩٨٤) ١٥٠ .

الدولة فان ما ينفق منها على الخدمات العامة والمشاريع ذات النفع العام لم يكن من الامور المميزة في تاريخ العديد من الدول الاسلامية وهذا يعني ان الظروف كانت مهيأة لان يزداد الغني غنى والفقير فقراً ، فضلاً عن ضعف الشعور بالمسؤولية الاجتماعية من الاغنياء تجاه الفقراء وينجم هذا عن ضعف الوازع الديني الذي يحث على اداء الزكاة والصدقة بالمقدار الذي يقلل من الفروق الحادة بين الطبقات ، ومن ناحية اخرى فان الفقر الحاد يسهم احياناً عند عدد في تطويع التعاليم الدينية مما يتيح له القيام بعمل من الاعمال التي تحقق له كسباً يعينه في حياته تحت ذرائع وتسويغات شتى يخلقها لنفسه^(١) .

وقد شملت هذه الفئة قطاعاً واسعاً من فقراء بغداد سواء أكانوا من الحرفيين الصغار أم العاطلين او اللصوص وغيرهم^(٢) .

عاشت هذه الفئة اوضاعاً غاية في البؤس مأواهم الحمامات والمساجد والطرقات^(٣) ، وعبرت ملابسهم عن بؤس أشد^(٤) ، وبهذا فان طعامهم لم يكن افضل من مظهرهم الامر الذي دفعهم الى القتل احياناً^(٥) ، وعندما تكون الدولة ضعيفة فان النهب يكون سبيلهم الافضل^(٦) ، وفي اوقات الفتن والاضطرابات السياسية وعدم الاستقرار الامني يصبح هؤلاء اسياد المدينة فيبتزون اهلها بكل ما يخطر على البال^(٧) وفوق كل هذا يسمون انفسهم فتيناً واضعين لانفسهم لائحة من الضوابط أملت عليهم تجنب الزنى والكذب وحفظ الحرم وعدم هتك ستر المرأة^(٨) .

خلاصة ما تقدم يتضح لنا ان المستوى المعاشي السيء كان السبب في ظهور هذه الفئة والوضع العام لطبقة العامة المتدهور كان الاساس في ابتعاد الفئات التي انبثقت منها عن الشرعية ومزاولة كل ما يخطر على بالهم .

ومن الظواهر الاجتماعية التي كانت سائدة في العصر العباسي الاول والتي كانت دافعا للوعظ ونصح الخلفاء بتركها ظاهرة التحلل الخلقي وشرب الخمر والجواري والشذوذ واللواط ، ففي سنة (٢٤٢هـ / ٨٥٦م) كان يحيى بن اكثم عالماً بالفقه بصيراً بالاحكام وهو من اصحاب الشافعي الذي رد المأمون عن القول بتحليل المتعة وقال ابن اكثم لعدد من الفضلاء الذين كانوا

(١) نوري ، العامة والسلطة في بغداد ، ٢٤ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، ٤٤٨/٨ وما بعدها .

(٣) السابق ، ٤٦٨/٨ .

(٤) السابق ، ٤٦٣/٨ .

(٥) عبدالله بن المعتز ، طبقات الشعراء ، تحقيق : عبدالستار احمد فراح (القاهرة : ١٩٨١) ١٣٨ .

(٦) محمد بن عبدالملك الهمداني ، تكملة تاريخ الطبري ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ضمن الجزء الحادي الحادي عشر من الطبري (بيروت : د/ت) ٢٥٥/١١ .

(٧) الطبري ، تاريخ ، ٥٥١/٨ .

(٨) ابن الجوزي ، تلبيس ابليس ، ٣٩٤ .

يعاشرون المأمون ومنهم ابو العيناء (كروا غداً اليه فان وجدتم للقول وجهاً فقولوا والا فاسكتوا حتى ادخل قال ابو العيناء فدخلنا على المأمون وهو يسأل ويقول وهو مغتاض متعتان كانت على عهد رسول الله ﷺ وعلى عهد ابي بكر وانا انهى عنهما ، ومن انت يا جعل حتى تنهى عما فعله رسول الله فأوجم اولئك حتى دخل يحيى بن اكثم فقال له المامون : أراك متغيراً ؟ فقال يحيى هو غم لما حدث من النداء بتحليل الزنا يا امير المؤمنين فقال المأمون : الزنا ؟ فقال نعم المتعة زنا قال : ومن اين قلت هذا ؟ قال من كتاب الله وسنة نبيه^(١) .

فضلاً عن ذلك نجد انتشار مجالس الطرب والغناء حيث أحاط عدد من الخلفاء انفسهم بالمغنيين والملهين والقيان وأجزلوا لهم العطايا والمنح حتى ليقال ان اسحق الموصلي غنى للهادي فأطربه وأدخله بيت مال الخاصة . ليأخذ منه ما يريد فدخله وأخذ خمسين الف دينار ومن ذلك ان المهدي كان محباً للقيان وسماع الغناء وكان فيه غزل وشدة حب للخلوة بالنساء يدلنا على ذلك تعلقه بجارية يقال لها (جوهر) وباخرى كان معجباً بها اشتراها من مروان الشامي وان مروان هذا دخل على المهدي وجوهر تغنيه فامتدح غناءها ببيتين من الشعر غضب منهما الخليفة حتى انه طرده من مجلسه ، وعادوا السماع الى غناء الجارية ، وقد كانت بينهما مجاورة شعرية نظمها المهدي يجيب فيها ما قالت الجارية ويذكر مفاتها وان الله قد اكملها بحسن الدل والمنظر ومن هذه الابيات :

ألا يا جوهر القلب	لقد زدت على الجوهر
وقد اكملك الله	بحسن الدل والمنظر
اذا ما حليت يا احسن	خلق الله بالمزهر ^(٢)

وبالمثل كان المأمون يميل الى اللهو مع النساء فقد كان متعلقاً بجارية تسمى سكر^(٣) . ويظهر ان مجالس اللهو في دور الخلافة كانت تضم الشعراء والمغنيين والملهين وضاربي العود واصحاب المزمар وقد يلهون بلعب الشطرنج ويجلسون معهم من يلعبه امامهم^(٤) . وكان من بين المغنيين طائفة القيان حذقن الغناء وانشاد الشعر الفاضح المكشوف ، وكانت الحاذقة منهن تروي اربعة الاف صوت فصاعداً يكون الصوت فيما بين البيتين الى اربعة ابيات عندما يدخل في ذلك من الشعر اذا ضرب بعضه ببعض عشرة الاف بيت ليس فيها ذكر الله إلا غفلة ولا ترهيب من عقاب ولا ترغيب في ثواب وانما بنيت كلها على ذكر الزنا والقيادة

(١) الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر (بيروت : ١٩٥٩) ٥١/٣ .

(٢) الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق عبدالسلام هارون (القاهرة : د/ت) ٢٥٦/٢ ؛ للمزيد انظر : محمد عويس ، المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ (القاهرة : ١٩٧٧) ٩٦ .

(٣) ياقوت الحموي ، معجم الادباء (بيروت : د/ت) ٢٣/١ .

(٤) للمزيد انظر : الاصفهاني ، الاغاني ، ٢٠٢-٢٠٣ ، ٢٦٥ ؛ ديوان أبي العتاهية (بيروت : ١٩٦٤) ٧ ،

والعشق والصبوة والشوق والغلمة ومن هؤلاء القيان والمغنيات (بذل) وهي بذل الصغيرة يقال انها كانت تغني ثلاثين الف صوت وحظيت بمكانه خاصة عند الأمين والمأمون والمعتصم^(١) .

ويظهر ان مجالس الغناء كانت وثيقة الصلة بمجالس الشرب وكان من هذه المجالس ما يمتد بطول الليل الى مطلع الفجر تدار فيها الكؤوس على الشاربين ويقضون وقتهم لاهين فرحين ، يقول اسحاق بن ابراهيم الموصلي في نعت احد هذه المجالس :

وصافية تعشي العيون رقيقة رهينة عام في الدنان وعام
دربنا بها الكأس الروية موهناً من الليل حتى انجاب كل ظلام
فما ذرقرن الشمس حتى كأننا من العي نحكي احمد بن هشام

واحمد بن هشام هو من اعيان الدولة العباسية وشعرائها^(٢) .

وكانت هناك دور خاصة للقيان غلب عليها مظهر الفساد الخلقي وان القيان كن يحذقن اموراً خاصة بصنعتهم من مثل خذقهن الغناء والشعر الفاضح المكشوف ولا تقف القينة عند هذا الحد انما لا تتفك تعمل في الاستزادة منه حذقاً لصنعتها ولم يكن هناك شاغل يشغلها غير حذق هذا الفن وسبك هذه الصنعة لان فكرها وقلبها ولسانها وبدنها مشاغل بما هي منه وعلى حساب ما اجتمع عليها من ذلك في نفسها لمن يلي مجالستها عليه وعليها . وبالمثل كانت بعض الجواري حريصات على التثقف والتعلم فهذه جارية سلموية طبيب المعتصم تنافس رجالاً في قراءة كتاب اقليدس فتفرغ من قراءته بينما الرجل لم يحكم بعد مقالة واحدة منه ، ومن هؤلاء الجواري من كن ينزلن من الخلفاء والسادة منزلة خاصة فقد تقف الواحدة منهن على رأسه تذب عنه وتروحه ومنهن من كن يدخلن على الخليفة او من في منزلته وهو في مجلسه العام مع الرجال دون ان يكن عليهن مرح^(٣) .

وبعد الخليفة الواثق من اكثر الخلفاء العباسيين ميلاً الى اقامة المجالس الغنائية وبعده الخليفة المتوكل على الله^(٤) .

وقد يدفع الخلفاء مبالغ كبيرة لهؤلاء المغنّين مثلما دفع الخليفة المأمون ثلاثة الاف دينار للجواري المغنيات^(٥) ، ودفع الخليفة الواثق ثلاثين الف دينار للمغني اسحاق الموصلي^(٦) .

(١) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ١٥/١ ؛ وللمزيد انظر عويس ، المجتمع العباسي ، ١٥٣ .

(٢) عويس ، المجتمع العباسي ، ١٥٥ .

(٣) الاصفهاني ، الاغاني ، ٢٦٥/٥ .

(٤) الاصفهاني ، الاغاني ، ٢٦٣/١٩ .

(٥) السابق ، ٩٥/١٩ .

(٦) السابق ، ٢٨١/٩ .

وبعد الوثائق أكثر الخلفاء مصادرة في العصر العباسي الاول حتى أصبحت سنة سيئة لمن بعده^(١) .

نلاحظ مما تقدم ان البذخ والترف كانا ملازمين لطبقة الخلفاء والامراء والوزراء ورجالات الدولة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين وهذا كان له تأثير سيء في الدولة ، اذ عمد عدد منهم الى مصادرة أموال وزرائهم ورجال الدولة من اجل الحصول على المال وخاصة في حالة افلاس الدولة نتيجة الاضطرابات السياسية .

وقد سادت بعض العادات والتقاليد في المجتمع العباسي مثل عيادة المرضى والتزاور ومد الموائد والدعوة الى الطعام وصحبة الولاة ومهاداتهم والزواج والختان وبعض المعتقدات الشعبية^(٢) .

ويلاحظ ان مظاهر المجون ونزعة اللهو كانت أكثر حدة بين المترفين ومن حولهم ، فالفرق الاجتماعية بين طبقات المجتمع لم تكن فروقاً طفيفة حتى انه كان في مقابل الترف والمجون في بعض طوائف وفئات الطبقتين العليا والوسطى حياة يفشو فيها الفقر والبؤس بين فئات عامة الشعب من الفقراء والمعوزين مما اتاح الفرصة امام طوائف النساك والزهاد للوعظ فكان منهم من اتجه الى الخلفاء لوعظهم واتخذ عدد منهم حلقات في المساجد ، ومنهم من كان يطوف في الاسواق للوعظ وكانت غاية هؤلاء الزهاد والنساك ذم الدنيا وكشف خداع مظاهرها وكبح جماح شهوة النفس وذم التكالب على جمع المال ، وكانوا يستخلصون وشائج هذه الغاية من روح الدين الحنيف ، وقد اثرت هذه الروح على طائفة من الشعراء فكان الزهد ورفض الدنيا ومتاعها موضوعاً رئيساً لاشعارهم^(٣) مثل أبي العتاهية^(٤) ، ومن الشعراء الذين كان لهم ولع في التغزل بالنساء بشار بن برد ، فلما افضت الخلافة الى المهدي كانت فيه غيرة وحزونة وعندما رأى في شعر بشار من الغزل ووصف اللهو بالنساء نهى بشار عن التشبيب بالنساء وقد ذكر بشار في قصائد من شعره من ذلك قوله :

قال الخليفة لا تنسب بجارية إياك إياك ان تشقى بعصيان

وقوله :

ولولا أمير المؤمنين سقيتها أو اما يناجبنا بها حيث حلت

(١) الطبري ، تاريخ ، ١٢٥/٩ ؛ عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير ، الكامل في التاريخ (بيروت : ١٩٦٥) ١٠/٧ .

(٢) للمزيد انظر : عويس ، المجتمع العباسي ، ٣٤٧-٣٧٧ .

(٣) عويس ، المجتمع العباسي ، ٤٤١ وما بعدها .

(٤) للمزيد انظر : ديوان أبي العتاهية ، ٤٦٥ وما بعدها .

وقدم بشار على المهدي في الرصافة وانشده مديحاً فيه تشبيب فنهاء عن التشبيب من ذلك قوله :

تركت لمهدي الانام وصالها براعيت عهداً بنينا ليس بالخير
ولولا أمير المؤمنين محمد لقبلت فاها او لكان بها فطري
فاعطاه ما كان يعطيه سابقاً ولم يزد علينا شيئاً^(١) .

وقال الربيع : خرجنا مع المنصور منصرفاً من الحج فنزلنا الرضّم واستقبله الناس وفيهم بشار فلما اراد الرحيل في وقت الهجرة لم يركب القبة وركب نجياً فसार الناس حوله فجعلت الشمس تضحك بين اعينهم فقال المنصور : اني قائل بيتاً فمن اجازه وهبت له جبتي هذه فقالوا يقول أمير المؤمنين فقال :

وهاجرة نصبت لها جبيني يقطع ظهرها ظهر العظايا

فبادر بشار فقال :

وقفت بها القلوص ففاض دمعي على خدي واقصر واعظيه فوهب له الجبة فباعها باريعمئة دينار^(٢) .

أما الشاعر ابو نؤاس فقد اقترن اسمه باسم الرشيد بل باسم بغداد في عصر عزها وازدهارها ورفاهها وظل اسمه متعاوناً مع اقاصيص الف ليلة وليلة ، يتعاونان على ابقاء بغداد صورة براقة مشرقة مزدانة بالخير والرفاه والجمال والسحر^(٣) .

(١) محمد الطاهر بن عاشور ، ديوان بشار بن برد (القاهرة : ١٩٥٠) ٣٢/١ وما بعدها .

(٢) السابق ٤٩/١ .

(٣) بهجت عبدالغفور الحديثي ، ديوان ابي نؤاس (بغداد : ١٩٨٠) ١٠ .

قال يمدح الرشيد :

لقد طال في رسم الديار بكائي
وقد طال تردادي بها وعنائي
كأني مريغ في الديار طريدة
أراها امامي مرة وورائي
فلما بد الي اليأس عدت ناقتي
عن الدار واستولى علي عزائي^(١)

وقال يمدح الامين :

لقد قام خير الناس من بعد خيرهم	فليس على الايام اذ قام معتب
فأمسى أمير المؤمنين محمد	وما بعدها للطالب الخير مطلب
سخر الله للامين مطايا	لم تسخر لصاحب المحراب ...
لئن كان من هارون فيك مشابه	لانت الى المنصور بالشبه اقرب
لانك ان جدك عدا فانما	تصير الى المنصور من حيث تنسب
نراك ابنة من جانبك كليهما	فمن جانب جد ومن جانب أب

قال ذلك لان الامين امه زبيدة بنت جعفر ابي جعفر المنصور وما ولي الخلافة هاشمي
الابوين الا أمير المؤمنين علياً عليه السلام ومحمد الامين^(٢) .

نلاحظ من خلال هذه الابيات الشعرية للشعراء ان الخلفاء كانوا يبيذخون كثيراً على
الشعراء لمدحهم وقول الشعر فيهم وهذا له تاثيره السيء على المجتمع بصورة عامة لانه يدل
على الفوارق الطبقيّة الموجودة وكيف ان الخلفاء كانوا يصرفون اموالهم ووقتهم لمثل هذه الاشعار
والناس تزداد فقراً وجوعاً .

ثالثاً - الوضع الثقافي والفكري :

في هذا الجانب ينبغي التركيز على مسألتين مهمتين كانتا سبباً في وجود العلماء الوعاظ
لاصلاح اوضاع الدولة العباسية وهما مسألة الحركات الفكرية الهدامة من غلاة وزنادقة مما

(١) بهجت عبدالغفور الحديثي ، ديوان ابي نؤاس (بغداد : ١٩٨٠) ، ٣٥٨ وما بعدها .

(٢) الحديثي ، ديوان أبي نؤاس ، ٣٦٥ وما بعدها .

يشكل خطراً على سلامة الاسلام في الداخل . ومسألة تدخل الدولة في الشؤون العقديّة مثل محنة خلق القرآن حتى وصل الأمر الى ان عدداً من الخلفاء أمروا بتعليم الصبيان ان القرآن مخلوق^(١) .

أما المسألة الاولى التي تشمل الحركات الفكرية الهدامة من غلاة وزنادقة ، فهي عند فقهاء المسلمين ، مصطلح الزندقة يطلق على الملحد الذي يكون تفسيره نصوص الشرع خطراً على سلامة الدولة^(٢) . وهم الذين يؤمنون بالديانة الثنوية ويظهرون الاسلام^(٣) ويتمسكون بتراثهم الديني المجوس ويستترون باسم الاسلام ولا يكشفون الا طرفاً من آرائهم واصبح لهم دور خطر مطابق لموقف الشعوبية من العروبة والاسلام^(٤) لقد كان اخطر ما في هذه الحركة هو نتائجها العلمي والادبي الذي كان يخدع عامة الناس محاولة منهم بث الثقافة الفارسية بدل الثقافة العربية الاسلامية^(٥) .

وقد بذل الزنادقة الاموال الطائلة في سبيل تأليف الكتب بحيث وصفهم الجاحظ بانهم مثل النصارى في الانفاق على البيع وانفاق المجوس على بيت النار^(٦) .

وقد اعترف الزنادقة بوضع الاف الاحاديث الملفقة على رسول الله ﷺ فقد اقر زنديق امام الخليفة المهدي بانه وضع مئة حديث تجول في ايدي الناس واعترف الزنديق عبدالكريم بن ابي العوجاء بانه وضع اربعة الاف حديث يحرم فيها الحلال ويحلل فيها الحرام ولهذا نجد ان الخلفاء لمسوا من وراء حركتهم خطراً على كيان الدولة فنتبعوهم بالقتل مثل بيان بن سمعان ومحمد بن سعيد المصلوب^(٧) .

ولقد ادركت الدولة العباسية خطورة هذه الحركة على الدين الاسلامي باعتباره دين الدولة وكيانها السياسي والاجتماعي ورأت ان تقف موقفاً حاسماً فاعدت الجيوش للقضاء عليها وانشيء لهذا الغرض في عهد الخليفة المهدي ديوان خاص سمي (بديوان الزنادقة والمشرق عليه سمي صاحب الزنادقة) يعينه الخليفة مباشرة^(٨) .

(١) ابن منظور ، لسان العرب ن ٤٩٩/١ .

(٢) ماسينيون ، مادة زنديق ، دائرة المعارف الاسلامية ، ٤٤٠/١٠ .

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ١٤٧/١٠ .

(٤) الدوري ، الجذور التاريخية للشعوبية ، ٣٥ وللمزيد انظر الجبوري ، علاقة الخلافة العباسية بالعلماء في العصر العباسي الاول ، ١٢٢ وما بعدها .

(٥) هاملتون جب ، دراسات في حضارة الاسلام (بيروت : ١٩٧٤) ٦٠ .

(٦) الحيوان ، ٥٦/١ وما بعدها .

(٧) مصطفى السباعي ، السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي (دمشق : ١٩٦٠) ٨٤ .

(٨) الطبري ، تاريخ ، ١٦٥/٨ .

ومن اجل دحض افكار الزنادقة وتسفيه ارائهم والرد عليهم ولتوعية الناس ونصحهم وارشادهم كونت هيئة علمية من كبار العلماء لهذه الاغراض^(١) .

وفي عهد الخليفة المأمون كونت هيئة علمية جديدة برئاسة الفقيه يحيى بن اكثم مكونة من اربعين عالماً وفقيهاً لم يشر ابن طيفور الذي اورد الخبر الى اسماء هؤلاء ومهامهم ويذكر قول المأمون للمجلس :

(اني لارجو ان يكون مجلسنا هذا بتوفيق الله وتأييده سبباً لاجتماع هذه الطوائف على ما هو ارجى واصح للدين واما شاك فيفيق ويثبت وينقاد طوعاً واما معاند فيرد بالعدل وكرهاً)^(٢) .

ولم يكن خطر الزنادقة مقتصرأ على داخل الدولة بل امتد الى اعداء الدولة الاسلامية ، وكان الهدف من ذلك توطيد الشعوبية والزندقة ونشر ارائهما المعادية للقيم العربية ومبادئ الدين الاسلامي الحنيف^(٣) .

وخير من تصدى لهؤلاء من العلماء المسلمين الاصمعي (ت ٢١٦هـ / ٨٣١م) الذي عاصر البرامكة وحاربهم عندما بدأوا ينحرفون ويجمعون الشعوبيين حولهم وينالون من العنصر العربي في مجالسهم وذلك بدافع شعوره الطبيعي وحبه للرشد الذي اخلص الوفاء له ومال الى ناحية الفضل بن ربيع وجاهريكره للبرامكة ، وخاض صراعاً سياسياً صامتاً مناوئاً الشعوبية^(٤) ، ، ولهذا فقد كان الاصمعي من ابغض الناس للنفوذ الشعبي المهدد لدولة الرشيد وكان من اكثر خلطاء الرشيد تحذيراً له من نفوذ البرامكة وتشجيعه على التخلص منهم ان وجد الى ذلك سبيلاً^(٥) .

ومن العلماء الذين قاموا بتتقية احاديث الرسول محمد ﷺ من الوضع المحدث ابو اسحاق الفزاري وله كتاب في السير^(٦) وابن المبارك ابو عبدالرحمن عبدالله بن المبارك (ت ١٨١هـ / ٧٩٧م) اللذين مدحهما هارون الرشيد عندما قبض على احد الزنادقة معترفاً له بوضع الف حديث فاجابه : (اين انت يا عدو الله عن ابي اسحاق الفزاري وابن المبارك ينخلانها فيخرجانها حرفاً حرفاً)^(٧) .

(١) سميرة مختار الليثي ، الزندقة والشعوبية وانتصار الاسلام والعروبة عليها (القاهرة : ١٩٦٨) ٢١٣ .

(٢) ابو الفضل احمد بن طاهر الكاتب المعروف بابن طيفور ، كتاب بغداد (القاهرة : ١٩٢٩) ٧٥ .

(٣) الجاحظ ، الحيوان ، ٤ / ٤٤٨ .

(٤) عبدالجبار الجومرد ، الاصمعي حياته واثاره (بيروت : ١٩٥٥) ٢٠٥ وما بعدها .

(٥) نفسه .

(٦) ابو يعقوب محمد بن اسحاق بن النديم ، الفهرست (بيروت : ١٩٧٨) ١٣٥ .

(٧) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ١ / ٢٧٣ ؛ سير اعلام النبلاء ، ٨ / ٥٤٢ .

وبرع المعتزلة في الرد على الزنادقة ومحاربتهم بأمر الخليفة المأمون ووطدوا بذلك الطريق لاهل السنة لاثبات عقيدتهم وغيرهم من الفرق ومن علمائهم الفقيه ابو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف (ت ٢٣٥هـ / ٨٥٣م)^(١) الذي دخل في مناظرات مع زعيم الزنادقة صالح بن عبد القدوس (ت ١٦٨هـ / ٧٨٤م) في عهد الخليفة المهدي الذي قتله بعد ما تيقن انه لا يتوب عن ذلك^(٢).

اما المسألة الثانية فتتمثل بتدخل الدولة في تبني الافكار العقدية والتي توضحت في محنة خلق القرآن وما تعرض له العلماء من اضطهاد سواء أكان ضرباً أم سجناً أم قطع راتب وغيرها من الاساليب التي تعرض لها العلماء فقد توضحت عند دراستنا للجانب السياسي للدولة العباسية ، وتوضح الدور البطولي الذي قام به الامام احمد بن حنبل الذي اثار سلوكه وصموده الرأي العلم فالتف العامة حوله ، واتخذت مسألة خلق القرآن مذهباً رسمياً في عهد المأمون واصبحت منذ هذا العهد شاغلاً أساسياً عند المعتزلة خاصة انها تقوم على اكبر اصل من اصولهم وهو التوحيد وعدم تعدد صفات الله ، ثم ان دائرة الجدل فيها اتسعت اتساعاً شديداً اخرجها من طابع المناظرة بين العلماء المؤيدين والمعارضين الى طابع المسألة العامة يناقشها جميع افراد الامة حتى ان المتوكل لم يجد حسماً للامور ، وبعد ان رأى من قوة الرأي العام ضد الاعتزال أبطل القول بخلق القرآن ، وأظهر الميل للمحدثين ووقف بجانبهم^(٣).

لم يكتف الخلفاء بذلك وانما تدخلت الدولة العباسية في برامج التعليم ، فالتعليم في الجوامع للفتيان والصبيان لا يكون الا بعلم السلطة وبموافقتها في حين ان الامر لا يستوجب الى ذلك في المساجد الصغيرة^(٤) وهذا دليل على ان الدولة تسعى الى مثل هذا الفعل لغرض فرض ارائها على الناس بالقوة وهذا ما حصل خلال احتدام مسألة محنة خلق القرآن ، فأمر المعتصم المعلمين بالعمل على تعليم عدد من مقولات المعتزلة للصبيان^(٥) وأمر قاضي القضاة احمد بن ابي داود المعلمين بتلقين الصبيان بأن القرآن مخلوق^(٦) ، ولما تولى المتوكل الخلافة ونبذ آراء المعتزلة أمر بعقد المجالس في بغداد لمناهضة آرائهم وتفنيد افكارهم

(١) احمد بن يحيى بن المرتضى ، طبقات المعتزلة (بيروت : ١٩٦١) ٤٤ .

(٢) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٦/١٢ وما بعدها .

(٣) عويس ، المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ ، ٣٣٣ وما بعدها .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ، ٢٢٠/١ .

(٥) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ٣٣٥ ، وحول تعليم اولاد الخلفاء انظر الجبوري ، علاقة الخلافة بالعلماء ، ١١٤

١١٤ وما بعدها .

(٦) باتون ، احمد بن حنبل والمحنة ، ٢٠ .

ومقولاتهم^(١) .

رابعاً - الوضع الاقتصادي :

الذي يعنينا في هذا الجانب محوران اساسيان هما : البذخ والترف الذي اتبعه الخلفاء في الانفاق على بناء القصور وإقامة المتنزهات والانفاق في رحلاتهم الامر الذي ادى بالعلماء الى انتقادهم ثم ضعف الاهتمام بالمشاريع العامة في معالجة اوضاع الفقر التي عانى منها ابناء العامة .

كان من مظاهر البذخ ذلك الاسراف والتصرف الظالم باموال المسلمين ما انفقه المأمون من الاموال الطائلة المذهلة في زواجه بالسيدة بوران فقد امهرها الف الف دينار وشرط عليه ابوها الحسن بن سهل ان يبني بها في قريته الواقعة بفم^(٢) الصلح ، ولما اراد الزواج سافر الى فم الصلح ونثر على المعسكر الذي كان معه الف الف دينار ، وكان معه في سفره ثلاثون ألفاً من الغلمان الصغار والخدم الصغار والكبار وسبعة الاف جارية وفي ساعة الزفاف اجلست بوران على حصير منسوج من الذهب^(٣) .

وقد انفق الحسن والمأمون هذه الاموال الطائلة على هذا الزواج من بيت مال المسلمين وقد أمر الله بانفاقه على مكافحة الفقر ومطاردة البؤس والحرمان^(٤) .

ووهب ملوك بني العباس اموال المسلمين بسخاء الى المغنين والمغنيات والخدم فقد غنى ابراهيم بن المهدي العباسي لمحمد الامين صوتاً فاعطاه ثلاثمئة الف درهم فاستكثرها ابراهيم وقال له : (يا سيدي لو أمرت بعشرين الف الف درهم فقال له الخليفة هل هي الاّ خراج بعض الكور)^(٥) .

وتفنن الخلفاء العباسيون في بناء قصورهم فاشادوا اضخم القصور التي لم يشيد مثلها في البلاد وقد بنوا في بغداد قصر الخلد وكان من اعظم الابنية الايوان الذي بناه الامين وقد وصفه المؤرخون بانه جعله كالليضة بياضاً ثم ذهب بالابريز المخالف بينه بالالزود وكان ذا ابواب عصام ومصاريع غلاظ تتلأأ فيه مسامير الذهب التي قمعت رؤوسها بالجواهر النفيس وقد فرش بفرش كانه صبغ بالدم وقد نقش بتصاوير من الذهب وتمائيل العصيان ونضد فيه العنبر

(١) ابو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي ، مجالس العلماء ، تحقيق : عبدالسلام هارون (الكويت : ١٩٦٢) ١٠ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ٩٧/١٠ .

(٢) فم الصلح : وهو نهر كبير فوق واسط بينها وبين جبل عليه عدة قرى وفيه دار الحسن بن سهل وزير المامون ، الحموي ، معجم البلدان ، ٢٧٦/٤ .

(٣) الامام محمد بن علي ، اعلام الهداية عبر الانترنت ، ٣٥ ، www.google.com .

(٤) نفسه .

(٥) نفسه .

الاشهب ، وبلغ البذخ والترف في ذلك العصر أن كثيراً من ابواب الدور في بغداد كانت من الذهب ، في حين ان افراد عامة الناس كانت تشكو الجوع والحرمان^(١) ، ولقد وسع المتوكل في معالم العمران فيما أنشأه من قصور ومبان خلد التاريخ ذكرها .

تولى المتوكل الخلافة في سامراء بعد وفاة اخيه الواثق سنة (٢٣٢هـ / ٨٤٧م) ودامت خلافته خمس عشرة سنة الى ان قتل سنة (٢٤٧هـ / ٨٦١م) حيث كان المتوكل من أرباب الذوق والأنس لا يقعه عما يشتهي مال وقد انصرف انصرافاً عجبياً الى بناء قصور فخمة في سامراء كثر عددها حتى بلغت تسعة عشر قصراً انفق في سبيلها اموالاً طائلة ، وبلغ التقن في بنائها مبلغاً عظيماً فإن أمهر العمال والصناع تناولوا تلك القصور بالبناء والتجميل والتزيق واهم تلك القصور : البديع - البرج - البركة - بركوارا - والهو - والجامع والجعفري والجوسق والسندان والشاة والصبيح والعروس والغريب والقصر وقصر المتوكلية والقلاية واللؤلؤ والمختار والملبيح وقد انفق على هذه القصور مئتي الف الف دينار^(٢) .

ومما يدل على بذخ المتوكل يقال انه شرب يوماً في بركوار فقال لندمائيه : (أرأيتم ان لم يكن ايام الورد لا نعمل نحن شاذكلاه (يوم الفرح) ؟ قالوا : يا امير المؤمنين لا يكون الشاذكلاه الا بالورد فقال : بلى ادعوا لي عبيد الله بن يحيى فحضر فقال : تقدم بان تضرب لي دراهم في كل درهم حبتان قال : كم المقدار يا امير المؤمنين ؟ قال : خمسة الاف الف درهم وليس الخدم الكسوة التي اعددها وأمر بنشر الدراهم كما ينثر الورد فنثرت اولاً فكانت الريح تحمل الدراهم فتقف بين السماء والارض كما يقف الورد فكان من احسن ايام المتوكل واطرفه^(٣) .

فضلاً عن ذلك ان قصور العباسيين حفلت بافخم انواع الاثاث وافخرها اذ يذكر ان السيدة زبيدة اصطنعت بساطاً من الديباج جمع صور كل حيوان من جميع الاجناس وصورة كل طائر من الذهب^(٤) .

يتبين لنا مما سبق ان هذه الاوضاع كانت مدعاة للعلماء والزاهدين والذين يسرون حسب كتاب الله وسنة نبيه ان يلاحظوا مظاهر البذخ هذه والترف الذي تعيشه هذه الطبقة من الناس وملاحظة ما كان يعاني منه الفقراء وعامة الناس لعدم امتلاكهم ما يقوم حياتهم ، وكثيراً ما كانوا يثوروا على هذه الطبقة المترفة ويقومون باعمال اللصوصية والنهب لاشباع حاجاتهم فكان دور

(١) محمد بن علي ، اعلام الهداية ، ٣٥ ، وللمزيد انظر آدم متر ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري (بيروت ك ١٩٦٧) ٢/٢٠٩ وما بعدها ، الرفاعي ، عصر المأمون ، ٣٣/١ وما بعدها .

(٢) ابو الحسن علي بن محمد الشابشتي ، الديارات ، تحقيق : كوركيس عواد (بيروت : ١٩٨٦) ٣٦٤ .

(٣) الشابشتي ، الديارات ، ٣٦٤ .

(٤) محمد بن علي ، اعلام الهداية عبر الانترنت ، ٣٤ .

هؤلاء الوعاظ واضحاً لتنبيه هذه الطبقة بترفهم وملذاتهم وبأنهم محاسبون على كل شيء أمام الله ومحاسبون عن معاملتهم لهذه الرعية ، وهذا ما سنراه في الفصل اللاحق .

وقد كانت تقاليد الخلفاء العباسيين الاوائل في الاهتمام ببناء القصور مأخوذة من الفرس واتخذوا الخدم والغلمان ، وحذا حذوهم اكثر الخلفاء العباسيين من بعدهم وتبعهم في ذلك القواد والامراء والوزراء ورجال الدولة وتجنب بعض الخلفاء البذخ والاسراف كالمهتدي الذي حرم الغناء والشراب وجميع وسائل التسلية واللهو وبنى قبة ذات اربعة ابواب سماها قبة المظالم كان يجلس فيها للعامة والخاصة^(١) .

هناك انواع اخرى من مظاهر البذخ والترف تجلت في الملابس فقد اخذوا عن الفرس انواعاً مختلفة منها وتفننوا في حياكتها وتطريزها وتزيينها بالذهب والجواهر وكان للملابس اصول وقواعد من حيث نوعها والوانها واوقات لبسها ومن بين الالبسة التي اتخذها الخلفاء عن الفرس القلائس فوضعوا العمام فوقها وزينوها بجوهر غالية ، فقد أمر المنصور بلبسها سنة (١٢٣هـ / ٧٤٠م) تشبهاً بالفرس وابطلها الرشيد ثم اعادها المعتصم وسميت بالمعتصميات وصغرت في عهد المستعين^(٢) .

وكان الخلفاء وحدهم دون سائر افراد المجتمع يلبسون الخفاف الحمر في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، وللخلفاء لباس خاص بالموكب والاحتفالات يشتمل على العمامة السوداء او الرصافية وبردة الرسول ﷺ^(٣) ، ونلاحظ بذخ الخلفاء ايضاً على حفلات الختان لاولادهم^(٤) . وكان الوزراء لا تقل قصورهم في العصر العباسي الاول روعة وعظمة عن قصور الخلفاء واحسن مثل على ذلك قصر جعفر البرمكي الذي سمي بقصر الحسن ثم اصبح دار الخلافة^(٥) .

وقد شمل البذخ حتى مواكب الحج وقد انتقد الفقهاء هذا البذخ صراحة في اكثر من مناسبة ، ففيما يخص الخلفاء العباسيين فقد حج المنصور (١٣٦هـ - ١٥٨هـ / ٧٥٣ - ٧٧٤م) اربع مرات في الاعوام (١٤٠هـ / ٧٥٧م و ١٤٤هـ / ٧٦١م و ١٤٧هـ / ٧٦٤م و ١٥٢هـ /

(١) رحمة الله ، الحالة الاجتماعية ، ٥٩ .

(٢) السابق ، ٦٦ .

(٣) السابق ، ٦٧ وللمزيد انظر : عويس ، المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ ، ٣٧١ وما بعدها .

(٤) للمزيد انظر : رحمة الله ، الحالة الاجتماعية ، ٦٩ وما بعدها ؛ عويس ، المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ ، ٣٥٥ وما بعدها .

(٥) رحمة الله ، الحالة الاجتماعية ، ٧٣ .

٧٦٩م) وذلك بعد توليه الخلافة وفي عام (١٥٨هـ / ٧٧٤م) توجه الى الحجاز لاداء الحج غير انه توفي قبيل دخوله مكة^(١) ويرى البلاذري أن عدد مرات حج المنصور اقل من ذلك^(٢) .

يبدأ الاستعداد للحج باعلان الخليفة عن نيته في اداء فريضة الحج ، على ان يبدأ السفر في وقت يجري تحديده^(٣) حيث يصدر الخليفة اوامره الى الوزير الذي يقوم من جانبه باصدار الاوامر التحريرية او الشفوية الى الجهات ذات العلاقة كافة ليتخذ كل منها الاستعدادات اللازمة لهذه الرحلة وقيام صاحب الخزانة باعداد ما يحتاجه موكب الخليفة من مستلزمات مادية تبدأ بالملابس وتنتهي بالمضارب التي تنصب للخليفة احياناً في الطريق وقيام المسؤول عن مطبخ الخليفة باتخاذ استعداداته فضلاً عن قيام القادة العسكريين باعداد القوة العسكرية اللازمة لحماية موكب الخليفة وربما يقوم الحاجب باختيار او تنفيذ توجيهات الخليفة بشأن من سيرافقه في موكبه^(٤) .

كان للفقهاء مكانهم المميز في هذا الموكب ، فقد كان الرشيد يصطحب معه مئة من الفقهاء مع اولادهم وكان في السنة التي لا يحج فيها يتحمل نفقات حج ثلاثمئة من الفقهاء بالنفقة السابقة والكسوة الظاهرة^(٥) ، ولا بد من اصطحاب الخليفة عدداً من الادباء والشعراء في سفره الطويل هذا فقد صحب بشار بن برد المنصور في حجه^(٦) ، وحج الشاعر ابو العتاهية مع الرشيد^(٧) ثم يأتي فريق الاطباء الذين يسهرون على صحة الخليفة وطعامه ولا بد ان يكون هؤلاء هؤلاء دائمي الاستعداد لاتخاذ ما يلزم^(٨) فعند مرض المهدي في حجه اجتمع الاطباء للكشف عن سبب مرضه ثم اجرؤا له الحجامه^(٩) ، ولا بد للموكب ان يضم عدداً من الجواري والخدم لتلبية حاجات الخليفة وموكبه الضخم ، فضلاً عن فرقة الجند وقادتها التي تكفل توفير الامن والحماية للموكب تجاه أي خطر يداهمه .

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، ٣٨٨/٢ .

(٢) انساب الاشراف ، ١٩٠/٣ . وللمزيد عن حج الخلفاء انظر : محمد حامد اسماعيل ، اسفار الخلفاء ، رسالة دكتوراه (موصل : ١٩٩٧) ٣٣ وما بعدها .

(٣) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ٣١٤ .

(٤) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢٢٨/٦ .

(٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ٦/١٤ ؛ ابن الجوزي ، المصباح ، ٤٤٣/١ وما بعدها .

(٦) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٣٨٢/٥ .

(٧) المسعودي ، مروج الذهب ، ٣٧/٤ .

(٨) موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم بن ابي اصبغ ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق : د. نزار رضا (بيروت : ١٩٦٥) ٢١٩ .

(٩) نفسه .

من هنا يتضح لنا مقدار الاسراف الذي كان يصرف على هذه الرحلات وتزويدها بكل ما تحتاجه وكل هذا يتم من خزينة الدولة التي هي بالاصل مخصصة للمسلمين والتي كان السلف الصالح في عهد الخلافة الراشدة يحاسبون انفسهم على كل درهم يصرف منها .

كان الامام سفيان الثوري من اكثر الفقهاء وعظماً وبشدة للخلفاء الذين عاصروهم فالخليفة المهدي اثناء حجه طلب سفيان الثوري فلما دخل عليه بادره بالقول في بعده عنه وعدم تقديمه المشورة والنصيحة ليأخذ بالذي يوصي به ويترك الذي ينهي عنه وسأله سفيان الثوري : كم انفق في سفره حتى وصل مكة فقال له المهدي لا اعرف لدي امانة ووكلاء فقال له سفيان الثوري : فما عذرك غداً اذا وقفت امام الله فسألك عن ذلك ، فالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حج سال غلامه كم انفقت قال له : ثمانية عشر ديناراً فأجابه ويحك اجحفنا بيت مال المسلمين^(١) .

وعندما حج الرشيد الى مكة لاجل يمين حلفها فرش له من العراق الى الحجاز اللبود المرعزي وكان حلف ان يحج ماشياً راجلاً فاستند يوماً وقد تعب الى ميل فاذا بسعدون المجنون قد عارضه وهو يقول :

هب الدنيا تواتيكا

أليس الموت يأتيكا

فما تصنع بالدنيا

وظل الميل يكفيكا

الا يا طالب الدنيا

دع الدنيا لشانيكا

كما اضحك النهر

كذاك النهر يبيكيكا^(٢)

وسوف يأتي مفصلاً في الفصل الثالث المواعظ الموجهة الى الخلفاء عند دراسة اشكال الوعظ .

لقد ادى هذا البذخ والترف الذي نعم به الخلفاء الى حدوث فوارق طبقية في المجتمع العراقي فغالبية السكان هم من الطبقة العامة التي تضم الصناع والفلاحين وعدداً كبيراً من العلماء والادباء وكان مستوى معيشة هذه الطبقة متبايناً ، هذا التفاوت الطبقي في المعيشة بين

^(١) الطرطوشي ، سراح الملوك ، ٥١ ؛ ابو نعيم احمد بن عبدالله الاصبهاني ، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء (بيروت : ١٩٦٧) ٦/٣٧٧ .

^(٢) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ١٨٩/٢ وما بعدها .

حياة الترف لدى الخلفاء واتباعهم وبين طبقة العامة ادى الى نتائج وآثار في المجتمع العراقي منها قيام الثورات ضد الحكام للمطالبة بزيادة اجورهم وتوفير وسائل المعيشة لهم^(١) .

وقد كان لحياة الترف التي تنعم بها الخلفاء تاثير سيء في الدولة إذ عمد عدد منهم الى مصادرة اموال وزرائهم وكبار رجال دولتهم كالحجاب والعمال والقواد رغبة في ابتزاز الاموال فالخليفة الواثق اكثر من مصادرة موظفيه حتى اصبحت المصادرات سنة سيئة لمن خلفه ومصدراً يعول عليه في اوقات الحاجة ، كما عمد الخليفة المتوكل الى المصادرات وذلك لحاجته الى الاموال في بناء قصوره ولحياته الخاصة المترفة فقد صادر اموال شخصيات كثيرة منهم اسحاق بن ابراهيم بن مصعب ، وكذلك صادر اموال اخيه^(٢) .

وقد قام الخلفاء بالعديد من الرحلات الترفيهية والنزهات فضلاً عن رحلاتهم العسكرية والدينية والسياسية^(٣) وليس هناك خليفة الا وخرج للتنزه في اطراف العاصمة وضواحيها وبساتينها او في اثناء الاسفار السياسية والعسكرية التي قام بها ، ففي سنة (١٥٨ هـ / ٧٧٤م) خرج المنصور مودعاً ابنه المهدي وفي طريق العودة عرج على احد الضياع للتنزه منها منطقة جراجرايا قرب بغداد فسقط عن دابته وشج ما بين حاجبيه^(٤) .

وكان المهدي يتنزه في بساتينه في الرصافة ، وقد استقبل هناك مرة بشار بن برد فنهاه عن قول الغزل لغيرته الشديدة^(٥) .

وكان الرشيد يكثر من التنزه بصحبة كبار رجال الدولة او افراد الاسرة العباسية وكان يكثر التنزه في دجلة ويعجبه غناء الملاحين اما المأمون فغلب عليه التنزه في منطقة

(١) رحمة الله ، الحالة الاجتماعية ، ٧٦ .

(٢) نفسه .

(٣) للمزيد انظر : اسماعيل ، اسفار الخلفاء ، ٣٣ وما بعدها .

(٤) الطبري ، تاريخ ، ٥٧/٨ .

(٥) الرفاعي ، عصر المأمون ، ٢٧٤/٢ .

الشماسية^(١) .

اما الخدمات العامة التي قدمتها الدولة لسكان بغداد فقد توزعت على محاور اساسية تمثلت باقامة الجسور والقناطر وتوفير مياه الشرب ثم اقامة المنشآت الصحية فيذكر الخطيب البغدادي الجسور التي عقدها المنصور ببغداد فذكر انه في عام (١٥٧هـ / ٧٧٣م) عقد الجسر عند باب الشعير^(٢) ، وأضاف ايضاً كان المنصور قد امر بعقد ثلاثة جسور احدها للنساء ثم عقد لنفسه وحشمه جسرين بباب البستان^(٣) .

وعندما تولي المهدي الخلافة انشأ هو الآخر جسرين على دجلة^(٤) ثم عقد الرشيد جسرين آخرين^(٥) وبقيت هذه الجسور تؤدي خدماتها حتى اواخر القرن الثاني للهجرة حيث تعطل معظمها بسبب الصراع المحتدم بين الامين والمأمون فلم يبق منها سوى ثلاثة فقط^(٦) ثم تعطل آخر في خلافة المأمون ولم يبق ببغداد سوى جسر واحد بباب الطاق تأكيد على نقص الخدمات بسبب تدهور الاوضاع^(٧) .

أما الخدمات الصحية فقد تنوعت منذ وقت مبكر وان كان حجمها محدوداً نسبياً فقد كانت هناك مستشفيات تخصصية واخرى عامة واقدم اشارة بهذا الشأن ترجع الى خلافة المهدي (١٥٨هـ - ١٦٨هـ / ٧٧٤م - ٧٨٤م) الذي بنى دوراً للمرضى واخرى للنفقة على المجذوبين والعميان^(٨) ، ويرقى الى عصر الرشيد (١٧٠هـ - ١٩٤هـ / ٧٨٦م - ٨٠٩م) اقدم اشارة الى دار المجانين حيث اوفد تامة بن اشرس الى هذه الدار لاصلاح احوالها واحوال نازليها^(٩) ، كما انشأ انشأ الرشيد مستشفى الامراض العامة في بغداد^(١٠) .

(١) الاصفهاني ، الاغاني ، ٦٤/٩ .

(٢) تاريخ بغداد ، ١١٥/١ .

(٣) السابق ، ١١٦/١ .

(٤) نفسه .

(٥) الهمداني ، بغداد ، ٥٥ .

(٦) الخطيب ، تاريخ ، ١١٦/١ .

(٧) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١١٦/١ ، وللمزيد انظر ، نوري ، العامة والسلطة ، بغداد ، ٢٠٠ وما بعدها .

(٨) طاهر بن مطهر المقدسي ، البدء والتاريخ ، تحقيق : كلان هوار (باريس : ١٩١٦) ٩٦/٦ .

(٩) ابو اسحاق برهان الدين الكتبي الوطواط ، غرر الخصاص ببيروت : د/ت ١٢٩ .

(١٠) جمال الدين القفطي ، تاريخ الحكماء ، تحقيق : جوليوليبرت (بغداد : ١٩٠٣) ٣٨٣ .

وكان من بين اعمال الرعاية الصحية ايضاً ما كان يقوم به ديوان الصدقات من توزيع للاموال بصورة مستمرة على المصابين باشكال من العوق والزمانة مثل العميان وان كانت اعمال هذا الديوان تخضع احياناً لطبيعة سلوك القائمين عليها^(١) ، كما ان التخصيصات المالية الحكومية اللازمة للمصالح العامة كانت محدودة وضئيلة^(٢) .

ويرى عدد من الباحثين ان الدولة العباسية في هذه الفترة لم تكن دولة خدمات لتضع نصب عينيها الاهتمام الجدي بها ، فالخدمات الصحية بشكلها الواسع ظهرت متأخرة نسبياً معتمدة على جهود الافراد بصورة رئيسة ، كما ان جانباً من مشاريع مياه الاحواض قامت بجهود الافراد هي الاخرى انطلاقاً من فكرة الصدقة الجارية^(٣) .

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١١/ ١٩٤ .

(٢) رودنسون ، الاسلام والرأسمالية (بيروت : ١٩٨٢) ٨٠ .

(٣) نوري ، العامة والسلطة في بغداد ، ٢٠٤ .

الفصل الثالث

أنماط وعظ الخاصة

الخاصة : هم اصحاب الخليفة من ذوي قرياه ومن رجالات الدولة البارزين كالوزراء والكتاب والقوات والاشراف والقضاة والشهود علاوة على بعض المقربين من اهل الفن الموهوبين والعلماء واهل الادب^(١) .

اولاً : الوعظ المباشر :

ويراد به تلك المواعظ التي قيلت امام الخلفاء مباشرة بما يراه الواعظ من امر الدنيا والاختفاء التي قد يقع بها الخليفة فينبهه عليها .

وقد اتخذ الوعظ المباشر صوراً متعددة ولكل صورة شواهد عديدة منها :

١ - وعظ الخلفاء بطلب منهم :

فما جاء بطلب من الخلفاء مثلاً : طلب الخليفة ابو جعفر المنصور (ت ١٥٨ هـ / ٧٧٤ م) من الامام الاوزاعي^(٢) ان يعظه فقال له وهو يحثه على العمل من اجل الرعية وعدم الظلم ، وحثه على لقاء الاخوان من العلماء واستشاراتهم فهم خير من جمع المال وقال : (لقاء الاخوان خير من لقاء الالاهل والمال)^(٣) .

ويعد عمرو بن عبيد^(٤) من اكثر الواعظين الناصحين للخليفة ابي جعفر المنصور ويحظى بمكانة كبيرة عنده ولا يتوانى في وعظه في كل مناسبة ولم يترك جانباً الا وتطرق له ، وكان الخليفة المنصور يطلب منه ان يعظه حيث كان صديقاً حميماً له في البصرة قبل ان يصبح خليفة ، وعظه يوماً فقال :

(يا أمير المؤمنين ان الله اعطاك الدنيا باسرها فأشتر نفسك منه ببعضها واعلم ان الامر الذي صار اليك لو بقي لمن قبلك لم يصل اليك واعلم انك لست اول خليفة تموت فاحذر يا أمير المؤمنين ليلة صبيحتها القيامة ليلة تتمخض بיום الفرع الاكبر^(٥) ان الله يقول (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ

(١) فهد ، العامة بغداد في القرن الخامس الهجري ، ١١-١٣ .

(٢) الاوزاعي : هو عبدالرحمن بن عمرو ، والاوزاع بطن من بطون همدان وهو من انفسهم ولد سنة (٨٨ هـ / ٧٠٦ م) وكان ثقة مأموناً صدوقاً فاضلاً كثير الحديث والعلم والفقہ حجة توفي سنة (١٥٧ هـ / ٧٧٣ م) في آخر خلافة ابي جعفر المنصور . انظر ابن سعد ، الطبقات ، ٤٨٨/٧ ؛ طاش كبري زاده ، طبقات الفقهاء ، ١١٣ .

(٣) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ١٢٢/٢ ؛ عبد الوهاب الشعراني ، الطبقات الكبرى (القاهرة : د/ت) ٣٩/١ .

(٤) عمرو بن عبيد : كبير المعتزلة ابو عثمان البصري من اجود اهل البصرة مولى بن عقيل توفي سنة (١٤٤ هـ / ٧٦١ م) انظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب (القاهرة : د/ت) ٨٨٢/٣ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ١٠٤/٦ ؛ ابو محمد عبدالله بن سعد بن علي بن سليمان اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (بيروت : ١٩٧٠) ٢٩٥/١ .

(٥) عبدالرحمن سنبط قيننتو الاريلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، صححه : مكى السيد جاسم (بغداد : د/ت) ٦٩ .

رَبِّكَ بَعَادَ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ^(١) وهذا تخويف لمن سلك جادتهم واتبع آثارهم فبكى المنصور^(٢) .

وطلب الخليفة المنصور من عمرو بن عبيد أن يعظه بما رأى بعينه فقال :
(توفي عمر بن عبدالعزيز رحمه الله وخلف احد عشر ابناً وبلغت قيمة تركته سبعة عشر ديناراً فكفن بخمسة دنانير واشترى له موضع قبره بدينارين واصاب كل واحد من اولاده اثني عشر قيراطاً ، ومات هشام بن عبدالملك وخلف احد عشر ابناً فحصل كل واحد من ورثته مما خلفه عشرون الف دينار فرأيت رجلاً من اولاد عمر بن عبدالعزيز قد حمل على مائة فرس في سبيل الله ورأيت رجلاً من اولاد هشام يسأل الناس)^(٣) .

وطلب الخليفة ابو جعفر المنصور من الامام سفيان الثوري^(٤) ان يعظه فقال له : (وما عملت يا أمير المؤمنين فيما علمت فاعظك فيما جهلت فما وجد له المنصور جواباً)^(٥) .

وقد يغلظ عدد من العلماء ويقسو على الخليفة في وعظه ففي هذا المجال يروي لنا الامام مالك بن انس^(٦) ان الخليفة أبا جعفر المنصور أرسل اليه والى العالم ابن طاووس^(٧) ، فدخلوا عليه فقال : عطني يا بن طاووس فأجابه : يا امير المؤمنين ان الله تعالى يقول : (الَّذِينَ يَرْكَبُوا فِي رِبِّكَ بَعَادَ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَارِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبَالْمُرْصَادِ)^(٨) .

وطلب الخليفة ابو جعفر المنصور من جعفر بن حنظلة البهراني^(٩) ان يعظه فقال :

(١) سورة الفجر ، آية ٦ .

(٢) الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ٦٩ .

(٣) عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي ، سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي (د/م : د/ت) ٢٦٠/٣ .

(٤) سفيان الثوري : ولد سنة (٩٧ هـ / ٧١٥ م) وخرج من الكوفة الى البصرة سنة (١٥٥ هـ / ٧٧١ م) وتوفي في البصرة سنة (١٦١ هـ / ٧٧٣ م) عالم الامة وزاهدا : انظر الشعراني ، الطبقات الكبرى ، ٤٠/١ وما بعدها .

(٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٥٧/١ .

(٦) مالك بن انس : شيخ الاسلام وحجة الامة ابو عبدالله مالك بن انس بن ابي عامر بن عمرو هو احد الائمة الاربعة ولد سنة (٧٣ هـ / ٦٩٢ م) وتوفي سنة (١٧٩ هـ / ٧٩٥ م) . انظر الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤٨/٨ ؛ تذكرة الحفاظ ، ٢٠٧/١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٧٤/١ .

(٧) ابن طاووس : هو الامام المحدث الثقة ابو محمد اليماني عبدالله بن طاووس كان اعلم الناس بالعربية واحسنهم اخلاقاً ، انظر الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ١٠٣/٦ .

(٨) سورة الفجر ، الآيات ٦ - ١٤ .

(٩) لم اعثر له على ترجمة .

(يا أمير المؤمنين ادركت عمر بن عبدالعزيز سنتين لم يتخذ مالا ولم ينشئ عينا ولم يستخرج ارضا ولم يضع لبنة على لبنه ولا احصي كم من ولده تحمل الحملات وحمل على الخيل ، وولي هشام بن عبدالملك ثمانين عشر سنة ما منها سنة الا وهو ينشيء عيونا ويتخذ فيها اموالا ويقطع لولده القطائع ، ولا اعرف اليوم من ولده رجلاً يشبع فقال والله لقد وعظت واحسنت قال جعفر ، ففرحت ان نجحت عظتي في أمير المؤمنين^(١) .

يعد الامام سفيان الثوري من اكثر الفقهاء وعظاً للخلفاء الذين عاصروهم ، فقد طلب الخليفة المهدي (ت ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م) أثناء حجه حضور سفيان الثوري فلما دخل عليه بادره بالقول في بعده عنه وعدم تقديمه المشورة والنصيحة ليأخذ بالذي يوصي به ويترك الذي ينهى عنه ، وسأله سفيان الثوري كم انفق في سفره حتى وصل مكة قال له الخليفة المهدي لا اعرف لدي أمناء ووكلاء فقال له سفيان الثوري : فما عذرك غداً اذا وقفت امام الله فسألك عن ذلك ؟ فالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حج سأل غلامه كم أنفقت قال له : ثمانية عشر ديناراً فاجابه : ويحك احجفنا بيت مال المسلمين^(٢) ، وبعدها عينه على قضاء الكوفة فلم يقبل^(٣) .

وطلب الخليفة المهدي من الامام مالك ان يعظه فوعظه بتقوى الله واللفظ بأهل بيت الرسول صلوات الله عليهم وبعدها أجزل المهدي العطاء لاهل المدينة كونها مدينة رسول الله صلوات الله عليهم^(٤) . كان الامام مالك يحترم نفسه اذا لقي الخلفاء ليكون لموعظته اثرها ووقعها في مقام القول من مقام قائله^(٥) .

ويعد الخليفة هارون الرشيد (ت ١٩٣ هـ / ٨٠٨ م) من اكثر الخلفاء العباسيين ميلاً وتأثراً بالوعظ وغالباً ما يبيكي على مواعظهم وتذكيرهم له^(٦) .

ومن ابرز الوعاظ الذين كان لهم تأثير واضح في مواعظه للخليفة هارون الرشيد ونالوا الحظوة والتأثير عليه (الفضيل بن عياض)^(١) حيث كان على علاقة وثيقة بهارون الرشيد ، إذ

(١) ابراهيم بن محمد البيهقي ، المحاسن والمساوئ (بيروت : ١٩٦٠) ٣٣٧ .

(٢) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ٥١ ؛ الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٣٧٧/٦ .

(٣) محمد عبدالله السمان ، سلسلة الثقافة الاسلامية ، العدد الثلاثون ، ١٧ .

(٤) محمد ابو زهرة ، مالك حياته وعصره آراؤه وفقهه (القاهرة : د/ت) ٧٩ .

(٥) نفسه .

(٦) الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ١١١ ؛ حسين بن محمد الحسن البكري ، تاريخ الخميس في احوال

انفس نفيس (بيروت : د/ت) ٣٣١/٢ .

يعد الفضيل من كبار العلماء في العصر العباسي الاول اشتهر بزهده وورعه وهو محدث وثقة عند كبار علماء عصره اتصل بالخليفة هارون الرشيد ووعظه بمواعظ كثيرة اتسمت بالصراحة والجرأة والصدق في سبيل تعزيز قوة الاسلام ونشر العلم وقد لاقت هذه المواعظ القبول والاستحسان من الخليفة هارون الرشيد الذي كان غالباً ما يبيكي عند سماعه اياها بل اثرت فيه وبسلوكه ، وفي اتخاذه بعض القرارات منها قراره بتشجيع العلم والعلماء وتوطدت هذه العلاقة في محبة كبيرة بين الرجلين وعند وفاة الفضيل بن عياض حزن الرشيد عليه حزناً شديداً ، ويذكران اول لقاء بين الخليفة الرشيد والفضيل بن عياض كان عندما حج الرشيد وكان معه الفضل بن الربيع الوزير فجاءه الرشيد ليلاً وقد حاك في نفسه شيئاً طالباً منه عالماً يوعظه ويذكره فواصله الفضل بن الربيع الى العالم سفيان بن عينية وهو من كبار العلماء الفقهاء في المدينة آنذاك فحدث الرشيد ووعظه وسأله الرشيد عن حاجته فاعطاه مالاً لقضاها ولكن الرشيد يبدو انه لم يتأثر بما قاله فطلب من الفضل بن الربيع عالماً آخر يحدثه فأشار عليه الى عالم هو عبدالرزاق بن همام فذهبا اليه فحدث الرشيد ووعظه وعندما خرج الرشيد سأله هل عليك دين قال : نعم ، ثم قال للفضل اقضي دينه فلما خرج الرشيد قال للفضل ما اغنى عني صاحبك شيء وطلب منه عالم آخر يعظه فأشار اليه بالفضيل بن عياض ، فذهبا اليه فقرع الباب على الفضيل بن عياض فاذا هو قائم يصلي ويتلو اية من القرآن ، فلما فرغ وسمع ذلك قال من هذا قال الفضل بن الربيع اجب أمير المؤمنين قال : مالي ولأمير المؤمنين فقلت سبحان الله ، اما عليك طاعة فنزل وفتح الباب ودخلنا نجول بايدينا بعد ان انطفأ السراج وسبقت يد الخليفة هارون الرشيد الى الفضيل بن عياض فقال : (يا لها من كف ما أليها إن نجت غداً من عذاب الله عز وجل) ووعظ الخليفة الرشيد في هذه الليلة قائلاً : (ان اردت غداً النجاة من عذاب الله فاحبب المسلمين كما تحب لنفسك واکره لهم ما تكره لنفسك) فبكى الرشيد بكاءً شديداً^(١) .

وطلب منه الرشيد ان يعظه مرة اخرى فقال له : (بلغني ان عاملاً لعمر بن عبدالعزيز شكى اليه فكتب اليه عمر بن عبدالعزيز يا اخي : اذكرك طول سهر أهل النار مع خلود الابد ، ولياك ان ينصرف بك من عند الله فيكون آخر عهد وانقطاع الرجاء ، قال : لما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبدالعزيز فقال له : ما اقدمك قال : خلعت قلبي بكتابك لا اعود الى ولاية حتى القى الله عز وجل ، فبكى هارون الرشيد^(٢) ، وقال له زدني : رحمك الله فقال :

(١) الفضيل بن عياض : هو ابو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني الاصل ولد بمدينة سمرقند ونشأ بمدينة ابوبورد ثم قدم الى الكوفة انتقل بعدها الى مكة وجاورها الى ان مات سنة (١٨٧هـ / ٨٠٢م) . انظر ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٤/٤٩ ؛ السلمي ، طبقات الصوفية ، ٤٦ .

(٢) الاصمهباني ، حلية الاولياء ، ٨/١٠٦ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ٨٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ ، ٩/١٢٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٧/١٥٠ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥/١٢٢ .

(يا أمير المؤمنين ان عباس عم المصطفى ﷺ جاء الى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أمرني على إمارة قال له النبي ﷺ : (ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت ان لا تكون أميراً فافعل)^(١) فبكى هارون الرشيد وقال له زدني من مواظك فقال : (يا حسن الوجه ان الله يسألك عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت ان تقي هذا الوجه من النار فاياك ان تصبح وتمسي وفي قلبك غش لاحد من رعيتك فان النبي ﷺ قال (من اصبح لهم غاشاً لم ير رائحة الجنة) فبكى الرشيد وقال : عليك دين قال : نعم دين ربي لم يحاسبني عليه فالويل لي ان سألني والويل لي ان ناقشني والويل لي ان لم الهم حجتني قال الخليفة هارون الرشيد انما اعني دين العباد ، قال ان ربي لم يأمرني بهذا إنما أمرني ان أصدق وعده وأطيع أمره فقال عز وجل (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)^(٢) .

وفي المجال السياسي والديني كان كبار العلماء يقدمون مواظهم صراحة للخلفاء من دون مجاملة او خوف فالامام مالك بن انس طلبه الخليفة الرشيد ليشاوره في ثلاث مسائل : الاولى : ان يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه والثانية ان ينقض منبر الرسول ﷺ ويجعله من جوهر وذهب وفضة والثالثة ان يقدم نافع بن ابي النعيم إماماً يصلي في مسجد رسول الله ﷺ فأجاب الامام مالك عن ذلك أما تعليق الموطأ في الكعبة فان اصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع وتفرقوا في الافاق وكل عند نفسه مصيب ، وأما نقض منبر رسول الله ﷺ واتخاذك إياه من جوهر وذهب وفضة فلا أرى ان تحرم الناس من أثر النبي ﷺ وأما تقمك نافعاً إماماً في القراءة لا يؤمن ان تنثر منه نادرة في المحراب فتحفظ عليه ، فأجا به الرشيد وفقك الله يا ابا عبدالله^(٣) .

ومن الوعاظ الذين كان الرشيد يجلهم ويحترمهم ابا معاوية الضرير حتى انه في احد المناسبات صب الرشيد على يديه الماء اكراماً للعلم واهله^(٤) .
وطلب الخليفة هارون الرشيد من الامام الشافعي^(١) ان يعظه لكن الامام الشافعي رفض ذلك الا بعد شروط حتى يقبل بالموعظة وهي رفع الحشمة والهيبة وقبول النصيحة من جانب

(١) مسلم ، صحيح ، باب كراهة الامارة بغير ضرورة ، رقم الحديث (١٨٢٥-٦) ١٤٥٧/٣ .

(٢) سورة الذاريات ، الآيات ٥٦-٥٨ .

(٣) محمد بن احمد بن علي الحسني الفاسي ، تحصيل المرام في تاريخ البلد الحرام ، مخطوط ، المكتبة المركزية مايكروفيلم رقم ٣٦١ ، ورقة ٢٣ ؛ الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٣٣٢/٦ .

(٤) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٢٨٨/٩ .

ال خليفة حتى يكون لكلامه تأثير فقبل بذلك فقال له الامام الشافعي :
(اعلم انه من اطلال عنان الأمل في العزة طوى عنان الحذر في المهلة ومن لم يعول
على طريق النجاة خسر يوم القيامة اذا امتدت يد الندامة فبكى الرشيد ووصله بمال
جزيل)^(٢) .

وذكر السيوطي ان الخليفة هارون الرشيد طلب من شيبان ان يعظه فقال له بنصيحة لم
يفهمها الرشيد وطلب منه تفسيرها :

(لان تصحب من يخوفك حتى يدرك الأمن خير لك من ان تصحب من يؤمنك حتى
يدركك الخوف) أي من يقول لك انت مسؤول عن الرعية فاتق الله أنصح لك من يقول : أنتم
أهل البيت مغفور لكم وانتم قرابة رسول الله ﷺ^(٣) .

ويعد الخليفة هارون الرشيد من اكثر الخلفاء سماعاً للمواعظ والتأثير بها وكان يحج سنة
ويغزو سنة^(٤) .

وطلب الخليفة المأمون (ت ٢١٨هـ / ٨٣٣م) من الامام مالك بن أنس ان يأتي معه الى
بغداد فامتنع عن ذلك واستشهد بحديث رسول الله ﷺ (والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) وقال
: (المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد)^(٥) .

وطلب المأمون من اسماعيل بن حماد بن ابي حنيفة ان يعظه فقال له : (ان الله قد
اعطاك فهماً وعلماً يستغنى بهما عما عندي وذكره بحديث - دار بين الشعبي وابن الزبير اذ
وعظ الشعبي ابن الزبير بانه على فعل ما لم يفعل اقدر منك على رد ما فعلت)^(٦) .

وحاسب المأمون احمد بن يوسف بعد ان تظلم منه اصحاب الصدقات فقال انهم مارضوا
عن رسول الله ﷺ حتى أنزل فيهم الله تعالى (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا
رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ)^(٧) فقال له المأمون صدقت واحسنت النظر^(٨) .

(١) الشافعي : هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن يزيد بن عبدالمطلب بن هاشم
بن عبدمناف ولد سنة (١٥٠هـ / ٧٦٧م) وطاف من اجل العلم في البلاد الاسلامية ودخل العراق في اول خلافة الرشيد
للمزيد انظر ابن خلكان ، وفيات ، ١٦٣/٤ .

(٢) الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٣٣٦/١ .

(٣) تاريخ الخلفاء ، ٢٩٤ .

(٤) محمود شاكر ، التاريخ الاسلامي ، الدولة العباسية (بيروت : ٢٠٠٠) ١٤٤ .

(٥) الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٣٣١/٦ .

(٦) الغزالي ، مقامات ، ١٢٩ .

(٧) سورة التوبة ، الآية ٥٨ .

(٨) الغزالي ، مقامات ، ١٣٣ .

٢ - الوعظ بمبادرة من الوعاظ :

أما الوعظ المباشر للخليفة والذي يأتي بمبادرة من العلماء فكثير ، ففي عهد الخليفة ابو جعفر المنصور دخل عليه عمرو بن عبيد ووعظه حتى بكى واعطاه مالا فلم يقبله^(١) ، ووعظه مرة اخرى فقال :

(ان الله واقفك وسألك عن مثاقيل الذر من الخير والشر وان أمة محمد خصماؤك يوم القيامة وانك لا ترضى لنفسك الا بأن يعدل عليك فان الله لا يرضى منك الا بالعدل على رعيته يا امير المؤمنين : ان على بابك نيراناً تتأجج من الجور فبكى المنصور فقال سليمان بن مجالد^(٢) : يا عمرو قد شققت على أمير المؤمنين فقال : ويحك ان أمير المؤمنين ميت ومخل ما في يديه من هذه الدنيا ومرتهن بعملة وانت غداً جيفة بالعراء لا تغني عنه شيئاً ولقرب هذا الجوار منه خير له من قربك : يا أمير المؤمنين ان هؤلاء اتخذوك سلماً الى درك ارادتهم وصفاء دنياهم لهم فكلهم يوقد عليك فقال كيف أصنع يا ابا عثمان^(٣) .

وهنا نلاحظ ان هذه الموعظة اثرت تأثيراً كبيراً على الخليفة من الناحية السياسية فهو يطلب بعدها من عمرو بن عبيد ان يأتي باصحابه ليشاركوه في الحكم فقال :

(ادع لي اصحابك استعملهم قال ادعهم انت واطرد هؤلاء الشياطين عن بابك فان اهل الدين لا يأتون بابك وهؤلاء محيطون بك لانهم ان باينوهم ولم يعملوا باهوائهم ارشوك بهم وحملوك عليهم والله لئن رأوك عمالك لا تقبل منهم الا العدل لتقرين اليك به من لا نية له فيه)^(٤)

(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ٢٣٢/٣ ؛ صالح الحمارنة ، عمرو بن عبيد وعلاقته بالمنصور ، مجلة المؤرخ

العربي ، العدد الثاني والعشرون (بغداد : ١٩٨٢) ٢١٠ وما بعدها .

(٢) سليمان بن مجالد : لم اعثر له على ترجمة .

(٣) البلاذري ، انساب ، ٢٣٤/٣ .

(٤) نفسه ؛ البيهقي ، المحاسن والمساوي ، ٣٣٧ .

ووعظ عمرو بن عبيد الخليفة المنصور بقوله :

(ان الله لم يرض ان يكون احد من الناس فوقك فلا ترض ان يكون احد أشكر لربك منك)^(١) .

وقال غيره :

(أحق الناس بالسجود لله سبحانه وتعالى من رفعه الله عن السجود لاحد من خلقه فهناً الله أمير المؤمنين بما ساق اليه من الفضائل والفضل ووفقه للقيام باعباء الشكر وحاطه بالتولي والنصر ورزق جميع الرعايا من برة او في اللطف)^(٢) .

ودخل الامام سفيان الثوري على الخليفة ابي جعفر المنصور في منى ووعظه العدل في حكمه ومراعاة ابناء المهاجرين والانصار بقوله :

(إنق الله فانما أنزلت هذه المنزلة وصرت في هذا الموضع بسيوف المهاجرين والانصار ، وابناؤهم يموتون جوعاً ، حج الخليفة عمر بن الخطاب فما انفق الا خمسة عشر ديناراً فأجابه المنصور . أتريد ان اكون مثلك ، قلت لا تكن مثلي ولكن كن دون ما انت فيه وفوق ما انا فيه)^(٣) .

وقد يعظ عدد من العلماء الخلفاء في عدم التسرع في قتل الناس واقامة الحد والعفو عند المقدرة فالعالم مبارك في فضالة^(٤) بينما هو جالس مع المنصور اذ جاؤوا برجل لضرب عنقه فذكر مبارك الخليفة المنصور بحديث عن رسول الله ﷺ :

(اذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم من كان اجره على الله فلا يقوم الا من عفا)^(٥) فأمر العفو عن ذلك ، وبعدها عدد جرائم ذلك الرجل وما صنعه^(٦) .

(١) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ١٤٨/١ ؛ ابو عبدالله محمد ابن عبدوس الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا ، القاهرة : (١٩٣٨) ١١٦ .

(٢) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ١٤٨/١ .

(٣) السابق ، ١٣٤/٢ ؛ ابو محمد عبدالرحمن بن ابي حاتم محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الرازي ، الجرح والتعديل (بيروت : ١٩٥٢) ١٠٥/١ .

(٤) مبارك في فضالة : بن ابي امية او فضالة البصري مولى زيد بن الخطاب روى عن الحسن البصري وبكر بن عبدالله المزني وآخرين وقد كان من النساك جالس الحسن حوالي ثلاث عشرة سنة : انظر ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ٥٠/١٠ وما بعدها .

(٥) الحلبي وآخرون ، سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة ، رقم الحديث ١٩٢٢ ، ضعيف الجامع (الرياض : ١٩٩٩) ٦٦٩ .

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢٣/١٠ ؛ زين الدين بن تقي الدين بن عبدالرحمن الخطيب ، محاسن المساعي في مناقب الامام ابي عمر والاوزاعي ، تعليق : شكيب ارسلان (بيروت : ١٩٦٧) ٨٢-٨٥ .

ومن مواظب الاوزاعي لابي جعفر المنصور قوله :

(يا امير المؤمنين اتدري الملك لو بقي لمن كان قبلك لم يصل اليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك يا امير المؤمنين ما جاء في تأويل قوله تعالى : (ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها) قال رسول الله ﷺ الصغيرة هي التبسم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الايدي وحصدته الالسن يا امير المؤمنين بلغني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لو ماتت سخله على شاطئ الفرات لخشيت ان أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك وقد بلغني ان عمر بن الخطاب استعمل رجلاً من الانصار على الصدقة فرآه بعد ايام مقيماً فقال له أمجاهدون في سبيل الله قال : لا قال فكيف ذاك ؟ قال : لانه بلغني ان رسول الله ﷺ قال : (ما من وال يلي شيئاً من امور المسلمين الا أتى به يوم القيامة مغلوله يده الى عنقه فيوقف على جسر من النار فينقض به الجسر انتفاضة يزيل بها كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فبكى المنصور واخذ المنديل فوضعه على وجهه وجعل ينتحب في بكائه حتى ابكى الحاضرين^(١) ، فلما سكن عن المنصور البكاء رفع رأسه اليه وقال : (يا اوزاعي انت المقبول القول غير متهم النصيحة وقد سمعناها منك فصادفت قبولاً ان شاء الله تعالى والله موفق للخير والمعين عليها ، يا ربيع ادفع الى الاوزاعي ما يستعين به على زمانه قال : يا امير المؤمنين اني في غنى عن ذلك وما كنت لايبيع نصيحتي بشيء من عرض الدنيا ثم انه ودع المنصور وانصرف)^(٢) .

وحول اموال الناس أهي حلال أم حرام وعظ عباد بن كثير^(٣) الخليفة المنصور وسأله عن الاموال التي اخذها من بني امية وهي اخذت منهم غصباً وطلب منه ان يردها اليهم وقال له :

(حدثني عن الاموال التي اصطفيتموها من بني امية فلئن صارت اليكم ظلماً وغصباً فمما رددتموها الى اهلها الذين ظلموا ولئن كانت لبني امية لقد اخذتم ما لا يحل لكم اذا دعيت غداً بنو امية بالعدل جاؤا بعمر بن عبدالعزيز واذا دعيتم انتم لم تجيئوا باحد فكن انت ذاك الاحد مضت من خلافتك ستة عشر سنة قال : ما اجد اعواناً قلت : عونك علي بلا مرزئة انت تعلم ان ابا ايوب المورياني يريد منك كل عام بيت مال ، وانا اجيئك بمن يعمل بغير رزق ، اتيك بالاوزاعي واتيك بالثوري وانا ابغك عن العامة فقال : حتى استكمل بناء بغداد واوجه خلفك فقال

(١) الشيرازي ، المنهج المسلوك ، ٧٢٧ الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٢٤/١ .

(٢) الشيرازي ، المنهج المسلوك ، ٧٣٢-٧٣٣ .

(٣) عباد بن كثير : بن قيس التميمي كان ثقة قال عنه البخاري فيه نظر ؟ انظر ابن حجر العسقلاني ، تهذيب

له سفيان الثوري ولم ذكررتي له قال والله ما اردت الا النصح قال سفيان : ويل لم دخل عليه اذا لم يكن كبير العقل كثير الفهم كيف يكون فتنة عليهم وعلى الامة^(١) .

وحول الاقتداء بالخلفاء الراشدين والسير على نهجهم وعظ ابن ابي ذئب^(٢) الخليفة المنصور وقال له : (يا أمير المؤمنين قد هلك الناس لو أعتنهم مما في يدك من الفيء فأجابه بان هذه الاموال تصرف على سد الثغور والجيش ولولا ذلك لدخل الاعداء الى بيوتنا فقال ابن أبي ذئب فقد سد الثغور وجيش الجيوش وفتح الفتوح واعطى الناس اعطيتهم من هو خير منك قال : ومن هو ويلك ؟ قال : عمر بن الخطاب فنكس المنصور رأسه ولم يعرض له والتفت الى محمد بن ابراهيم الامام فقال : هذا الشيخ خير أهل الحجاز^(٣) .

ووعظ العالم صالح بن عبد الجليل^(٤) من كبار العلماء الزهاد في عهد الخليفة المهدي . الخليفة المهدي الذي كان ناسكاً بليغاً بعدما اتاحت له الفرصة للقاء به وما في اعناق العلماء من نصح ووعظ الخلفاء في الامر والنهي وتقريب العلماء والعمل بما يقولونه وينصحونه ليس رياء ولا بطراً وانما خوفاً من الله سبحانه وتعالى وتطبيق سنة نبيه عليه الصلاة والسلام وتذكيره من الغفلة والظلم كما جاء في قوله تعالى : (وَمَا يَزْعِدْكَ مِنَ الشَّيْطَانِ تَزَعٌ فَاَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)^(٥) والحكم بما جاء في القرآن واحقاق الحق والبعد عن الهوى^(٦) .

وفي مناسبة اخرى وعظه صالح بن عبد الجليل موعظة بليغة حتى ابكاه وذكره بسيرة الخلفاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه والخليفة عمر بن عبدالعزيز فرد عليه الخليفة المهدي بانه قد فسد الزمان وتغير أهله وتغيرت العادات والاهتمام بالدنيا والمال والنعمة والبعد عن الزهد كما كان لدى السلف الصالح^(٧) .

(١) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٨٧/٧ .

(٢) ابن ابي ذئب : هو ابو الحارث محمد بن عبدالرحمن بن المغيرة بن الحارث بن ابي ذئب توفي سنة ١٥٩ هـ / ٧٧٥م احد الائمة والمشاهير المصاحب للامام مالك . انظر ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٥٦٦/٤ ؛

الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ١٩١/١ .

(٣) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ٤٠٤/١ .

(٤) لم اقف له على ترجمة .

(٥) سورة فصلت ، الآية ٣٦ .

(٦) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٣٥٩/١ .

(٧) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ، ١٤٩ .

ودخل صالح المري^(١) على الخليفة المهدي وبعد السلام عليه وسروره بلقائه وعظه وذكره

بما فعله الرسول ﷺ من اجل اقامة العدل والحق وحثه على العمل بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية لان اثبت الناس يوم القيامة الذين يعملون بها ونصحه بعدم المكابرة في المعصية ، وكتب موعظته في ديوانه^(٢) .

ودخل شبيب بن شيبه على الخليفة المهدي فوعظه قائلاً : (ان الله عز وجل لما قسم الاقسام لم يرض لك من الدنيا الا بأسناها واعلاها فلا ترض لنفسك من الآخرة الا بمثل ما رضى الله لك به في الدنيا وعليك بتقوى الله والعفو عند المقدرة ومخالفة الهوى)^(٣) .

ووعظه عند وفاة ابنته سنة (١٦٩هـ / ٧٨٥م) فكانت احسن تعزية وابلغ موعظة : (يا أمير المؤمنين ما عند الله خير لها منك وثواب الله خير لك فيها وأنا أسأل الله ان لا يحزنك ولا يفتنك وان يعطيك على ما رزئت أجراً ويعقبك صبراً ولا يجهد لك بلاء ولا ينزع منك نعمة وأحق فاصبر عليه ما لا سبيل الى رنة)^(٤) .

ومن الوعاظ عبدالله بن عبدالعزيز العمري الذي كان يعظ الرشيد ويغلظ في مواعظه^(٥) . وكانت اغلب مواعظ العمري تصب في الجانب السياسي والرفق بالرعية وقد خاطب الرشيد اثناء الحج بعد ان رأى الجمع الغفير من الحجاج يطوفون حول الكعبة قال له : (كل منهم يسأل يوم القيامة عن خاصة نفسه وانت تسال عن كلهم فبكى الرشيد)^(٦) .

وفي مناسبة اخرى طلب منه في موعظة الاستماع الى الرعية ومعالجة مشاكلها والعمل بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وحثه على اقامة العدل لانها أمانة في عنقه فلا يضيعها من اجل درء الفساد وعدم ظلم اليتيم وقال له : (ان الله عز وجل الامام العادل قوام كل زائل وقصد كل جائر وقوة كل ضعيف ونصر كل مظلوم ومفزع كل محتاج وهدى من الضلالة)^(٧) .

(١) صالح المري : هو الزاهد ابو بشر المري واعظ أهل البصرة القاص شديد الخوف من الله كأنه تكلى اذا قص توفي سنة (١٧٢هـ / ٧٨٨م) انظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٢١٨/٧ ؛ الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ٢٨٩/٢ .

(٢) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ١٤٧/٢ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، ٣٩٤/٢ ؛ الغزالي ، مقامات العلماء ، ٧٧ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ٨٧/٦ .

(٥) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ١٦٦/٢ .

(٦) السابق ، ١٦٧/٢ ؛ ابن كثير ، البداية ، ١٨٥/١٠ .

(٧) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ١٦٤/٢ .

ونهج نفس المنهج ابنه عبدالرحمن في وعظ الرشيد وحثه على اقامة العدل والعمل بالكتاب والسنة^(١) .

وقد يدور حوار بين الخليفة والواعظ حول اسلوب الموعظة وكيفية تقديمها للخليفة فيذكر ان بعض الزهاد قال للرشيد : (اتق الله فقال له الرشيد : انصفتني في المخاطبة والمسألة قال : ذاك اقل ما يجب لك قال : فاخبرني : أنا شر واخبث أم فرعون قال بل فرعون قال : (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْطَى)^(٢) وقال : (مَا عَمِلْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)^(٣) قال : صدقت فاخبرني فمن خير انت أم موسى بن عمران قال : موسى كلم الله وصفيه اصطنعه لنفسه وأتمنه على وحيه وكلمة من بين خلقه قال : صدقت : افما تعلم انه لما بعثه واخاه الى فرعون قال لهما فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَنصِتُ أَوْ يَخْشَى)^(٤) ويعدها عاقبه على ذلك وأمر له بهدية^(٥) .

ويعد ابن السماك من اشهر الوعاظ واكثرهم نصحاً للرشيد فلا تأتي مناسبة يلتقي فيها بالرشيد الا وعظه وخوفه من عقاب الله سبحانه وتعالى ويذكر انه دخل عليه يوماً وقال له : (من جرعت الدنيا حلاوتها لميله اليها جرعت الاخرة مرارتها لتجافيه عنها)^(٦) .

ولقد طلب منه الخليفة هارون الرشيد ان يعظه وكان بيده شربة ماء فقال له : (يا أمير المؤمنين أرايت لو حبست عنك هذه شربة ماء أكنت تفتديه قال : نعم قال : يا أمير المؤمنين فلو حبس عنك خروجها اكنت تفتديه بملكك ؟ قال : نعم ، قال فلا خير في ملك لا يساوي شربة ماء ولا بولة ، ايها الشاب لا تغتر بشبابك فان اكثر من يموت الشباب فكم من طفل في التراب وحده يحيى)^(٧) .

يعد الوعظ السياسي من اغزر مضامين الوعظ في العصر العباسي الاول لما له من اهمية في شخصية الواعظ واهمية موعظته لدى الخلفاء كونهم هم المسؤولون امام الله يوم القيامة فالواعظ شيطان الراعي وعظ الرشيد وحثه على العدل بين الرعية والخوف من الله سبحانه وتعالى وتقسيم الاموال بين الناس سواسية من اجل احقاق الحق وقال له :

(١) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ١٦٢/٢ .

(٢) سورة النازعات ، الآية ٢٤ .

(٣) سورة القصص ، الآية ٣٨ .

(٤) سورة طه ، الآية ٤٤ .

(٥) الطبري ، تاريخ ، ٣٢٨/٨ .

(٦) الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٣٠٣/١ .

(٧) الطرطوشي ، سراج ، ١٣ .

(اتق الله فانك رجل مسؤول عن هذه الامة استترعاك الله عليها وقلدك امورها وانت مسؤول عنها فاعدل في الرعية واقسم بالسوية)^(١) .

ووعظ أبو بكر بن عياش الرشيد بقوله : (ان الله عز وجل اوحى الى نبي من انبياء بني اسرائيل ان مر ملوك بني اسرائيل ان ينزلوا الجذب وينزل الرعية الخصب ويشربوا الرنق (تراب في الماء) ويسقوا الرعية الصفو والّا حاسبتهم بالذرة والشعيرة)^(٢) .

اما الامام مالك بن انس فانه لم يقطع صلته بالخلفاء والامراء بل كان يرى من الواجب عليه ارشادهم واصلاحهم . وقد وجد ان وعظ هؤلاء يذهب ببعض ما يقعون فيه ويقلل من شرهم وربما حملهم على الصلاح وصار منهم مثل عمر بن عبدالعزيز ، لذلك كان يدخل على الخلفاء والامراء ويرشدهم ويدعوهم الى الخير وفي نفس الوقت يحث بقية العلماء على ارشاد الخلفاء والامراء وقول الحق ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً وكان يقول :

(حق على كل مسلم او رجل جعل الله في صدره شيئاً من العلم والفقه ان يدخل الى ذي سلطان يامره بالخير وينهاه عن الشر حتى يتبين دخول العالم عن غيره فاذا كان فهو الفضل الذي لا بعده فضل)^(٣) .

وقال عدد من تلاميذه : (الناس يستكثرون انك تأتي الامراء فقال ان ذلك بالحمل من نفسي وذلك انه ربما استشر من لا ينبغي)^(٤) .

فهو يحمل نفسه عناء الذهاب ويغلظ عليها ليأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وكان يؤثر ارشادهم على التمريض عليهم وكان يقول : (لولا اني رأيتهم ما رأيت النبي ﷺ في هذه المدينة سنة معمولاً بها)^(٥) وكان للامام مالك مواعظ حسنة ومأثورة يلقيها على الخلفاء والامراء عندما يأتون الى الحجاز في موسم الحج ومنها قوله للخليفة هارون الرشيد (ولقد بلغني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان من فضله ينفخ لهم على الرمادة تحت القدر حتى يخرج الدخان من لحيته وقد رضي الناس فكم يرون هذا)^(٦) .

وفي المناسبات الاجتماعية ومنها العزاء كان العلماء لا يتوانون في وعظ الخلفاء وحتى من عامة الناس فقد دخل مخنث على الرشيد بعد موت ابنه وهو حزين عليه فقال : (يا أمير

(١) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ١٨٣/٢ .

(٢) السابق ، ١٦٨/٢ .

(٣) ابو زهرة ، الامام مالك ، ٧٨ .

(٤) نفسه

(٥) نفسه .

(٦) السابق ، ٧٩ .

المؤمنين أنا رجل وقد تشبهت بالنساء كما ترى فاي شيء كنت تصنع لو كان ابنك في الاحياء وكان على صورتني فاتعظ به واخرج النواحات من الدار^(١) .

وقد تكون الموعظة في عدد من الامور طريفة ومنها ان الامام ابو يوسف حضر مع الرشيد يوماً لاكل الطعام فنسي الخادم المعلقة فغضب الرشيد فقال ابو يوسف : روي عن جدك عبدالله بن عباس في قوله تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)^(٢) ، ان هذا التكريم هو أن كل شيء يأكل بغمة الا ابن آدم فانه يأكل بيده فكسر الرشيد المعلقة^(٣) .

وفي احدى المناسبات دخل الفضيل بن عياض ومعه مجموعة من العلماء على الرشيد فوعظه قائلاً : (يا حسن الوجه أنت الذي أمر هذه الامة بيدك وعنقك ، لقد تقلدت أمراً عظيماً فبكي هارون الرشيد ثم اتى كل واحد منهم بدرة فقبلها من معه الا الفضيل بن عياض فقال له الرشيد يا ابل علي ان لم تستحل اخذها فأعطها ذا دين او اشبع بها جائعاً او اكسي بها عارياً فاستغفاه منها فلما خرجوا من عند الخليفة عاتبه العالم سفيان بن عيينه على عدم اخذها وصرفها في ابواب البر ، فمسك سفيان من لحيته قائلاً : (يا ابا محمد انت فقيه البلد والمنظور اليه وتغلط مثل هذا الغلط لو طابت لأولئك لطابت لي)^(٤) .

ودار حوار يوماً بينه وبين الرشيد فقال له الرشيد (ما ازهدك في الدنيا وانت تزهد في الآخرة والدنيا فانية والآخرة باقية)^(٥) ، ولهذا وصفه الخليفة هارون الرشيد قائلاً : (ما رأيت في العلماء اهيب من مالك ولا اروع من الفضيل)^(٦) .

وقال ابن المبارك : (ما رأيت احد يبكي بكاء الرشيد عند سماعه موعظة الفضيل بن عياض)^(٧) .

ويذكر انه قال للرشيد : (يا أمير المؤمنين اني اخشى ان يكون العلم قد ضاع منك كما ضاع عندنا فقال الرشيد : أجل انه ما قلت ، فلما قدم الرشيد العراق كان اول ما ابتدأ فيه النظر الى كتب الامصار كلها والى امراء الاجناد : أما بعد فانظروا الى من التزم الاذان عندكم فاكتبوه في الف من العطاء ، ومن جمع القرآن واقبل على طلب العلم وعمر مجالس العلم ومقاعد الادب ، فاكتبوه في الف دينار من العطاء ومن جمع القرآن وروى الحديث ، وتفقه في العلم واستخر

(١) التوحيد ، الامتاع والمؤانسة ، ١٣٠/٢ .

(٢) سورة الاسراء ، الآية ٧٠ .

(٣) الغزالي ، مقامات ، ٩١ .

(٤) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ؛ ٤٨/٤ ؛ أمين ، ضحى الاسلام ، ١١٤/١ وما بعدها .

(٥) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ؛ ٤٨/٤ .

(٦) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٢٤٦/١ ، ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ٢٩٥/٨ .

(٧) ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة (مصر : ١٩٣٧) ١٥٧/٢ .

فاكتبوه في اربعة الاف دينار من العطاء وليكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الامر من المعروفين به من علماء عصركم وفضلاء دهركم فاسمعوا قولهم واطيعوا امرهم فان الله تعالى يقول : (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)^(١) ، وهم اهل العلم .

قال ابن المبارك : ملا رأيت عالماً ولا قارئاً للقرآن ولا سابقاً للخيرات ولا حافظاً للمحرمات بعد ايام رسول الله ﷺ وايام الخلفاء والصحابة اكثر منهم في زمن الرشيد وايامه لقد كان الغلام يجمع القرآن وهو ابن ثمان سنين ولقد كان الغلام يستبحر في الفقه والعلم ويروي الحديث ويجمع الدواوين وينظر المعلمين وهو ابن احدى عشرة سنة^(٢) .

وطلب الرشيد منه ان يعظه مرة فقال له : (ماذا اعطك هذا كتاب الله تعالى بين الدفتين ، انظر ماذا عمل بمن اطاعه وماذا عمل بمن عصاه ، وقال اني رأيته الناس يغوصون على النار غوصاً شديداً ويطلبونها طلباً حثيثاً اما والله لو طلبوا الجنة بمثلها او ايسر لناؤها ، فقال : عد الي ، فقال لو لم تبعث الي لم آتاك وان انتفعت بما سمعت مني عدت اليك)^(٣) .

ونتيجة لهذا توطدت علاقة حميمة بين الخليفة الرشيد والفضيل بن عياض ومحبة ولقد ذكر عن الفضيل بن عياض انه قال : (ما على الارض ابغض الي من هارون ولا احد احب الي بقاء منه لو قيل انتقص من عمرك ويزداد عمره لفعلت ولو خيرت بين موته وموت هذا ويقصد ابن أبي عبيدة واني لاحبه - يعني ابا عبيدة - لانه جاءني على الكبر لاخترت موت هذا فسبحانه الذي جمع بين هاتين الخصلتين في قلبي ، وتوقعه لما يحدث بعد هارون الرشيد من بلاء وفتنة بين المسلمين)^(٤) .

٣- وعظ العامة للخلفاء :

يعد موسم الحج المكان المناسب للقاء الخلفاء بالعلماء ومناسبة دينية لسماع مواظهم في هذا المكان الآمن وخاصة في مجال الوعظ السياسي ، وحقوق الامة في المال وتبنيه الخلفاء على البطانة السيئة وسوء استغلال موارد البلاد ، ومن روائع هذه المواظ وبالتحديد في سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧م حج الخليفة ابو جعفر المنصور فنزل في دار الندوة وكان يخرج وقت السحور يطوف بالبيت الحرام ، فخرج ذات ليلة وبينما هو في الطواف اذ سمع قائلاً يقول :

(١) سورة الشورى ، الآية ٥١ .

(٢) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١٥٧/٢ .

(٣) الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ١٠٤/٨ ؛ فائز طه عمر ، النثر الصوفي في الادب العربي الى نهاية القرن الخامس الهجري ، رسالة دكتوراه (موصل : ١٩٩٠) ١٥٧ .

(٤) الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ١٠٤/٨ .

(اللهم اني اشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله) فسمعه المنصور وعندما رجع طلب من صاحب الشرطة ان ياتي بالرجل فلما دخل عليه قال له المنصور :

(ما الذي سمعتك تشكوه الى الله تعالى من ظهور البغي والفساد فوالله لقد حشوت مسامعي ما امرضني فقال : يا أمير المؤمنين ان الذي دخل الطمع وحال بين الحق واهله انت فقال له المنصور : ويحك كيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء ببابي وملك الارض في قبضتي فقال الرجل : سبحانه وتعالى استرعاك امور المسلمين واموالهم فاهملت امورهم واهتممت بجمع اموالهم واتخذت بينهم وبينك حجاباً من الجص والآجر وامرت ان لا يدخل عليك الا فلان وفلان ثم استخلصتهم لنفسك واثرتهم على رعيته ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الجائع ولا العاري ولا احد الا وله في هذا المال حق فلما رآك هؤلاء الذين استخلصتهم لنفسك واثرتهم على رعيته تجمع الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله ورسوله فما لنا لا نخونه ، فاجتمعوا على ان لا يصل اليك من اموال الناس الا ما ارادوا فصاروا شركاءك في سلطانتك وانت غافل عنهم واذا جاء المظلوم الى بابك وجدك قد اوقفت ببابك رجلاً ينظر في المظالم فان كان الظالم من بطانتك علل المظلوم وسوف به من وقت الى وقت فاذا اجتهد وظهرت انت فصرخ بين يديك ضرب ضرباً مبرحاً ليكون نكالا لغيره وانت ترى ذلك فلا تتكره ... الخ)^(١) .

ومن ضمن المواعظ الموجهة الى ابي جعفر المنصور موعظة رجل له :

.... صعد ابو جعفر المنصور المنبر فقال : (الحمد لله احمده واستعينه واؤمن به واتوكل عليه واشهد ان لا اله الا الله لا شريك له فقام رجل فقال : يا أمير المؤمنين اذكر من انت في ذكره ، فقال مرحباً ، مرحباً لقد ذكرت جليلاً ، وخوفت عظيماً واعوذ بالله ان اكون ممن اذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم والموعظة منا بدأت ومن عندنا خرجت وانت يا قائلها فاحلف بالله ما الله اردت بها وانما اردت ان يقال قام فقال فعوقب فصبر فاهون بها من قائلها واهتبلها من الله ويلك اني قد غفرتها واياكم معشر الناس وامثالها واشهد ان محمد عبده ورسوله فعاد الى خطبته فكأنما يقرؤها من قرطاس)^(٢) .

ويذكر ان المنصور كان جالساً يوماً للنظر في المظالم فدخل عليه رجل وقال :

(أن لي مظلمة واني اسالك ان تسمع مني مثلاً اضربه قبل ان اذكر مظلمتي قال : قل : قال : اني وجدت الله عز وجل خلق الخلق على طبقات فالصبي اذا خرج الى الدنيا لا يعرف الا

(١) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٣٦٠/١ ؛ ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ١٤٤/٢ ؛ العصامي ، سمط

النجوم العوالي ، ٢٥٥/٣ ؛ البيهقي ، المحاسن والمساوي ، ٣٣٨ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ٢٨/٦ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ٢٦٤ .

أمةٌ ولا يطلب غيرها فان فزع من شيء لجأ اليها ثم يرتفع عن ذلك طبقة فيعرف ان اياه اعز من امة فان فزع من شيء لجأ اليه ثم يبلغ ويستحكم فان افزعه شيء لجأ الى سلطانه فان ظلمه ظالم انتصر به منه فاذا ظلمه السلطان لجأ الى ربه واستنصره وقد كنت في هذه الطبقات ، وقد ظلمني ابن نهيك في صنعة لي في ولايته فان نصرتي عليه فاخذت بمظلمتي والا استنصرت الله تعالى ولجأت اليه فانظر لنفسك ما ترى فقال ابو جعفر اول شيء فقد عزلت ابن نهيك عن ناحيته وأمر برد صنيعته^(١) .

وقد وعظ رجل من العامة يدعى ابو نصر الخليفة الرشيد بضرورة العدل والرفق بين الرعية وذكره بقوله الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (لو ضاعت سخلة على شاطئ الفرات لخاف عمر ان يسأله الله عنها) واجابه الخليفة بان الناس والزمان قد تغير كما كان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولكنه قال له هذا غير مغن عنك وسوف تسأل امام الله^(٢) .

وفي اثناء سفر المأمون الى الشام اعترضه رجل ووعظه بضرورة معاملة العرب مثل العجم فاجابه الخليفة المأمون بجواب لطيف وطريف فقال له :

(اكثر علي يا اخا الشام والله ما انزلت قيساً عن ظهور الخيل الا وانا ارى انه لم يبق في بيت مالي درهم واحد ، اما اليمن فوالله ما احببتها ولا احببتي قط ، واما فضاة فسادتها تنتظر السفيناني^(٣) وخروجه فتكون من اشياعه ، واما ربيعة فساخطة على الله منذ بعث نبيه من مضر ولم يخرج اثنان الا خرج احدهما شارياً^(٤)) .

(١) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ٢٢٢/٢ .

(٢) السابق ، ١٨٥/٢ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٢٥/١٠ .

(٣) السفيناني : هو علي بن عبدالله بن خالد بن يزيد بن معاوية وامه نفيسة بنت عبدالله بن عباس خرج مدعياً الخلافة بالشام سنة ١٩٥ هـ وعمره تسعون سنة ويروى ان الناس قد اخذوا منه العلم فضلا عن حسن سيرته وفشلت حركته وانتهت بمقتله في عهد الامين . انظر الطبري ، تاريخ ، ٤١٥/٨ .

(٤) الطبري ، تاريخ ، ٦٥٢/٨ .

٤ - وعظ الخلفاء لابنائهم وذويهم :

تعد وصايا الخلفاء ورجال الدولة الى ابنائهم من ضروب الخطابة السياسية التي كان الخلفاء ورجال الدولة يوصون بها ذويهم وبصورة خاصة ابنائهم الذين غالباً ما يكونون ولاية عهد من بعدهم او عمالهم او قادتهم ، يرشدونهم فيها الى الطريق التي ينبغي لهم ان يسلكونها والسياسة التي يتبعونها او الخطة التي ينتهجونها وخاصة اذا كان الموصي يمتلك خبرة وحنكة سياسية ومهارة حربية وخبرة بنفوس الرعية وطريق معاملتها وهذه كانت متوافرة في اكثر الخلفاء العباسيين^(١) .

فالخليفة ابو جعفر المنصور لما عهد الى ابنه المهدي بالخلافة من بعده اوصاه بعدة وصايا متنوعة تدل على معرفة وحنكة سياسية وتبصر بالامور وخاصة بعد ان اطمأن المنصور ان الخلافة من بعده صائرة اليه فكان لا بد ان يوصيه بوصايا ومواعظ بمثابة الدستور والخطوط الاساسية التي يركز الحكم عليها ويشد بموجبه الدولة وتكمن اهميتها لانها خلاصة خبرة في الحكم دامت اكثر من عشرين سنة ويمكن تقسيمها الى قسمين :

١ - الوصية المتعلقة بمصير تركة المنصور وابقاء ديونه وتعد هذه الوصية الشرعية .

٢ - جملة نصائح وقضايا ومواعظ بليغة .

فقد وعظه بعظه تعد من خير الوصايا السياسية للدولة العباسية^(٢) فقال (يا أبا عبدالله استدم النعم بالشكر والقدرة بالعفو والطاعة بالتأليف والنصر بالتواضع ولا تنسَ مع نصيبك من الدنيا نصيبك من رحمة الله)^(٣) وقوله : (ان خليفة لا يصلحه الا التقوى والسلطان لا يصلحه الا الطاعة والرعية لا يصلحها الا العدل وولي الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة وانقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه)^(٤) ، ووعظه بمصاحبة اهل العلم بقوله : (لا تجلس مجلساً الا ومعك من اهل العلم من يحدثك)^(٥) .

ويذكر ان الخليفة أبا جعفر المنصور لما حج سنة (١٥٨هـ / ٧٧٤م) وهي السنة التي توفي فيها وعلم بدنو اجله استدعى ابنه المهدي وكتب له الوصية السياسية الشاملة التي استهلها بلزوم تقوى الله وصلة الرحم وقرب الاشراف من الناس الذين يكونون لك المحبة والمودة وامنحهم

(١) احسان النص ، الخطابة العربية في عصرها الذهبي (مصر : ١٩٦٣) ١٨٧ .

(٢) حسن فاضل ، سياسة المنصور الداخلية والخارجية (العراق : ١٩٨١) ٣٨٨-٣٨٩ .

(٣) الازدي ، تاريخ الموصل ، ٢٠٢ وما بعدها .

(٤) البلاذري ، انساب ، ٢٦٧/٣ ؛ ابن الحوزي ، المصباح المضيء ، ١٤٨/١ .

(٥) الطبري ، تاريخ ، ٧١/٨ ؛ ابن العمراني ، انباء الخلفاء ، ٦٧ .

المال والعطايا والنظر في امور الناس وتفقد الصغير والكبير ، وعدم التواني عن الامور وعدم الاسراف في الاموال لانها قوة الدولة والخليفة ومنها قوله :

(واطلب بجهدك رضى الرحمن وأهل الدين فليكونوا اعضاءك واعط حظ المسلمين من اموالهم ووفر لهم فيأهم وتابع اعطياتهم وعجل بنفقاتهم اليهم سنة سنة وشهراً شهراً عليك بعمارة البلاد بتخفيف الخراج واستصلح الناس بالسيرة الحسنة والسياسة الجميلة الخ)^(١) .

وحول مصاحبة العلماء وتعلم الفقه وعظ الخليفة المنصور ابنه المهدي بان يتعلم الفقه من الحسن بن عمار^(٢) (ت ١٥٣هـ / ٧٧٠م) وتعلم المغازي من العالم محمد بن اسحاق (ت ١٥١هـ / ٧٦٨م)^(٣) .

وتأسياً بنصيحة والده وموقعها في قلبه وعظ الخليفة المهدي ابنه الرشيد مبتدأها بتقوى الله وصلة الرحم وأهل بيت رسول الله ﷺ وأهل مكة والمدينة لانهم سابقون في الاسلام^(٤) .

ومن كلام شبيب بن شيبه^(٥) (ت ١٧٠هـ / ٧٨٦م) في صالح بن ابي جعفر المنصور وقد وقد كان المنصور اقلماً صالحاً فتكلم فقال شبيب :

(ما رايت كالיום ابين بيأنولا اجود لساناً ولا اربط جناناً ولا ابل ريقاً ولا احسن طريقاً ولا اغمض عروفاً من صالح وحق لمن كان امير المؤمنين أباه والمهدي اخاه ان يكون كما قال زهير :

يطلب شأؤ أمرين قدما حسنا نالا الملوك وبذا هذه السواقا
هو الجواد فان يلحق بشأؤهما على تكاليفه فمثله لحقاً

وخرج شبيب من دار الخليفة يوماً فقال له قائل : كيف رأيت الناس قال : رأيت الداخل راجياً والخارج راضياً^(٦) .

(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ٢٥٠/٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ١٧/٦-١٨ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٣٩٣/٢ ؛ ابو الفدا

، المختصر ، ١١/٣ ؛ التوحيد ، الامتاع والمؤانسة ، ٣٤/٢ ؛ الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ، ١٢٦ .

(٢) الحسن بن عمار ، بن المضرب البجلي (ت ١٥٣هـ / ٧٨٠م) وكان قد تولى قضاء بغداد وهو فقيه ومحدث ،

انظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٣٤٥/٧ ؛ العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ٣٠٤-٣٠٥ .

(٣) ابو علي المحسن بن علي ، نشوار المحاضرة ، تحقيق : عبود الشالجي (د/م : ١٩٧٣) ٦/٦٠ .

(٤) ابن قتبية ، الامامة والسياسة ، ٩٦/٢ .

(٥) شبيب بن شيبه : شبيب بن شيبه بن عبدالله التميمي ابو معمر اديب الملوك وجليس الفقراء واخو المساكين .

انظر الزركلي ، الاعلام ، ١٥٦/٣ ؛ ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ٣٠٧/٤ .

(٦) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٣٥١/١ وما بعدها .

وقال شبيب للمهدي يوماً (أراك الله في بنيك ما أرى أباك فيك وأرى الله بنيك فيك ما أراك في أبيك)^(١) .

ووعظ الخليفة المأمون لابنائه منها : (استشيروا ذوي الرأي والتجربة والحيلة فانهم اعلم بمصارف الامور وتقلبات الدهور واطيعوهم وتحملوا ما يغلطون من قول ... الخ)^(٢) .

ووعظ الخليفة المأمون أخاه المعتصم بالله لما ولاه الخلافة من بعده بوصية شاملة جامعة استهلها بشهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وان الموت حق والبعث والحساب حق والجنة والنار حق واوصاه بتقوى الله والخوف من عقابه وعدم الغفلة عن امر الرعية وتقديم مصالح المسلمين على مصالحك وعدم الركون الى الدنيا وهوى النفس)^(٣) .

وفي سنة (١٩٤ هـ / ٨٠٩ م) عندما عزم الخليفة الامين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد ومنحها لولده الذي لم يتجاوز عمره الخمس سنوات فاخذ من اجل تحقيق ذلك اقناع ذوي الرأي ببذل الاموال للامراء ولكن وعظه ونصحه العقلاء منهم ان لا يفعل ذلك لانها فتنة ولكنه لم يتمثل لرأيهم فكان ان خسر حيثه والخلافة معاً^(٤) .

ووعظ الخليفة المأمون يوماً ابنه العباس فقال له : (ينبغي يا بني لمن اسبغ الله عليه نعمه^٥ وشركه في ملكه وسلطانه وبسط له في القدرة ان ينافس في الخير مما يبقى ذكره ويحب اجره ويرجى ثوابه وان يجعل هيئته في عدل ينشره او جور يدفنه وسنة صالح يحييها او بدعة يميته او مكرمة يفتقدها او صنعة يسد بها او يودعها ويلبها او اثر محمود يتبعه)^(٥) .

٥ - الوعظ المتعلق برجال الدولة :

عندما ولى طاهر بن الحسين (ت / ٩) ابنه عبدالله على ديار ربيعة^(٦) وعظه ونصحه بموعظة بليغة وطويلة فذكره بتقوى الله ومخافته والرأفة بالناس والحكم بالعدل بينهم والدفاع عنهم من الاعداء والطامعين وتحسين مستواهم المعاشي والسهر على راحتهم وسعادتهم والمواظبة على الصلوات الخمس مع الجماعة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومعاشرة اهل الصلاح

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ١ / ٣٥٢ .

(٢) الثعالبي ، تحفة الوزراء (بغداد : ١٩٧٧) ٨٧ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢ / ٣٣١ .

(٣) الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٢ / ٤٣ ؛ ابو الفدا ، المختصر ، ٣ / ٤٢ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ١ / ٢٨٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠ / ٢٨٠ ؛ العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ٣ / ٢٦١ .

(٤) الذهبي ، تاريخ دول الاسلام ، ١ / ١٢٢ .

(٥) ابن طيفور ، كتاب بغداد ، ٥٣ .

(٦) ديار ربيعة : بين الموصل الى رأس العين نحو بقعاء الموصل ونصيبين وراس عين ودنير والخابور جميعه وما بين ذلك من المدائن والقرى ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٤٩٤ .

والتقوى وختمه بقوله : (وتفهم كتابي اليك واكثر النظر فيه والعمل به استعن بالله على جميع امورك واستخره فان الله عز وجل مع الصلاح واهله وليكن اعظم سيرتك واعظم رعيته ما كان لله جل وعز ولدينه نظاماً ولاهله عزاً وتمكيناً ولملة والذمة عدلاً وصلاًحاً وانا أسأل الله ان يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وان ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك وكرامته لك حتى يجعلك افضل املاك نصيباً واوفرهم حظاً وان يهلك عدوك وقد ناؤوك وبغى عليك ويرزقك من رعيته العافية ويحجز الشيطان عنك وساوسه حتى يستعلي امرك بالعزة والقوة والتوفيق انه قريب مجيب^(١) .

اما مواظب الوزراء والامراء والقادة فقد تكون على قسمين الاول مواظب موجهة من كبار رجال الدولة الى الخليفة والثاني مواظب موجهة من العلماء الى الوزراء وكبار رجال الدولة ، حيث يعد الوزير ومن بعده الامراء والقادة من اقرب المقربين الى الخليفة ولذا فانهم لا يجدون فرصة او مسألة الا وفيها الموعظة والنصيحة للخليفة .

لذا نجد ان الفضل بن سهل (ت ٢٠٢ هـ / ٨١٨ م) قال : (مثل الملك العادل مع الوزير الفاضل كالنهر العظيم الذي مشاريعه مستهلة ومثل ذلك الملك الصالح مع الوزير الصالح مثل النهر العذب الطيب الصافي فيه التماسيح لا ينتفع به المنتفع الا نادراً وعلى رجل وكذلك الحديقة المونقة فيها الاسد)^(٢) .

وقد اجتمعت الاراء على انه ينبغي ان يكون وزير الخليفة يجمع بين الاصل والفضل والقول الفصل والادب الجزل والرأي الثاقب والتدبير الصائب ويرجع الى نفس أمانة بالخير بعيدة عن الشر مداوة على سبيل البر ويجمع ادوات السيادة (الآت الرياسة)^(٣) .

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز في قصة موسى عليه السلام : (وَجَعَلْ لِي وَ زَيْراً مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي اشْدُّ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي مَرِي)^(٤) - حيث دلت الآية على ان موضع الوزارة ان تشد قواعد المملكة^(٥) .

وعلى الوزير ان لا يكتم السلطان الموعظة والنصيحة وان موقع الوزير من السلطان كموقع العينين من الانسان^(٦) .

وكتب الى بعض الولاة : ليس من المروءة ان يكون بينك من ذهب وفضة وغريمك

(١) ابن طيفور ، كتاب بغداد ، ٢٦-٣٤ .

(٢) الثعالبي ، تحفة الوزراء ، ٥٨ .

(٣) السابق ، ٥٠ .

(٤) سورة طه ، الآية ٢٩ .

(٥) الطرطوشي ، سراج ، ١٣٠ .

(٦) السابق ، ١٣٤ .

عار وجارك طاوٍ والفقيير جائع^(١) .

ولما قامت ثورة محمد ذي النفس الزكية (ت ١٥٠هـ / ٧٦٧م) في المدينة المنورة سنة (١٤٥هـ / ٧٦٢م) وجه الخليفة ابو جعفر المنصور ابن اخيه عيسى بن موسى (ت ١٦٧هـ / ٧٨٣م) اليهم لقمع الحركة فاوصاه ووعظه بموعظة طويلة فاجابه عيسى بن موسى قائلاً الى متى توصيني فقال :

الى انا ذاك الحسام الهندي

أكلت جفني وفريت غمدي

فكل ما تطلب عندي عندي^(٢)

ولما حج أبو مسلم الخراساني (ت ١٣٧هـ / ٧٥٤م) قيل له ان بالحيرة رجلاً نصرانياً قد أنت عليه مئتا سنة وعنده علم من العلم الاول فوجه اليه فاتى به ظلماً نظر الشيخ الى ابي مسلم فقال : قدمت بالكفاية ولم تال في العناية وقد بلغت النهاية ، احرقت نفسك لم يسكت حسك وكان قد عانيت رمسك فبكى ابو مسلم فقال : لا تبك فان لم تؤت من حزم وثيق ولا من رأي رتيق ولا تدبير نافع ولا من سيف قاطع ولكن ما استجمع احد لأمله الا أسرع في تقريب أجله قال فمن تراه يكون قال اذا تواطأ الخليفتان على امر كان والتقدير في يدي من يبطل معه التدبير وان رجعت الى خراسان سلمت وهيئات فاراد الرجوع فكتب اليه الخليفة بالمضي ووجه اليه من يحثه فلولا ان البصر يعمى اذا نزل القدر فكانت هذه دلالة تقع موقع العيان وتبعث على التيقظ في الحذر والاحتياط في الهرب على ان لكل نفس عناية ولكل امر نهايته^(٣) .

وقال المنصور لعدد من قواده صدق الذي قال : اجع كلبك يتبعك وسمنه ياكلك فوعظه ابو العباس الطوسي (ت / ؟) وهو قائد :

(اما تخشى يا أمير المؤمنين إن أجعته أن يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك)^(٤) .

واوصى الخليفة ابو جعفر المنصور عبدالله بن الحسن العنبري (ت ١٦٨هـ / ٧٨٤م) عندما ولاه قضاء البصرة فاوصاه باقامة حدود الله تعالى حسب ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية وقال له : (ان قلدتك طوقاً مما قلدني الله فأعلقت في عنقك طرفه وابقيت في عنقي رقبتة

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٧٧/١٠ .

(٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١٣٤/١ .

(٣) الطرطوشي ، سراح ، ٣٥٧ .

(٤) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢٦/١ .

واني لم ال جهداً اذ وليتك لما ظهر لي منك من حسن فعلك ، واوصاه بالحكم خوفاً من الله وليس خفاً من الخليفة وطاعته وان يكون حكمه قوياً وعادلاً ولا يخاف في الحق لومة لائم^(١) .
وخطب والي الخليفة المهدي في البصرة عبدالله بن الحسن العنبري فانشد في خطبته شعراً .

اين الملوك التي عن حظها غفلت
حتى سقاها بكأس الموت ساقيتها

وكان اذا جلس للقضاء يقول :

لنا مجلس طيب ريحه

به الجد والآس والياسمين^(٢)

ووعظ الفضل بن سهل (ت ٢٠٢ هـ / ٨١٨ م) الملقب بذي الرياستين (السيف والقلم) كتابه قاربوا من الحروف لئلا يسافر التبصر سفراً بعيداً في حروف قليلة^(٣) .

وللوزير الفضل بن الربيع (ت ٢٠٨ هـ / ٨٢٤ م) موعظة في ادب مخاطبة الملوك والخلفاء فيقول اذا اردت ان تقول كيف اصبح الامير ؟ فقل صبح الله الامير بالكرامة واذا اردت ان تقول كيف يجد الامير نفسه ؟ فقل : انزل الله على الامير الشفاء والرحمة فان المسألة توجب الجواب فان لم يجبك اشتد عليك وان اجابك اشتد عليه^(٤) .

ووعظ واوصى الخليفة هارون الرشيد يحيى البرمكي وابنه جعفر لواحد من عمال الخراج ، فقال له يحيى البرمكي : وفّر وأعمر وقال له ابنه جعفر : انصف وانتصف وقال له الرشيد : اعدل واحسن^(٥) .

ووعظ يحيى البرمكي ابنه جعفر فقال له : يا بني انتق من كل علم شيئاً فانه من جهل شيئاً عاداه وانا اكره ان تكون عدواً لشيء من الادب^(٦) .

ووعظ يحيى البرمكي ابنه الفضل بعدم التكبر عندما دخل عليه وهو يتبختر في مشيته فكرة هذه الصفة فيه قال : (ان البخل والجهل مع التواضع أزين بالرجل من الكبر من السخاء فيالها حسنة غطت على عيبين عظيمين ويالها سيئة غطت على حسنتين كبيرتين)^(٧) .

(١) محمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع ، اخبار القضاة (بيروت : د/ت) ٩١/٢ .

(٢) السابق ، ١١٢/٢ .

(٣) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ، ٣٠٦ .

(٤) السابق ، ٢٩٤ .

(٥) الطبري ، تاريخ ، ٣٥٢/٨ ؛ الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ، ٢٣٣ .

(٦) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ، ٢٠٢ .

(٧) السابق ١٩٨ .

وكذلك وعظ اولاده يحيى البرمكي بضرورة اختيار الكتاب والعمال والاعوان من هم من اشرف الناس وابتعاد عن الاشرار منهم فان النعم على الاشراف ابقى وهي بهم احسن والمعروف اشهر والشكر منهم اكثر^(١) .

ووعظ الخليفة المهدي الربيع بن ابي الجهم عندما ولاه بلاد فارس (يا ربيع اثر الحق والزم القصد وابسط العدل وارفق بالرعية واعلم ان عدل الناس من انصف من نفسه واطلم من ظلم الناس لغيره)^(٢) .

ووعظ القائد خزيمة بن خازم (ت ٢٠٣هـ / ٨١٩م) الخليفة بعدم الاقدام على بيعة ابنه ونكت بيعة اخيه المأمون فقال له : (يا أمير المؤمنين لن ينصحك من كذبك ولن يغشك من صدقك لا تجر القواد على الخلع فيخلعوك ولا تحملهم على نكت العهد فينكثوا بيعتك وعهدك فان الغادر مغلول والناكث مخذول ، فلم يأخذ بنصيحته وموعظته فاخذ يستميل القواد بالمال حتى بايع لابنه موسى ولقبه الناطق بالحق وهو طفل رضيع فكان ماساته ومقتله^(٣) ، ولذلك طلب الخليفة المأمون من قائده طاهر بن الحسين ان يصف له اخلاق اخيه الامين فاجابه بان اهم صفة لم يأخذ بها هي الموعظة والمشورة من قبل اصحابه وقواده واستبد برأيه فلذلك ظفر به^(٤) ، وفي سياق ذلك طلب الخليفة الامين موعظة ونصيحة من اسماعيل بن صبيح (ت ٢١٧هـ / ٨٣٢م) كاتب السر فقال له : ماذا ترى يا ابن صبيح قال : ارى دولة مباركة وخلافة مستقيمة وامراً مقبلاً فتم الله ذلك لأمر المؤمنين بافضله واجزله فقال له الخليفة الامين :

اني لم ابغك قاصداً ، انما اردت منك الرأي قال اسماعيل : ان رأى أمير المؤمنين ان يوضح لي الامر لاشير إليه بمبلغ رأي ونصيحة فقل : قال : اني رأيت ان اعزل عبدالله المأمون من خراسان واستعمل موسى بن أمير المؤمنين قال اسماعيل : اعيزك بالله يا أمير المؤمنين ان تنقض ما اسسه الرشيد ومهده وسيد اركانه^(٥) .

(١) الجهشباري ، الوزراء والكتاب ، ١٧٩ .

(٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٣١/١ .

(٣) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ٢٩٨ .

(٤) الطرطوشي ، سراج ، ١٤٦ .

(٥) ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري ، الاخبار الطوال ، تحقيق : عبدالمنعم عامر (القاهرة : ١٩٦٠)

ووعظ الوزير احمد بن ابي دؤاد الخليفة المعتصم بالله فقال له : (يا امير المؤمنين ان ابا جعفر المنصور استشار انصح الناس عنده في امر ابي مسلم فكان من جوابه ان قال : يا امير المؤمنين ان الله تعالى يقول: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) ^(١) فقال له المنصور : حسبك ثم قتل ابا مسلم فقال له الخليفة المعتصم بالله انت ايضا حسبك يا ابا عبدالله ثم وجه الى الافشين فقتله ^(٢) .

واستدعى الخليفة المأمون والي منطقة الاهواز ^(٣) احمد بن عروة فقال له : خربت البلاد وقتلت العباد والله لافعلن بك بك فقال له وهو يعظه : يا أمير المؤمنين ماذا تحب الله ان يفعل بك اذا وقفت بين يديه وقد قرعك بذنوبك قال : العفو والصفح قال فافعل بعبدك ما تحب ان يفعل بك مولاك قال : قد فعلت فارجع الى عملك فوال مستعطف خير من وال مستأنف ^(٤) .

اما والي البصرة محمد بن سليمان فكان يعظ المسلمين وهو على المنبر ويامرهم بالعدل والاحسان فقام عليه الفقيه أبو سعيد الصنبري فقال : يا محمد بن سليمان : ان الله تعالى يقول في كتابه العزيز : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) ^(٥) يا محمد بن سليمان انه ليس بينك وبين ان تتمنى ان لم تخلق الا ان يدخل ملك الموت في باب بيتك قال فخنقت محمد بن سليمان العبرة فلم يقدر ان يتكلم فقام ابو جعفر بن سليمان الى جنب محمد بن سليمان فتكلم عنه قال : فاحبه النساك حيث خنقته العبرة ، وقالوا مؤمن مذب ^(٦) .

ونصح وزير المهدي يعقوب بن داود الخليفة على عدم شرب النبيذ وكثرة سماع الغناء وكان يعظه على ذلك ويطلب منه الابتعاد عنها والركون الى العبادة وفي ذلك قال بعض الشعراء :

فدع عنك يعقوب بن داود جانبا

واقبل على صهباء طيبة النشر ^(٧)

(١) سورة الانبياء ، الاية ٢٢ .

(٢) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ٤٠٥ .

(٣) الاهواز : سبع كور بين البصرة وفارس ، لكل كورة اسم ويجمعها الاهواز ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢٨٥/١ .

(٤) التنوخي ، الفرع بعد الشدة ، ٨٥ .

(٥) سورة الصف ، الآية ٣ .

(٦) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ٢١٧/٢ .

(٧) ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ١٨٤ ؛ ابن كثير ، البداية ، ١٤٨/١ .

وقد يوجه العلماء الوعظ والنصح ليس فقط للخلفاء وإنما أيضاً لبطانتهم من الوزراء ونقدتهم فالعالم عمرو بن عبيد خرج من عند أبي جعفر المنصور بعد أن وعظه وبعدها تبعه الوزير ابو ايوب المورياني فقال له : (يا ابا عثمان : اظنك قد ردعت المنصور بموعظتك فقال له : نعم وقد خضضته على اهل الكوفة واهل البصرة فان استطعت ان تعين بخير فافعل وكفى بامه شراً ان تكون انت المدبر لها)^(١).

ومر عمرو بن عبيد في سوق المريد في مدينة البصرة فرأى الامير العباسي سليمان بن علي (ت ١٤٢هـ / ٧٥٩م) فأمر بادخاله وجلس معه وقال له : يا ابا عثمان انا كنا وليس عندنا مما ترى شيء فجاء الله به فوصلنا الارحام واعتقنا الرقاب وسقينا المياه فاجابه عمرو : ان مما من الله به على الامير انه ليعلم انه ليس له ان يأخذ درهماً الا من حله ولا يضعه الا في حقه فقال سليمان : نحن احسن ظنا بالله منك فقال عمرو فقلت في نفسي لا ادعك واياها فقلت ، ما كان احد احسن ظنا بالله من محمد ﷺ وقد لقي الله ولم يطالبه احد بمظلمة^(٢) .

ودخل الواعظ عباد الخواص (ت / ؟) على ابراهيم بن صالح وهو امير فلسطين فقال له : يا شيخ عظمي فقال : بما اعطك اصلحك الله ان اعمال الاحياء تعرض على اقاربهم من الموتى فانظر ما يعرض على رسول الله ﷺ من عملك قال : فبكى حتى سالت الدموع على لحيته^(٣) .

ثانياً : الرسائل :

تعد الرسائل النمط الثاني من انماط الوعظ وكان لهذه الرسائل تأثير كبير كونها اصبحت فيما بعد تراثاً علمياً كبيراً له مكانته في الفكر السياسي الاسلامي ومن ابرز هذه الرسائل في العصر العباسي الاول :

(١) الجهشباري ، الوزراء والكتاب ، ١١٦ .

(٢) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ٢١٦/٢ .

(٣) السابق ، ٢٢٣/٢ .

رسائل الامام الاوزاعي الى الخليفة أبي جعفر المنصور :

كان الامام الاوزاعي يكثر مواعظه ورسائله مسترشداً بقوله تعالى : (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)^(١) ، كانت مواعظه كثيرة وصادقة بالغة التأثير ، فكان يعظ الناس فلا يبقى احد في مجلسه الا بكى بعينه او بقلبه^(٢)

ولم يقتصر الامام الاوزاعي في مواعظه على سامعيه من العلماء وغيرهم من عامة الناس ، بل كان يعظ الامراء والخلفاء ولاسيما الخليفة ابو جعفر المنصور الذي كان يصغي الى مواعظه فيروى انه كتب اليه : (أما بعد فقد جعل أمير المؤمنين في عنقك ما جعل الله لرعيته قبلك في عنقه فاكتب الي بما رأيت فيه المصلحة فكتب اليه الامام الاوزاعي : اما بعد فعليك يا أمير المؤمنين بتقوى الله عز وجل ، وتواضع يرفعك الله يوم يضع المتكبرين في الارض بغير الحق ، واعلم ان قرابتك من رسول الله ﷺ لن تزيد حق الله تعالى عليك الا وجوباً)^(٣) .

وحول اهل الثغور وفدية المسلمين مع الروم كتب الامام الاوزاعي الى الخليفة أبي جعفر المنصور في ظروف صعبة كانت تمر بها الخلافة العباسية حيث اعلنت حركة محمد ذي النفس الزكية واخيه ابراهيم في المدينة والبصرة فاستغل الروم هذا الحدث الداخلي فاسروا الالوف من المسلمين في الثغور فاضطر الامام الاوزاعي الى ارسال رسالة بليغة وحكيمة الى الخليفة أبي جعفر المنصور وضح له الموقف وعلاجه جاء فيها :

(ما بعد فان الله تعالى استرعاك أمر هذه الامة لتكون فيها بالقسط قائماً ونبيه ﷺ في خفض الجناح والرافة متشبهاً واسأل الله تعالى ان يسكن على أمير المؤمنين دهماً هذه الامة ويرزقه رحمته فان سائحة المشركين غلبت عام اول وموطؤهم حريم المسلمين واستنزاهم العوائق والذراي من المعازل والحصون وكان ذلك بذنوب العباد وما عفا الله عنه اكثر فبذنوب العباد والله يا أمير المؤمنين ما لهم يومئذ في موقف ولا ذمة تؤدي خراباً الا خاصة اموالهم وقد

بلغني عن رسول الله ﷺ انه قال : (اني لاسمع بكاء الصبي خلفي في الصلاة فاتجوز فيه مخافة ان تفتن امه)^(٤) . فكيف بتخليتهم يا أمير المؤمنين في ايدي عدوهم يمتهنونهم ويتكشفون منهم ما لا نستحمله نحن الا بنكاح وانت راعي الله والله تعالى فوقك ومستوف منك يوم توضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا

(١) سورة الذاريات ، الآية ٥٥ .

(٢) عبدالله محمد الجبوري ، الامام الاوزاعي في حياته واراؤه وعصره (بغداد : ١٩٨٠) ٤٥ .

(٣) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ١٢٥/٧ ؛ الجبوري ، الامام الاوزاعي ، ٤٨ .

(٤) مسلم ، صحيح ، كتاب الصلاة ، رقم الحديث ١٩٢ ، باب أمر الائمة بتحقيق الصلاة في تمام ، ٣٤٣/١ .

حاسبين فلما وصل اليه كتابه امر الخليفة ابو جعفر المنصور بفداء الاسرى طبقاً لما جاء من نصيحة ومشورة وموعظة له من امام كبير وجليل^(١) .

وكتب عبدالله العمري^(٢) الى ابو جعفر المنصور :

(بسم الله الرحمن الرحيم لعبدالله ابي جعفر أمير المؤمنين من عبدالله بن عمر سلام الله عليك ورحمة الله التي اتسعت فوسعت من شاء اما بعد : فاني عهدتك وأمر نفسك لك لهم وقد اصبحت وقد وليت امر هذه الامة احمرها واسودها وابيضها وشریفها ووضعها يجلس بين يديك العدو والصديق والشریف والوضيع ولكل حصته من العدل ونصيبه من الحق فانظر كيف انت عند الله يا ابا جعفر واني احذرك يوماً لن تغني فيه الوجوه والقلوب وتتقطع فيه الحجة لملك قد قهرهم بجبروته واذلهم بسلطانه والخلق داخرون له يرجون رحمته ويخافون عذابه وعقابه وانا كنا نتحدث ان امر هذه الامة سيرجع في آخر زمانها ان يكون اخوان العلانية اعداء السريرة واني اعوذ بالله ان تنزل كتابي سوء المنزل فاني انما كتبت به نصيحة والسلام)^(٣) .

أما الرسائل الموجهة الى الخليفة المهدي فهي :

الرسالة التي كتبها الازاعي الى المهدي في شفاعة لقوم حيث كتب الى المهدي : (أما بعد هدى الله الامير فيما ابتلاه للتي هي اقوم ووقاه تبعته ولقاه حجته فان من نعمة الله عليه وحسن بلائه عنده ان جعله يعرف بالعفو وخفض الجناح وطلب التجاوز عن اصحاب الجرائم عند خليفتهم وحضور امور رعيته بما تطلع عليه انفسها وتتيسر في رجائها فيه قلوبها فبلغ الله الامير فوائد الزيادة في الخير وحسن المعونة على الشكر ثم انه كان من رأي أمير المؤمنين في تلك العصابة الذين تسللوا من بعثهم ما قد بلغه من البعثة بهم اليه مشاة على اقدامهم من الشام مقرنين في السلاسل حتى قدموا منذ اعوام ثم وضعوا في ضيق من الحبس وجهد من الضرر وقد كان من رسول الله ﷺ في نفر الثلاثة الذين تخلفوا عنه غزوة تبوك ان اوقف امرهم ونهى الناس عن كلامهم حتى نزل فيهم حكم الله بالتوبة عليهم والمعاقبة لهم فان رأى الامير اذاقه الله عفوه في الاخرة بحبه التبريد عن رعيته وقصد العقوبة فيهم رجاء ان يطلب لهم من أمير المؤمنين اصلحه الله عفوه والتجاوز عنهم فعل فانه منه بحيث يعرف قوله وعند تدبر

(١) الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ١٣٥/٦ - ١٣٦ .

(٢) عبدالله ابن عبدالعزيز العمري : من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الزاهد العابد توفي

(١٨٤هـ/٧٩٠م) ، للمزيد انظر الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٣٧٣/٨ - ٣٧٨ ؛ ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ،

٥٠٦/١ - ٥٠٨ .

(٣) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١٨٨/٢ .

الامور فضله الله للامير الف رعيته ورزقهم رحمته والرأفة بهم وجعل ثوابه منهم مغفرته والخلود في رحمته والسلام عليك ورحمة الله^(١) .

وكتب عبدالله بن الحسن العنبري^(٢) وهو فقيه ومحدث توفي سنة ١٦٨ هـ / ٧٨٤م الى الخليفة المهدي :

(أما بعد اصلح الله أمير المؤمنين ومد له في اليسر والعافية اني رأيت وان كنت اعلم ان الله قد اعطى أمير المؤمنين وصالح وزرائه من عمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وما سلف من الائمة ما قد استحق به الشكر المن والفضل العظيم وله مني الشكر والحمد الكبير على كبير نعمه عليّ اني اذكره الذي علمه الله من ذلك واشئى اليه النصيحة فيما علمت بادبه مني اليه ان شاء الله بحق الله على من ذلك وحق أمير المؤمنين ونصيحة مني له للرعية رجاء ان ينسى الله بذلك حسباً ويمحو عني بذلك واياه اسأل ذلك وارغب اليه منه في توفيقه)^(٣) .

وقد ضمت رسالة الامام مالك الى الخليفة المهدي ما يلي :

(علم ان الله تعالى قد خصك من موعظتي اياك بما نصحتك به قديماً واتييت لك فيه ما ارجو ان يكون الله تعالى جعله لك سعادة وأمرأ جعل سبيلك به الى الجنة فلتكن - رحمنا الله واياك فيما كتبته اليك مع القيام بامر الله وما استرعاك الله من رعيته فانك المسؤول عنهم صغيرهم وكبيرهم وقد قال النبي ﷺ كلکم راع وكلکم مسؤول عن رعيته وروى في بعض الحديث انه يؤتى بالوالي ويده مغلوله الى عنقه فلا يفك عنه الا العدل وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : والله ان هلكت سخلة بشط الفرات ضياعاً لكنك ارى الله تعالى سائلاً عنها عمر ، وحج عمر عشر سنين وبلغني انه ما كان ينفق في حجة الا اثني عشر ديناراً وكان ينزل في ظل الشجرة على عنقه الدرة ويدور في الاسواق يسأل عن احوال من حضره وغاب عنه ولقد بلغني انه وقت اصيب حضر اصحاب النبي ﷺ فاثتوا عليه فقال المغرور من غررتموه لو ان ما على وجه الارض ذهب لاقتديت به من احوال المطلاع فعمر رحمة الله عليه كان مسدداً موفقاً مع انه قد شهد النبي ﷺ في الجنة ثم مع هذا خائف لما تقلد امور المسلمين فكيف بمن علمت فعليك بما يقربك الى الله وينجيك منه غداً واحذر يوماً لا ينجيك فيه الا عملك الخ)^(٤) .

(١) الرازي ، الجرح والتعديل ، ١٢/١٩٠ وما بعدها .

(٢) عبدالله بن الحسن العنبري : هو فقيه ومحدث توفي سنة ١٦٨ هـ / ٧٨٤م قاضي البصرة ، للمزيد انظر ، وكيع

، اخبار القضاة ، ٨٨/٢ ؛ ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، ٣-٤/٣٠٦ .

(٣) وكيع ، اخبار القضاة ، ٩٧-٩٨/٢ .

(٤) ابو زهرة ، مالک حياته ، ٧٩ .

اما رسالة الامام مالك بن انس الى الخليفة هارون الرشيد فتعد من ابلغ الرسائل واشهرها في الوعظ للخليفة هارون الرشيد والذي يقرأ الرسالة يجدها شاملة جامعة للاداب والسنن والنصائح والمواعظ حيث لم يترك كاتبها وهو الامام مالك الضليع في الفقه والعلم مسألة ولا سنة ولا شاردة ولا واردة الا وذكرها واستهلها بالتأسي برسول الله ﷺ وذكره والحساب يوم القيامة وتذكر اهل الجنة والنار والالتزام بالصلاة والسنن حيث يذكر :

(واجعل من نفسك نصيباً بالليل وصل من النهار اثني عشر ركعة واقراً فيهن ما احببت وقوله وصم ثلاثة ايام من كل شهر الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر واعط زكاة مالك طيبة بها نفسك حيث يحول عليك الحول)^(١) وركز على أداء الفرائض ومنها الحج والعمل بمبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتأديب الابناء والبنات والعدل بين الرعية وعدم ظلمهم وعدم الجبر والتكبر واياك والكبر والزهو فان الله عز وجل لا يحبهما ومشاورة المسلمين النصوحين والبعد عن بطانة السوء قائلًا : (شاوَر في امرك الذين يخافون الله احذر بطانة السوء)^(٢) والاهتمام بعامة الناس ومناصرة ومحادثة الضعفاء منهم وعدم اتباع الهوى وطول الامل وصلة الاقارب من الناس والعطف على المساكين ومساعدة الغريب والابتعاد عن الرياء وسوء الخلق كما جاء في قوله رسول الله ﷺ : (إن اكمل المؤمنين ايماناً احسنهم خلقاً والطفهم باهله)^(٣) وغيرها من السنن والاداب .

وكتب الامام ابو يوسف (ت ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م) الى الخليفة هارون الرشيد بعد ان طلب منه ان يكتب له كتاباً شاملاً جامعاً في الخراج وكيفية جبايتها من اجل تحقيق العدالة ورفع الظلم عن الناس جاء فيه :

(ان أمير المؤمنين ايده الله تعالى سلّني ان اضع له كتاباً جامعاً يعمل به في جباية الخراج والعشور والصدقات والجوالي (الجزيات) وغير ذلك مما يجب عليه النظر فيه والعمل فيه وانما اراد بذلك رفع الظلم عن رعيته والصلاح لامرهم وفق الله تعالى أمير المؤمنين وسدده واعانه على ما تول من ذلك وسلمه مما يخاف ويحذر وطلب ان ابين له ما سألني عنه ما يريد العمل به وافسره واشرحه وقد فسرت ذلك وشرحته يا أمير المؤمنين ان الله وله الحمد قد ترك امراً عظيماً كثوابه اعظم الثواب وعقابه اشد العقاب قللك امر هذه الامة فاصبحت وامسيت وانت تبني لخلق كثير قد استرعاكم الله واتتمنك عليهم وابتلاك بهم وولاك امرهم وليس يلبث البنيان اذا

(١) الامام مالك ، رسالة الامام مالك في السنن والمواعظ والاداب (مصر : ١٩٣٧) ١٨ وما بعدها .

(٢) نفسه .

(٣) ابو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ، المستدرک على الصحيحين ، كتاب الايمان ، رقم الحديث

اسس على غير التقوى ان ياتين الله من القواعد فيهدمه على من بناء واعان عليه فلا تضيعن ما قلدك الله من امر هذه الامة والرعية فان القوة في العمل باذن الله^(١) .

رسالة عبدالله بن عبدالعزيز العمري الى الخليفة هارون الرشيد :

كتب عبدالله بن عبدالعزيز العمري وهو من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى هارون الرشيد أمير المؤمنين رسالة جاء فيها :

(الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين الذي لا يخذل من اطاعه ولا يكرم عليه احد عصاه يا أمير المؤمنين هذا داعي القرآن بسمعك يقول (اهدنا الطريق المستقيم) فلا استقامة الا على طريق النجاة فاحفظ وصية الله وارج ثوابه وخف عقابه وتواضع له بحسن الاستماع من رعيته واعلم انك عبد قد بليت برعاية أم لا تحصي قد حفرت اماناتها وتفرقت اهواؤها واختلفت في دينها فأمرهم مريح وبأسهم بينهم شديد ان الله عز وجل جعل الامام العادل قوام كل زائل وقصد كل جائر وقوة كل ضعيف ونصر كل مظلوم ومفزع كل محتاج وهدى من الضلالة والامام العادل كالوالد في بره يسعى لهم صغاراً ويعلمهم كباراً يجمع لهم حياته ويدخر لهم مماته إنك الى اجلك اسرع منك الى املك ولا يغرنك المداحون بالزور وق نفسك واهلك ناراً وقودها النسل والحجارة لا تولين قريباً لقربته ولا صديقاً لصداقته ولا تحابين في الله عز وجل فيحاجك لدين غداً عند الله عز وجل ، اني لم الك نصيحة وعليك شفقة فانزل كلامي بمنزلة المداوي جرحه وانتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله)^(٢) .

ثالثاً : الوعظ شعراً وقصصاً :

لقد كان الشعر احد انماط الوعظ في العصر الاسلامي ، وبرع في ذلك عدد من الشعراء والزهاد وكانت مواعظهم ابيات شعرية تدل على الحكمة والموعظة والتذكيرة بما كان وما سوف يكون فأبو العتاهية خير من مثل هذا في العصر العباسي الاول من الشعراء فوعظ ومدح الخلفاء ومن الخلفاء الخليفة المهدي ومن بعده الوزراء ورجال الدولة الاخرين^(٣) .

جاءت الموعظة على نمط شعر عندما ساير عبدالله بن الحسن مع أبي العباس الخليفة العباسي الاول بظاهر مدينة الانبار وهو ينظر الى بناء قد بناه فقال ابو العباس له : هات ما عندك يا ابا محمد فانشده :

(١) ابو يوسف ، الخراج ، ٦٧ وما بعدها .

(٢) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ١٦٤/٢ .

(٣) ديوان أبي العتاهية ، ٧ .

لم تر مالكا لما تبني بناء نفعة لبني بقبيلة
يرجى ان يعمر عمر نوح وأمر الله يحدث كل ليلة^(١)

ومن قول ابي فراس الحمداني في الموعظة :

المرء نصب مصائب لا تتقضي حتى يوارى جسمه في رمة
فمؤجل يلقي الردى في اهله ومعجل يلقي الردى في نفسه^(٢)

دخل عمرو بن عبيد على الخليفة المنصور بعدما بايع المهدي فقال له يا ابا عثمان هذا ابن أمير المؤمنين ولي عهد المسلمين فقال له عمرو : يا أمير المؤمنين أراك قد وطدت له الامور وهي تصير اليه وانت عنه مسؤول ، فاستبصر المنصور فقال له : عطني يا عمرو فأتشد قائلاً :

يا ايها الذي قد غره الامل
ودون ما يأمل التتغيص والاجل
الا ترى انما الدنيا وزينتها
كمنزل الركب حلوا ثم ارتحلوا
حتوفها رصد بل عيشها نكد
وصفوها كدر وملكها دول
تظل تفزع بالروعات ساكنها
فما يسوغ له لين ولا جدل
كأنه للمنايا والردى غرض
تظل فيه بنات الدهر تنتقل
والنفس هاربة والموت يرصدها
وكل عثرة رجل عندها جلل
والمرء يسعى بما يسعى لوارثه
والقبر وارث ما يسعى له الرجل
فبكى المنصور بكاءً شديداً^(٣) .

(١) الجاحظ ، التاج في اخلاق الملوك ، تحقيق : احمد زكي باش (القاهرة : ١٩١٤) ٨١ .

(٢) الثعالبي ، يتيمة الدهر (بيروت : د/ت) ٧٤/١ .

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ، ٣/٣٠٣ ؛ ابو الحسن علي بن محمد الماوردي ، نصيحة الملوك ، تحقيق :

محمد جاسم الحديثي ، دار الحرية للطباعة (بغداد : ١٩٨٦) هامش ٦٤ .

وذكر الاصمعي ان الخليفة المهدي بينما كان يتمشى في قصره اذ سمع هاتفاً يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول :

كأني بهذا القصر قد باد اهله

وقد درست اعلامه ومنازله

خذ اهبة للموت انك ميت

وانك مسؤول فيما انت قائله

فقال المهدي :

اقول بان الله لا شيء غيره

وذلك قول ليس تغنى فضائله

فقال الهاتف :

تزود من الدنيا لسيرك بلغة

فقد ازف الأمر الذي بك نازله

فقال المهدي :

متى ذلك خبرني فأني سافعل

احصل ما قد قلته لي واعاجله

فقال الهاتف :

تمتع ثلاثاً بعد عشرين ليلة

الى اربع فالشهر لن تكامله

قال : فلم يلبث المهدي بعد ذلك الا سبعة وعشرين يوماً ومات^(١)

وطلب الخليفة الهادي من اخيه هارون الرشيد ان يخلع نفسه كولي للعهد ليولي مكانه ابنه فامتنع الرشيد عن ذلك وكان بدفع من امه الخيزران والبرامكة ، فانشد الخليفة الهادي شعراً قال فيه :

نصحت لهارون فرد نصيحتي

وكل امرئ لا يقبل النصح نادم

وادعوه للأمر المؤلف بيننا

فيبعد عنه وهو في ذلك ظالم

ولولا انتظاري منه يوماً الى غير

لمعاد الى ما قلته وهو راغم^(٢)

(١) ابن الجوزي ، المواعظ والمجالس ، ٦٣ .

(٢) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ٢٨٠ .

ومن الشعراء الذين وعظوا الخليفة هارون الرشيد بشعرهم ابو العتاهية (ت ٢١٠هـ / ٨٢٦م) الذي ارسل اليه هارون الرشيد بعدما زخرف مجالسه وزوقها وصنع فيها طعاماً كثيراً ، وطلب منه الرشيد ان يصف نعيم الدنيا فقال :

عش ما بدا لك سالماً

في ظل شاهقة القصور

يسعى عليك بما اشتهيت

لدى الرواج وفي البكور

فاذا النفوس تقععت

في ضيق حشجة الصدور

فهناك تعلم موقعنا

ما كنت الا في غرور

فبكى الرشيد ، وقال له الفضل بن يحيى : بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فاحزنته ، فقال الخليفة ، دعه فانه رآنا في ضلالة وعمى فكره ان يزيدنا عمى^(١) .

وقوله للرشيد :

طويت عنه الكشوح

....كم رأينا من عزيز

صائح الدهر الصّوح

صاح منه برحيل

الارض على البعض فتوح

موت بعض الناس في

مسكين ان كنت تتوح

.... نح على نفسك يا

ما عمر نوح

لست بالباقي ولو عمرت

فلما سمع الرشيد جعل يبكي وينتحب وكان لرشيد من اغزر الناس دموعاً في وقت الموعظة واشدهم عسفاً في وقت الغضب والغلظة^(٢) .

ودخل ابو العتاهية مرة على الرشيد فقال له الخليفة الرشيد عطني : فقال له : اخافك فقال له : انت آمن فانشده :

فالدهر ذو غرر والدهر ذو خلس^(٣)

افتى شبابك كُر الطرف والنفس

ووعظ المأمون بقوله :

لم ياخذ الأهبة للفوت

كم غافل أودى به الموت

زال عن النعمة بالموت

من لم تزل نعمته قبله

(١) الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ١١١ ؛ البكري ، تاريخ الخميس ، ٣٣١/٢ .

(٢) ديوان أبي العتاهية ، ١١٦-١١٧ .

(٣) ديوان ابي العتاهية ، ٢٣٠ .

فقال له المأمون : احسنت وطيب المعنى وامر له بعشرين الف درهم^(١) .

حدث ابو العتاهية قال : ماتت بنت المهدي فحزن عليها حزناً شديداً حتى امتنع من الطعام والشراب . فقلت ابياتاً أعزیه فيها فوافيته وقد سلا وضحك وأكل وهو يقول : لا بد من الصبر على ما لا بد منه ولئن سلونا عمن فقدنا ليسلون عنا من يفقدنا وما يأتي الليل والنهار على شيء الا ابلياه : فلما سمعت هذا منه . قلت
يا أمير المؤمنين اتأذن لي ان انشدك ؟ قال : هات فانشدته :

ما للجديدين لا يبلي اختلافهما	وكل غض جديد فيهما بال
يا من سلا عن حبيب بعد ميته	كم بعد موتك ايضاً عنك من سال
كأن كل نعيم انت ذائقه	من لذة العيش يحكي لمعة الال
لا تلعبن بك الدنيا وانت ترى	ما شئت من غير فيها وامثال
ما حيلة الموت الا كل صالحة	ولا فما حيلة فيه لمحتال ^(٢)

ومن الزهاد والوعاظ الكبار في العصر العباسي الاول عبدالله بن المبارك الذي لديه الكثير من شعر الزهد ومنها قوله لصديقه اسماعيل بن علي الذي كان من المحدثين لما تولى الصدقات بالبصرة في خلافة هارون الرشيد ، وقيل المظالم في بغداد يوبخه فيها :

با جاعل الدين له بازياً	يصيد اموال المساكين
إحتلت للدنيا ولذاتها	بحيلة تذهب الدين
فصرت مجنوناً بها بعدما	كنت دواء للمجانين
لا تبع الدين بدنيا كما	يفعل ضلال الرهابين
اين رواياتك فيما مضى	عن ابن عون وابن سيرين
اين احاديثك والقول في	لزوم ابواب السلاطين
تقول اكرهت ماذا كذا	زل حمار العلم في الطين ^(٣)

وكان عبدالله بن المبارك يقدم مواعظه شعراً ونثراً ويحث على الجهاد ولم يكن يمدح خليفة أو وزيراً أو أميراً أو قائداً وكان يتجنب الوقوف بباب الخليفة او الامير^(١) .

(١) ديوان أبي العتاهية ، ٩٤ .

(٢) السابق ، ٣٢٨ وما بعدها .

(٣) وكيع ، اخبار القضاة ، ١٦٩/٣ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٢٣٦/٦ ؛ عبدالمجيد حسيب ، عبدالله

بن المبارك (عمان : ١٩٧٢) ١٣٢ .

وقد ذكر انه اذا اذنب العبد صار في قلبه كوخزة الابرّة ثم كلما اذنب صار فيه كوخز الابرّة حتى يعود القلب كالمنحل وقال القاضي ابن شبرمة بن طفيل ((ت ١٤٤ هـ / ٧٦٠ م) فقيه تولى القضاء للمنصور^(٢) : (إذا كان البدن سقيماً لم ينفعه الطعام وإذا كان القلب مغرماً يحب الدنيا لم تنفعه الموعظة وفيه قيل :

ولا ارى اثراً للذكر في خلدي
والحبل في الصخرة الصّما له اثر
اذا قسا القلب لم تنفعه موعظة
كالارض ان سبخت لم ينفع المطر^(٣)

ولما احتضر الخليفة الواثق جعل يردد هذين البيتين من الشعر :

الموت فيه جميع الخلق مشترك
لا سوقة بينهم يبقى ولا ملك
ما ضرّ أهل قليل في تنافرهم
وليس يغني عن الاملاك ما ملكوا

ثم امر بالبسط فطويت والصق خده بالارض وجعل يقول : (يا من لا يزول ملكه إرحم من زال ملكه)^(٤)

وقد يكون الوعظ على نمط قصة طريفة قد تكون صحيحة او خيالية ولكن ذات مغزى ومعنى كبير لافادة السامع ، فيحكى ان الخلفية المأمون أرق ذات ليلة ، فدعا من يسامره فقال : يا أمير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل بومة البصرة لابنها ، فقالت بومة البصرة لا اجيب خطبة ابنك حتى تجعلني في صداق ابنتي مائة صنّعة خربة ، فقالت بومة الموصل لا اقدر عليها لكن إن دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت ذلك فانتبه

(١) حسيب ، عبدالله بن المبارك ، ١٤٢-١٤٤ .

(٢) وكيع ، اخبار القضاة ، ٣٦/٣ وما بعدها .

(٣) الطرطوشي ، سراج ، ١٥ .

(٤) ابن الجوزي ، المصباح ، ٥١٠/١ .

اليها الخليفة المأمون وجلس للمظالم وأنصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمور الولاية والعمال والرعية^(١).

(١) الابشيهي ، المستطرف ، ١٣٩/٢ .

الفصل الرابع

أنماط وعظ العامة

أولاً : مجالس القص والوعظ :

العامة : هم اهل المهن والصنائع والخدم والفلاحون والجند والصوص والعيارون والشطار^(١) .

فالقاص : هو الذي يحكي عن الماضي ويروي اخبار السالفين حتى يتخذ منها عبرة وموعظة فقد قال الله عز وجل : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ)^(٢) وقال : (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصُّ الْحَقُّ)^(٣) ومن اهم هذه المجالس :

١ - مجالس القصاص :

كانت هذه المجالس على نوعين ، خاصة وعامة فالمجالس الخاصة يذكر ان اول من استحدثها الخليفة معاوية بن ابي سفيان وكان يقف فيها القاص بعد اداء صلاة الصبح يذكر الله ويبدأ بالدعاء للخليفة ولأهل بيته وحاشيته وجنوده^(٤) .

أما المجالس العامة فتعقد عادة في المساجد حيث يلتف الناس حول القاص الذي يقوم بارشادهم وتذكيرهم بالله وحثهم على اتباع الطريق المستقيم على ضوء ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة الصحابة والتابعين^(٥) .

وكان للقصاص في الغالب صبغة دينية حتى القرن الثالث الهجري اذ كانت مهمتهم تتماشى مع مبادئ الاسلام وسير السلف الصالح ، ولم تكن رواية القصة حديثة في الاسلام بل عرفت في المجتمع الجاهلي وكانت مادة قصصهم ايام العرب واخبار الامم المجاورة^(٦) .

واستمر القصاص في مجالسهم في صدر الاسلام من اجل تفسير الشريعة الاسلامية وتقديم النصائح لهم وبقي هذا حتى منتصف القرن الثاني الهجري وكان من بين القصاص علماء وقضاة وخطباء وادباء من اصحاب البلاغة والفصاحة^(٧) .

وفي القرن الثالث الهجري تولى وعاظ لم يمتلكوا مستوى طيباً من العلم والمعرفة والفكر ، فالتفت حولهم العامة من الناس وزاد عدد المستمعين من الرجال والنساء وتعددت المجالس ولم

(١) فهد ، العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ، ١١-١٣ ؛ الجابري ، العقل السياسي العربي ، ٣٣٢ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٣ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ٦٢ .

(٤) رحمة الله ، الحالة الاجتماعية في العراق ، ٩٥ وما بعدها .

(٥) نفسه .

(٦) نفسه .

(٧) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ١/٣٦٧ ؛ متر ، الحضارة الاسلامية ، ٤١/٢ .

تعد مقتصرة على المسجد كما كان في السابق وانما اخذت تعقد في الطرقات والاسواق بل وفي المقابر^(١) .

فالتذكير هو العامل الاكبر في اخراج الناس من ظلمات الجهالة الى نور العلم وتحريرهم من رق الخرافات والوهم وهم كالسراج فاذا لم ينتفع بضوئه فلا فائدة في وجوده ولا بد للواعظ ان يؤثر على قومه لانه ليس مسؤولاً عن نفسه وحدها بل عن امته فمن الواجب ان يعلم ويعظ تأسيماً برسول الله ﷺ^(٢) .

ومن هنا لا بد ان يكون عالماً ذا اخلاق ويمتاز بقوة الملكة وسعة الادراك وبذلك يحتاج الى مادة علمية يعرفها تعينه على ذلك^(٣) .

(ان موعظة العامة والتصدي لارشادهم في الدروس العامة من الامور المهمة المنوطة بخاصة الامة اذ هم أمناء الشرع ونور سراجهم ومصاييح علومهم وحفاظ سياجه ، وكان السلف الصالح يملون مما وقر في صدورهم ما يرونه احسن بحالهم وزمانهم ومكانهم)^(٤) .

وبعد اتساع الفتوحات الاسلامية وازدهار الحضارة اخذ ينمو التفريع والتخريج والانبساط في الفنون وتتنوعت العلوم في كل مصنفاتها .

(وكانت عظة العوام موقوفة على جوهر دين الاسلام واعلامهم محاسن الدين وواجباته ونوافله ومحضوراته وما يأمر به من الاخلاق الكريمة ويزجر عن المساوئ الذميمة ليرتقوا الى ما فيه صلاحهم ونجاحهم ودعوة العلماء لهم من اجل العمل بالمعروف والنهي عن المنكر)^(٥) .

ان موضوع وعظ العامة موضوع مهم لا يعرفه الا كل حكيم فالواعظ هو انسان حافظ لحدود الله قائم على ارشاد العقول وتهذيب النفوس وتنقيف الازهان وتنوير المدارك وتصحيح المعتقدات فالواعظ هو الذي ينشر العلم النافع بين الناس ويحثهم على العمل به ويخاطبهم على قدر عقولهم ويرشدهم ويخالطهم لتأليف قلوبهم^(٦) .

أما موقف العلماء من القصص فقد كرهوا القصص للأسباب الآتية :

(١) ابن الجوزي ، تلييس ابليس ، ١٢٢ ؛ رحمة الله ، الحالة الاجتماعية ، ٩٥ .

(٢) محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي ، موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين (بيروت : ١٩٧٩) ٣/١ .

(٣) نفسه .

(٤) السابق ، ٢ .

(٥) نفسه .

(٦) نفسه .

- ١- ان القوم كانوا على الاقتداء والاتباع فكانوا اذا رأوا ما لم يكن على عهد رسول الله ﷺ انكروه حتى ان الخليفة ابا بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) ارادا جمع القرآن فانبرى لهم زيد وقال لهما : اتفعلا شيئاً لم يفعله الرسول ﷺ (١) .
- ٢- ان القصص عن أخبار المتقدمين تندر صحته وبخاصة ما ينقل عن بني اسرائيل وفي شرعنا غنية ، وقد جاء عمر بن الخطاب بكلمات من التوراة الى رسول الله ﷺ فقال له : امطها عنك يا عمر خاصة اذ قد علم ما في الاسرائيليات من المحال كما يذكرون ان داود عليه السلام بعث اوريا في سفر حتى قتل وتزوج امرأته وان يوسف حل سراويله عند زليخا ومثل هذا محال تنتزه الانبياء عنه فاذا سمعه الجاهل هانت عنده المعاصي (٢) .
- ٣- ان التشاغل عن ذلك قد يشغل عن المهم من قراءة القرآن ورواية الحديث والتفقه في الدين (٣) .
- ٤- ان في القرآن الكريم من القصص وفي السنة من العظة ما يكفي عن غيره مما لا يتيقن صحته (٤) .
- ٥- ان اقواماً أدخلوا في الدين ما ليس منه فأدخلوا في قصصهم ما يفسد قلوب العوام (٥) .
- ٦- ان عموم القصاص لا يتحرون الصواب ولا يحترزون من الخطأ لقلّة علمهم وتقواهم فلهذا كرهت القصص ، أما اذا وعظ العالم وقص من يعرف الصحيح من الفاسد فلا كراهة (٦) .
- وكانت القصص في عهد الرسول ﷺ نادرة وقد قيل أن عبيد الله بن رواحة كان يقص . وهناك من يذكر انه لم يقص على عهد الرسول ﷺ ولا في عهد أبي بكر ، وانما اول من قص هو تميم الداري الذي استأذن الخليفة عمر بن الخطاب ان يقص على الناس قائماً فاذن له بذلك (٧) .

(١) ابن الجوزي ، القصاص والمذكرين ، ١٠-١١ .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه .

(٤) نفسه .

(٥) نفسه .

(٦) نفسه .

(٧) السابق ، ٢٢ .

وذكر انه اول من قص عبيد بن عمير على عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل ان القصص احدثت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما وقعت الفتنة ، اما ابن سيرين فيذكر ان اول من قص القصص الحورية او قال : الخوارج^(١) .

وهناك هدف مادي لدى اغلب القصاص فيحتالون بالقصص والوعظ وربما يمتنع احدهم عن اخذ المال تصنعاً ليقال عنه زاهداً ليأخذ اكثر مما رد^(٢) .

ومن اجل اصفاء الهيبة والخشوع والخضوع على القاص نجد ان قص احدهم يتبخر بالزيت والكمون ليصفر وجهه ، ومنهم من يخرق ثوبه ويرمي نفسه من المنبر تواجداً^(٣) .

وروى عن الامام احمد بن حنبل أنه قال : (أكذب الناس القصاص والسؤال)^(٤) . ومن القصاص من يسمع الاحاديث الموضوعة فيرويهها ولا يعلم انها كذب فيؤذي بها الناس ، وصنف جماعة من غير العرب كتباً في الوعظ ملأوها بالاحاديث المحالة والمعاني الفاسدة^(٥) .

ونتيجة لهذا السلوك المؤذي من قبل هؤلاء انبرى عدد من العلماء والمؤرخين بموقف حازم ونقد مسلحهم ، فالمؤرخ المسعودي وصفهم بالكذابين^(٦) ، وقال عنهم المقدسي (انهم يروون الاعاجيب والثرهات والاباطيل)^(٧) ، كما طعن في اقوالهم البيروني^(٨) وابن الجوزي^(٩) ومن كبار الفقهاء الامام مالك بن انس والامام احمد بن حنبل اللذان كانا أشد المناهضين لهم^(١٠) .

كان الواعظ مدرساً يحضر حلقاته شرائح عديدة من ابناء المجتمع فيشرح له المسائل الشرعية ويجيب عن الاسئلة التي توجه له وقد حافظت مجالس الوعظ العامة على سمعتها الطيبة طيلة القرن الاول والثاني للهجرة ، وذلك لان الناس كانوا قريبين من عهد

(١) ابن الجوزي ، القصاص والمذكرين ، ٢٢-٢٣ .

(٢) السابق ، ١٢١ .

(٣) للمزيد انظر : ابن الجوزي ، القصاص ، ٩٣ وما بعدها .

(٤) ابن الجوزي ، القصاص ، ١٠٠ .

(٥) السابق ، ١٠٢-١٠٣ .

(٦) مروج الذهب ، ٨٦/٥ .

(٧) البدء والتاريخ ، ٤/١ .

(٨) الاثار الباقية عن القرون الخالية ، ٣٣٠ .

(٩) تلبيس ابليس ، ١٢٤ .

(١٠) رحمة الله ، الحالة الاجتماعية ، ٩٩ .

الرسول ﷺ وبينهم الصحابة والتابعون وظلوا متمسكين بالدين ، وكان الوعاظ علماء ولهم إمام بأمر الدين الاسلامي يؤهلهم لارشاد الناس الى الطريق القويم^(١) .

وهناك مجالس خاصة بالوعظ يحضرها الواعظ مع نفر قليل من الناس وقد لعبت دوراً كبيراً في توجيههم نحو الخير والارشاد^(٢) على ان مجالس الوعاظ لم تحتفظ بمكانتها في القرنين الثالث والرابع الهجريين وتعرضها كما يذكر ابن الجوزي (الجهال من العوام والنساء فانصرفوا عن الاشتغال بالعلم واهتموا بالكسب المادي وظهرت البدع على اختلاف انواعها وانتشرت الخرافات على أسنة الوعاظ)^(٣) .

وكان عدد من حكام الولايات يستغل هؤلاء للوقوف الى جانب احد المذاهب ضد الآخر ويطلب من الوعاظ ان يعينه ويعظ الناس في ضوء ذلك وبذلك تصبح المساجد والاماكن الاخرى التي يعقد فيها الوعاظ مجالسهم مراكز للدعاية لفريق دون الآخر ، وهذا معناه انه كان لمجالس الوعظ دور سياسي في الفترة اللاحقة^(٤) .

وكان من اثر انحراف الوعاظ وعقد مجالسهم خارج المسجد ان تزايد عدد المستمعين اليهم من العامة وقد حث عدد من علماء الدين كالغزالي^(٥) على منع حضور النساء مجالس الوعاظ خشية ان يؤدي ذلك الى الفتنة ، وحث العلماء الوعاظ على الظهور أمام الناس بمظهر يتجلى فيه الورع والوقار وان يتزوا بزوي الصالحين .

ولم تكن الدولة غافلة عن تصرفات قسم من هؤلاء الوعاظ ومحاسبتهم ومنعهم من الوعظ بل وقد تضطر الى طرده خارج العاصمة^(٦) .

ينتقد ابن الجوزي اسلوب عدد من الوعاظ وسلوكهم اثناء الوعظ بما لا يتفق والشرعية الاسلامية فيقول : (تأملت اشياء تجري في مجالس الوعظ يعتقدونها العوام وجهال العلماء قره وهي منكر وبعد وذاك ان المقرئ يطرب ويخرج الالحان الى الغناء والواعظ ينشد بتطريب اشعار المجنون وليلى فيصفق هذا ويخرق ثوبه هذا ويعتقدون ان ذلك قره)^(٧) .

وقد اصبح هذا واضحاً في عصر ابن الجوزي في القرن السادس الهجري اما في العصر العباسي الاول فكانت قليلة ومحدودة وذلك لقربهم الى زمن الصحابة والتابعين .

(١) رحمة الله ، الحالة الاجتماعية ، ٩٩ ؛ متر ، الحضارة ، ١١١/٢ .

(٢) الجاحظ ، المحاسن والاضداد ، تحقيق : فوزي عطوان (بيروت : ١٩٦٩) ١١٣ .

(٣) تلبيس ابليس ، ١٢٠ وما بعدها .

(٤) الذهبي ، العبر في خبر من غير ، ٩٨/٣ ؛ رحمة الله ، الحالة الاجتماعية ، ١٠١ .

(٥) احياء علوم الدين ، ٣٢٩/٢ .

(٦) نفسه .

(٧) صيد الخاطر (مصر : د/ت) ٩٩ .

ويواصل ابن الجوزي في كلامه عن الوعاظ وما يجب عليهم من مراعاة شروط الوعظ والا خالفوا الشريعة الاسلامية ويقول : (ومن الوعاظ من يتكلم على طريق المعرفة والمحبة فتري الحائك والسوقي الذي لا يعرف فرائض تلك الصلاة يمزق ثيابه دعوى لمحبة الله تعالى)^(١) .

وعلى الواعظ ان لا يتعدى الصواب ولا يتعرض لما يفسد العامة من الناس بل يجذبهم الى ما يصلح بأسلوب جميل وهذا يحتاج الى صناعة وفن من قبل الواعظ فهناك من العامة من يعجبه حسن اللفظ ومنهم من يعجبه الاشارة ومنهم من ينقاد بببيت من الشعر واحوج الناس الى البلاغة هو الواعظ ليجمع مطالبهم ثم يجتذبهم الى العزائم ويعرفهم الطريق الحق^(٢) .

ويذكر ان الامام احمد بن حنبل سمع كلام الحارث المحاسبي فبكى ثم قال : (لا يعجبني الحضور وانما بكى لان الحال اوجب البكاء)^(٣) .

واذا وعظ الواعظ العامة فعليه ان لا يطيل المجلس فقد قال احمد بن حنبل (لا احب للقاص ان يمل فلا يطيل الموعظة اذا وعظ حيث قال الزهري)^(٤) (المجلس اذا طال كان للشيطان فيه نصيب ، وليقتصر على مجلس واحد في الاسبوع فان رأى الهمم متشوقة الى الزيادة جعلها مجلسين ولا يزيد على هذا ومتى كان الواعظ عالماً بتفسير القرآن والحديث ، وسير السلف والفقهاء عرف جادة ولم يخفى عليه بدعة من سنة ، ودله علمه على حسن القصد وصحة النية ، ومتى كان قاصر العلم طالباً للدنيا لم ينفع غيره قصر نفسه)^(٥) .

ومن واجب الواعظ التعرف على احوال المسلمين العامة وصلتهم بغيرهم من الامم الاخرى وان يختلطوا بالناس ليعرفوا عللهم وامراضهم حتى اذا ما وصفوا لهم الدواء اتى على الداء فبرء باذن الله وكانى من واعظ لعدم تبصره بشؤون الناس اضل اكثر مما هدى وهدم فوق ما بنى ونفر بدل ان قرب فامثال اولئك دعاة الغواية لا رسل هداية اولئك يفسدون في الارض ولا يصلحون^(٦)

(وكما تلزم الواعظ الخبرة بأحوال الناس ينبغي ان يقف على طرف من علوم الحياة التي تبصره بالكون ونظامه والسنن التي قام عليها بناؤه حتى يكون له من ذلك معين على معرفة

(١) صيد الخاطر ، ٩٩-١٠٠ .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه .

(٤) الزهري : هو اعلم الحفاظ ابو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عباد الله بن زهرة بن كلاب القرشي ولد سنة ٥٠هـ وقبل عنه انه لم ير عالماً مثله قط توفي سنة ١٢٤هـ انظر الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ١٠٨/١ وما بعدها .

(٥) ابن الجوزي ، القصاص ، ١٤٣-١٤٤ .

(٦) نفسه .

اسرار الله في صنعه وحكمته في تدبير خلقه وبذلك يستطيع فهم آيات القرآن الكونية وتقريبها من افهامهم فيبصر ويبصرون^(١) .

وكان الوعاظ يحثون الناس على عدم حب الدنيا وترك ما هو حرام واخذ الحلال وعدم الميل والركون اليها لان ذلك يقسي القلب^(٢) .

وكان الوعاظ يستمدون جل وصاياهم ومواعظهم من القرآن الكريم والسنة النبوية ويطرحونها على الناس من اجل العمل بها لانها تهذب السلوك وتنفي النفس ، فالوعاظ الحسن

بن ذكوان^(٣) ذكرهم بحديث رسول الله ﷺ (اوصاني بتسع خصال واني موصيكم بها) :

- ١- الاخلاص في السر والعلانية .
- ٢- العدل في الرضا والغضب .
- ٣- القصد في الفقر والغنى .
- ٤- اقف عن ظلمي وأصل من قطعني .
- ٥- اعطي من حرمني .
- ٦- ان يكون صحتي تفكراً .
- ٧- منطقي ذكراً .
- ٨- ونظري عبراً .
- ٩- أصل من قطعني^(٤) .

وكان الوعاظ يحثون العامة على التوبة وللتائب عندهم علامات في ذلك منها الخروج من الجهالة التي هو فيها ومعرفة الصحيح من الخطأ ، والندم على ما فعل والابتعاد عن الهوى وعدم الظلم واصلاح ما فسد وعدم الكذب وترك كل الخصال السيئة^(٥) .

قال الاصمعي (ت ٢١٧ هـ / ٨٣٢ م) حجبت فنزلت ضريبة^(٦) ، فاذا اعرابي قد كور على رأسه وقد تتكب قوساً فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : (ايها الناس انما الدنيا دار ممر والاخرة دار مقر فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا استاركم عند من يعلم اسراركم ، اما بعد فانه لن يستقبل احداً يوماً من عمره الا بفراق آخر من اجله فاستعجلوا لانفسكم لما تقدمون عليه

(١) الخولي ، اصلاح الوعظ الديني ، ٢٦ .

(٢) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٤٠٥/١ .

(٣) الحسن بن ذكوان : ابو سلمة البصري روى عن عطاء بن ابي رباح وعباد بن يونس . انظر ابن حجر تهذيب التهذيب ، ٢٧٦/٢ .

(٤) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٣٩٦/١ .

(٥) نفسه

(٦) ضريبة : قرية لبني كلاب على طريق البصرة الى مكة . انظر ابن منظور ، لسان العرب ، ٤٨٤/١٤ .

لا لما تظعنون عنه وراقبوا من ترجعون اليه فانه لا قوي اقوى من خالق ، ولا ضعيف اضعف من مخلوق ولا مهرب من الله الا اليه وكيف يهرب من يتقلب بين يدي طالبة^(١) كما جاء في قوله تعالى : (إِنَّمَا تَوْفُونُ أَجْـُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُخِلَّ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)^(٢) .

وقال بعض الاعراب (ان الموت يقتحم على بني آدم كاقترام الشيب على الشباب ومن عرف الدنيا لم يفرح بها فهو خائف ولم يحزن فيها على بلوى ولا طالب أغشم من الموت ، ومن عطف عليه الليل والنهار اروياه ومن وكل به الموت أفناه)^(٣) .

وقال اعرابي :

(كيف يفرح بممر تنقصة الساعات وبسلامة بدن معرض للافات ولقد عجبت من المرء يفر من الموت وهو سبيله ولا ارى احداً الاّ استدركه الموت)^(٤) .

ومن مواظ العلماء للعامة قول الازاعي :

(ايها الناس تقوّوا بهذه النعم التي اصبحتم فيها على الهرب من نار الله الموقدة)^(٥) .

وذكرهم الازاعي بالاقوام السالفة وطول اعمارهم ولكنهم رحلوا من هذه الدنيا وهذه آثارهم تدل عليهم^(٦) .

٢ - أشهر القصاص والوعاظ في العصر العباسي الاول :

١- ابو الفتح محمد بن محمد الخزيمي : (ت : ؟) قدم بغداد في خلافة المهدي سنة

١٥٩ هـ / ٧٧٥ م فوعظ فاتي بافتراءات قبيحة منها : قال : تزوج الرسول ﷺ امرأة بكشحا

بياضاً فردها فهبط عليه جبريل عليه السلام فقال : العلي الاعلى يقرأ عليك السلام ويقول :

بنقطة واحدة من العيب ترد عقد النكاح ، ونحن بعيوب كثيرة لانفسخ عقد الايمان مع امتك

لك نسوة تمسكن لاجلك امسك هذه لاجلي وهذا من افحش الكذب واقبحه ، فان رسول الله

ﷺ لما ردّ تلك المرأة لم يعاتب ولا جاء جبريل ولا جرى من هذا شيء ، والعجب كل

العجب حين يجري هذا ببغداد وهي تعد دار العلم والعلماء^(٧) .

(١) الجاحظ ، المحاسن والاضداد ، ٩٧ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٨٥ .

(٣) الجاحظ ، المحاسن والاضداد ، ٩٧-٩٨ .

(٤) نفسه .

(٥) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ١١٧/٧ .

(٦) نفسه .

(٧) ابن الجوزي ، القصاص ، ١٠٣-١٠٤ .

٢- الحارث المحاسبي : (ت ٢٤٣هـ / ٨٥٧م)^(١) : أبو عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي البصري الاصل الزاهد المشهور احد رجال الحقيقة وهو من اجتمع له علم الظاهر والباطن ، وسمي بالمحاسبي لانه كان كثير المحاسبة لنفسه وانه كان له حصي يعدها ويحسبها وقت الذكر^(٢) .

وقد سمعه الامام احمد بن حنبل عند صديقه اسماعيل بن اسحاق السراج هو وجماعته ولما فرغوا قال الامام احمد بن حنبل لصاحبه : (ما اعلم اني رأيت مثل هؤلاء القوم ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل (ويقصد الحارث المحاسبي) وعلى ما وصفت من احوالهم فلا ارى لك صحبتهم)^(٣) .

٣- منصور بن عمار : عاش في خلافة الرشيد ابن كثير الواعظ البليغ الرباني ابو السري السلمي الخراساني وقيل البصري كان عديم النظير من الموعظة والتذكير^(٤) وعظ بالعراق والشام ومصر وذاع صيته وتزاحم عليه الخلق وكان ينطوي على زهد وتأله وخشية ولوعظه وقع في النفوس ، وقد حضر مجلسه الليث بن سعد فاعجبه ونفذ اليه بالف دينار^(٥) . كان منصور ابن عمار في قصصه وكلامه شيئاً عجبا لم يقص على الناس مثله ، وقد قال منصور ابن عمار : قال لي هارون : (كيف تعلمت هذا الكلام : قلت يا امير المؤمنين رايت النبي ﷺ وانه تفل في في وقال لي : يا منصور : قل فانطقت باذن الله تعالى)^(٦) .

وذكر محمد ابن مفضل قال : (رايت منصور ابن عمار في المنام فقلت يا ابا السري : ما فعل بك ربك ؟ قال : خيرا . قلت : بماذا ؟ قال : بما كنت تحبيني الى عبادي)^(٧) . وقد يحدث القص في الاسواق حيث يذكر ان الشاعر بشار بن برد مر بقاص في البصرة فسمعه في قصصه يقول :

(من صام رجب وشعبان ورمضان بني الله له قصراً في الجنة صحنه الف فرسخ في مثلها وعلوه الف فرسخ وكل باب من ابواب بيوعه ومقاصره عشرة فراسخ في مثلها قال : فالتفت بشار الى قائده فقال : بنست والله الدار هذه كانون الثاني)^(٨) .

(١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٥٧/٢ .

(٢) عزيز السيد جاسم ، متصوفة ، بغداد (بغداد : ١٩٩٠) ١٢٩ .

(٣) ابن الجوزي ، القصاص والمذكرين ، ١٣١ .

(٤) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٩٣/٩ ؛ أبو عبدالرحمن السلمي ، طبقات الصوفية ، تحقيق : نور الدين شريعة (القاهرة : ١٩٨٦) ١٣٠ .

(٥) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٩٤/٩ .

(٦) ابن الجوزي ، القصاص ، ٨٧ .

(٧) نفسه .

٤- ابن السماك (ت ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م) بالكوفة^(٢) : ابو العباس محمد بن صبيح المذكر مولى بني عجل المعروف بابن السماك القاص الكوفي الزاهد المشهور كان زاهداً عابداً حسن الكلام صاحب مواعظ جمع كلامه وحفظ ولقي جماعة من حنبل وانظاره وهو كوفي قدم بغداد زمن هارون الرشيد فمكث بها مدة ثم رجع الى الكوفة فمات بها ومن كلامه : (خف الله كأنك لم تطعه وارج الله كأنك لم تعصه)^(٣) ، قيل وعظ مرة الرشيد فقال : (يا أمير المؤمنين ان لك بين يدي الله مقاماً وانه لك مقاماً منصرفاً فانظر الى اين تكون فبكى الرشيد كثيراً)^(٤) .

يعد ابن السماك فارس المواعظ الذي لا يجاري فقد اثرت عنه نصوص وعظية كثيرة ومؤثرة ، عبرت عن قدرته البيانية العالية وامتلاكه ناصية اللغة ، وللزهاد مواعظ مؤثرة وجريئة امام الخلفاء والولاة عرفت باسم المقامات لا تختلف في موضوعاتها واسلوبها عن المواعظ الاخرى ويتجلى فيها صدق العاطفة لدى الزهاد في اثناء خطابهم خالقهم العظيم الله تعالى بالدعاء والمناجاة^(٥) .

وكان ابن السماك يقول : الدنيا اذا خلت من الايمان فلا قيمة لها ولا وزن ولا معنى^(٦) ، ومن مواعظه حول الايمان : (من اعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة ومن اقبل على الله بقلبه اقبل الله برحمته اليه واقبل بجميع وجوه الخلق اليه ومن كان مرة ومرة فانه يرحمه وقتاً)^(٧) .

ومن اقوال ابن السماك : (لو قال العبد يا رب لا ترزقني لقال الله : بل ارزقك على رغم انفك ليس لك خالق غيري ولا رازق سواي ان لم ارزقك فمن يرزقك)^(٨) .

(١) الاصفهاني ، الاغانى ، ١٦٠/٣ .

(٢) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٣٢٨/٢ وما بعدها .

(٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٣٠١/٤ وما بعدها .

(٤) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٣٢٨/٢ وما بعدها .

(٥) عمر ، النثر الصوفي في الادب العربي ، رسالة دكتوراه ، ٢١ .

(٦) عائض عبدالله القرني ، لا تحزن (بيروت : ١٩٩٩) ١٤٤ .

(٧) القشيري ، الرسالة القشيرية ، ٦٢/١ .

(٨) ابو حيان التوحيدى ، الامتاع والمؤانسة ، صححه : احمد امين واحمد الزين (لبنان : د/ت) ١٢٧/٢ .

وقوله : (الدنيا كالعروس الحلوة تشوقت لخطابها وفتقت بغرورها فالعيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لأزواجها قاتلة)^(١) .

ولقد وعظ ابن السماك العامة والخاصة على حد سواء فمن بين مواعظه للعامة قوله : (الغرباء في الدنيا الذين يصلحون اذا فسد الناس كأننا عما يراد بنا ينام ، العيش حلو الدر مر العظام يغيب المرء في صدع من الارض غير موسد ولا ممهد وقد فارق الاحباب وسكن التراب وواجه الحساب غني عما خلف وفقير الى ما قدم)^(٢) .

وقوله : (لقد امهلكم حتى كأنه اهلكم اما تستحون من الله من طول ما تستحيون)^(٣) .

٥- ذنون المصري : (ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) هو ثوبان بن ابراهيم ويقال الفيض بن احمد ويقال كنيته ابو الفيض وكان ابوه نوبياً^(٤) كان عالماً فصيحاً من اهل النبوة امتحن واوذى لكونه أتاها لم يعلم لم يعهدوه ، كان اول من تكلم بمصر في ترتيب الاحوال وفي مقامات الاولياء فقال الجهلة هو زنديق وقيل انه لما مات اظلت الطير جنازته^(٥) .

وقد حضر مجلس المتوكل ليعظه وكان المتوكل اذا ذكر بين يدي اهل الورع بكى^(٦) ، حيث حيث كان المتوكل يفضل على الزهاد حيث قال له : صف لي اولياء الله قال : يا أمير المؤمنين هم ألبسهم الله النور الساطع من محبته وجللهم بالبهاء من ارادة كرامته ووضع على مفارقتهم تيجان مسرته فذكر كلاماً طويلاً ، ومن كلامه : (العارف لا يلتزم حالة واحدة بل يلتزم أمر ربه في الحالات كلها)^(٧) .

وقال ذنون : (الاستغفار جامع لمعان اولهما الندم على ما مضى الثاني العزم على الترك الثالث اذا ما ضيعت من فرض الله الرابع رد المظالم في الاموال والاعراض والمصالحة عليها الخامس اذاقة كل لحم ودم نبت على الحرام السادس ادامة الم الطاعة كما وجدت حلوة المعصية)^(٨) .

(١) ابو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، ١٢٦/٢ .

(٢) ابو حيان التوحيدي ، البصائر والذخائر ، تحقيق : ابراهيم الكيلاني (دمشق : د/ت) ٦٧٦/٣ .

(٣) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٣٩٧/١ .

(٤) الذهبي ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق : علي محمد البجاوي (لبنان : د/ت) ٣٣/٢ ؛ السلمي ، طبقات الصوفية ، ١٥ وما بعدها .

(٥) الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ٣٣/٢ .

(٦) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٥٣٢/١١ وما بعدها .

(٧) نفسه

(٨) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٥٣٢/١١ وما بعدها .

وقد دس له عند الخليفة المتوكل بالله وادعوا عليه ما ليس فيه فاحضره من مصر فلما دخل على الخليفة المتوكل بالله وعظه فبكى المتوكل ورده مكرماً الى مصر . وكان المتوكل إذا ذكر ذنون المصري يقول هيهلا بذنون المصري . وقد ذكر انه لما وصل إلى الخليفة المتوكل بالله سلم عليه بالخلافة فقال له الخليفة المتوكل ما تقول فيما قيل فيك من الكفر والزندقة ، فسكت فقال وزيره هو حقيق عندي بما قيل فيه ثم قال لي : لم لا تتكلم فقلت : يا أمير المؤمنين ان قلت لا كذبت المسلمين وان قلت نعم كذبت على نفسي بشيء لا يعلمه الا الله تعالى مني فافعل انت ما ترى فاني غير منتصر لنفسي فقال المتوكل هو رجل برئ مما قيل فيه وقال رداً على سؤال أمير المؤمنين : (يا أمير المؤمنين : ان الله عباداً عبده بخالص من السر قشر منهم بخالص من شكره فهم الذين تمر صفهم مع الملائكة بياضاً حتى اذا صارت اليه ملأها سره علماً وحكمه فابدانهم دنياوية وقلوبهم سماوية قد احتوت قلوبهم من المعرفة والحكمة ما لا يعلمه الا هو يراهم من لا يبعون اخلاقهم بشيء ولا يدوم وبلذة من العيش مزهورة فاولئك الذين اجلسهم في حضرته ووصفهم بكرمه ورحمه وقال لهم : ان اتاكم عليل من فقدي فداووه او بعيد من ذكري فأذنوه او ناس لنعمتي فذكروه او مبارز لي بالمعاصي فنبهوه او محب لي فواصلوه^(١) .

ويعد ذنون المصري من اشهر وعاظ العامة^(٢) ويذكر ان ذنون كان يعظ وبين يديه فتى حسن يملي عليه شيئاً فمرت امرأة ذات حسن وجمال وخلق فجعل الفتى يسارق النظر اليها ففطن ذنون فلوى عنق الفتى وقال :

دع المصوغات من ماء ومن طين

واشغل هواك بحور خرد عين^(٣)

٦- سفيان الثوري (ت ١٦٢ هـ / ٧٧٨ م) : هو ابو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الكوفي كان اماماً في الحديث وغيره من العلوم واجمع الناس على دينه وورعه

وزهده وثقته وهو احد الائمة المجتهدين^(٤) .

(١) القشيري ، الرسالة القشيري ، ٥٤/١ ؛ الحنبلي ، شذرات الذهب ، ١٠٧/٢ ؛ محمود ابو الفيض المنوفي الحسيني ، جمهر الاولياء واعلام التصوف (القاهرة : ١٩٦٧) ١٥٥/٢ . وللمزيد عن اقواله انظر ابن الجوزي ، القصاص ، ٨٥ ؛ القشيري ، الرسالة ، ٤٢٥/٢ .

(٢) حول ذلك انظر ابن الجوزي ، المواعظ والمجالس ، ١٤٧ ؛ صفة الصفوة ، ٥١٠/٤ وما بعدها .

(٣) ابن الجوزي ، ذم الهوى ، تحقيق : مصطفى عبدالواحد (القاهرة : ١٩٦٢) ٨٤ .

(٤) الماوردي ، نصيحة الملوك ، هامش ٨٥ ، ٦٣ ؛ الاصبهاني ، حلية الاولياء ، وطبقات الاصفياء ، ٣١/٧ .

ذكر سفيان الثوري انه قدم الى البصرة فجلس الى يونس بن عبيد وهو احد وعاظ العامة فاذا فتيان كأن على رؤوسهم الطير فقلت : (يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق واعملوا ولا تكونوا عالة على الناس فرفع يونس رأسه اليهم فقال : قوموا فلا أعلمن احدا منكم جالسني حتى يكسب معاشه من وجهه ففرقوا قال سفيان فوالله ما رأيتهم عنده بعد)^(١) .

وفي موعظة اخرى سمعها وعظ صديقاً له : (عافانا الله واياك من النار برحمته واوصيك وايائي بتقوى الله واحذر ان تجهل بعد اذ علمت وتهلك بعد اذ ابعدت وتدع الطريق بعد ان وضح لك وتغتر باهل الدنيا بطلبهم لها وحرصهم عليها وجمعهم لها فان الهول شديد والخطر عظيم والامر قريب وكان قد كان وتفرغ وفرغ قلبك ثم الجد ثم الجد والهرب الهرب وارتحل الى الآخرة قبل ان يرتحل بك واستقبل رسل ربك واشدد مئزرك من قبل ان يقضي قضاؤك ويحال بينك وبين ما تريد فقد وعظتك بما وعظت به نفسي والتوفيق من الله)^(٢) .

٧- ابو اسحق ابراهيم بن أدهم (ت ١٦٢ هـ / ٧٧٨ م) من اهل بلخ وهي مدينة بخراسان كان من ابناء الملوك ، خرج للصيد فهتف به هاتف ايقظه من غفلته فترك طريقته في التزين بالدنيا ورجع الى طريقة اهل الزهد والورع وخرج الى مكة وصحب بها سفيان الثوري والفضيل بن عياض ودخل الشام فكان يعمل فيه وياكل من عمل يده ومات بالشام^(٣) روى عن مالك بن دينار وكان احد السادات ويذكر انه وصل الى مرتبة الاجتهاد^(٤) .

وقد قال قائل : اوصني فقال : اتخذ الله صاحباً وذو الناس جانباً وقال لرجل في الطواف : اعلم انك لا تتال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات اولها ان تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة ، والثانية أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل ، والثالثة ان تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد والرابعة ان تغلق باب النوم وتفتح باب السهر والخامسة ان تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر والسادسة ان تغلق باب الامل وتفتح باب الاستعداد للموت^(٥) .

٨- داؤد الطائي : (ت ١٦٥ هـ / ٧٨١ م) : داؤد بن نصر الطائي ابو سليمان من ائمة المتصوفة في عهد الخليفة المهدي العباسي ، اصله من خراسان ، رحل الى بغداد فاخذ عن ابي حنيفة وغيره ، وعاد الى الكوفة واعتزل الناس ولزم العبادة الى ان مات وله اخبار مع امراء عصره وعلمائه^(٦) .

(١) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٣٩٦/١ .

(٢) الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٣٩١/٦ .

(٣) السلمي ، طبقات الصوفية ، ١٢ .

(٤) الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٢٥٥/١ .

(٥) السلمي ، طبقات الصوفية ، ١٣ .

(٦) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ١٧٧/١ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ٢٣٥/٢ .

٩- ابو بشر صالح بن بشير المري (ت ١٧٢هـ / ٧٨٨م) : صاحب قراءة ، واعظ البصرة وزاهدها وذكر انه كان شديد الخوف من الله إذا قص ومن اقواله (يا عجباً لقوم امروا بالزاد وأذنوا بالرحيل وحبس اولهم على آخرهم وهم يلعبون^(١)) ، وكان سفيان الثوري يبكي عندما يتكلم صالح المري ويقول : (ليس هذا بقاص هذا نذير قوم وقال آخر كنا نأتي مجلس صالح المري وهو يقص فكان اذا اخذ في قصصه كأنه رجل مذعور يذعرك أمره من حزنه وكثرة بكائه^(٢)).

١٠- ابو سليمان الداراني العنسي : (ت ٢٠٥هـ / ٨٢٠م) : من مواعظه :
(من احسن في نهاره كوفئ في ليلة ، ومن احسن في ليلة كوفئ في نهاره ومن صدق في ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه والله اكرم من ان يعذب قلباً ترك شهوة له وافضل الاعمال هوى النفس)^(٣) .

١١- حاتم الاصم : (ت ٢٣٧هـ / ٨٥١م) ابو عبدالرحمن الزاهد صاحب المواعظ والحكم بخراسان وكان يقال له لقمان هذه الامة وهو من قدماء مشايخ خراسان ومن اهل بلخ ، ومن اقواله : (اذا امرت الناس بالخير فكن انت اولى به واحق واعمل فيما تأمرنا وكذا فيما تنتهي)^(٤) .

١٢- السري السقطي : (ت ٢٥١هـ / ٨٦٥م) ذكر انه كان يوماً يعظ الناس ووقف على الباب شاب حسن الثياب والوجه ومعه اصحابه وسمعي اقول (عجبي لضعيف يعصي قوياً فتغير لونه فانصرف فلما كان الغد أقبل وصلى ركعتين وقال : يا سري سمعتك تقول بالامس عجباً لضعيف يعصي قوياً فما معناه ؟ قلت : لا اقوى من الله ولا اضعف من العبد وهو يعصيه)^(٥) .

١٣- الواعظ أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي (ت ٢٥٨هـ / ٨٧١م) يحكى عن ابي زكريا الواعظ المشهور انه جاء الى مدينة شيراز^(٦) فصعد المنبر واجتمع الناس فاوّل ما بدأ به انه قال شعراً :

مواظ الواعظ لن تقبلا	حتى يعيه قلبه اولاً
يا قوم من اظلم من واعظ	خالف ما قد قاله في المأ

(١) الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ١٦٦/٦ - ١٦٨ .

(٢) الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٢٨١/١ .

(٣) السابق ، ١٣/٢ .

(٤) السابق ، ٨٧/٢ ؛ السلمي ، طبقات الصوفية ، ٢٢ .

(٥) ابن الجوزي ، المصباح ، ٢٨٨/٢ .

(٦) شيراز : بلد عظيم مشهور وهو قسبة بلاد فارس في الاقليم : انظر الحموي ، معجم البلدان ، ٣٨٠/٣ .

أظهر بين الناس احسانه وبارز الرحمن لما خلا
ثم وقع من على الكرسي ولم يتكلم في ذلك اليوم^(١) .

ثانياً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

جاء في كتب اللغة ان المعروف ما يستحسن من الافعال وكل ما تعرفه النفس من الخير
وتطمئن اليه^(٢) .

والمنكر : كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه^(٣) .

لقد وردت في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فضائل كثيرة : قال الله تعالى : (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)^(٤) وقوله تعالى : (الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ أَمْرًا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)^(٥) وقوله تعالى : (كُلُّ شَيْءٍ أَمْرٌ أَخْرَجَ النَّاسَ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)^(٦) وقوله : (الَّذِينَ إِنْ مَكَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ)^(٧) وقوله تعالى (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)^(٨) وقال تعالى (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَى أَهْمٍ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)^(٩) وقال تعالى : (وَأِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بِهِمَا)^(١٠) الاصلاح هو نهى عن البغي وانقياد الى طاعة الله تعالى فان لم يفعل فقد امر الله بقتاله فقال فقاتلوا التي تبغي وذلك هو النهي عن المنكر^(١١) .

(١) متر ، الحضارة الاسلامية ، ١٢١/٢ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٣٩/٩ .

(٣) السابق ، ٢٣٣/٥ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٠٤ .

(٥) سورة التوبة ، الآية ٧١ .

(٦) سورة آل عمران ، الآية ١١٠ .

(٧) سورة الحج ، الآية ٤١ .

(٨) سورة المائدة ، الآية ٢ .

(٩) سورة النساء ، الآية ١١٤ .

(١٠) سورة الحجرات ، الآية ٩ .

(١١) حول الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انظر محمد بن محمد بن احمد القرشي المعروف بابن الاخوة ،

معالم القرية في احكام الحسبة ، نقله : روبن ليوى (كمبرج : ١٩٣٧) ١٥ وما بعدها .

اما الاحاديث التي وردت بهذا الخصوص فكثيرة منها : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان)^(١) وقوله ﷺ : (تبسمك في وجه اخيك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة)^(٢) ... وقال ﷺ : (يؤتى بالوالي الذي كان يطاع في معصية الله عن وجل فيؤمر به الى النار فيقذف فيها فتدلق به اقتابه - يعني امعاءه - فيستدير فيها كما يستدير الحمار في الرجا فيأتي عليه اهل طاعته من الناس فيقولون له : أي فل اين ما كنت تأمرنا ؟ فيقول : كنت آمركم بأمر واخالفكم الى غيره)^(٣) وقوله ﷺ : (ما من نبي بعثه الله في امة قبلي الا كان له من امته حواريون واصحاب ياخذون بسنته وتقيدون بأمره ثم انها تخلق من بعدهم خلوق يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل)^(٤) .

وقوله ﷺ : (ما كان من نبي الاّ وقد كان له حواريون يهتدون بهديه ويستنون بسنته)^(٥) .

وقد جاء رجل الى الرسول ﷺ وهو على المنبر فقال من خير الناس يا رسول الله قال : أمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم الله واوصلهم ، ومنها ماورى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال في خطبته : ايها الناس انكم تقرأون هذه الاية : (يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) واني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعُهم الله تعالى بعذاب من عنده)^(٦) .

وعن ابن عباس قال : قلنا يا رسول الله ﷺ إنك لتأمرنا بالمعروف حتى لا يبقى من المعروف شيء الا عملنا به وتنهانا عن المنكر حتى لا يبقى من المنكر شيء الا انتهيانا عنه لم نأمر بالمعروف ولم ننه عن المنكر فقال ﷺ مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهاوا عن المنكر وان لم تنهوا عنه كله ، قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف

(١) مسلم ، صحيح ، كتاب الايمان ، باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، رقم الحديث ٤٩ ، ٦٩/١ .

(٢) ابو عيسى محمد بن عيسى بن سور الترمذي ، الجامع الصحيح ، تحقيق : حمال يوسف الحوت (بيروت : ١٩٨٧) باب ٣٦ ما جاء في صنائع المعروف ، ٢٩٩/٤ .

(٣) النيسابوري ، المستدرک على الصحيحين ، كتاب الاحكام ، حديث رقم ٨/٧٠١٠ : ١٠١/٤ .

(٤) مسلم ، صحيح ، كتاب الايمان ، باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، رقم الحديث ٥٠ ، ٧٠/١ .

(٥) نفسه .

(٦) ابن الاخوة ، معالم القرية ، ١٦ .

والنهي عن المنكر رغم انفس المنافقين ومن ابغض الفاسق وغضب الله غضب الله له^(١). وقال ابو الدرداء :لتأمرن بالمعروف ولتنتهون عن المنكر او ليسلطن عليكم سلطاناً ظالماً لا يحل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو اخياركم فلا يستجاب لهم وتستغفرون فلا يغفر لكم وتستتصرون فلا تتصرون ، قال حذيفة ياتي على الناس زمان لان يكون حيفة حمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر^(٢) ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (بنس القوم قوم لا يأمرن بالقسط وبنس القوم قوم لا يأمرن بالمعروف ولا ينهون عن المنكر)^(٣) .

وقال الحسن البصري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (افضل شهداء أمتي رجل قام الى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر^(٤) .

يعد مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من المبادئ الاساسية في الاسلام وما من امة ترك اهلها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا وأذل الله نفوس اعزائهم وسلب نور العلم من قلوب علمائهم وشمل الضلال والجهل بامور الدين والدنيا عامتهم وخاصتهم ، حتى لا يفرقون بين حق وباطل ورقي وانحطاط وقال تعالى : (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْطَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)^(٥) .

وقد ميز الله المؤمنين من غير المؤمنين بأن بعضهم اولياء بعض ويأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة واذا تلاشت هذه الاشياء من امة وانغمس اهلها في الشهوات والمفاسد لذلك جعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من علامات المؤمنين والمسلمين الصادقين^(٦) .

وقد عمل الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بمفهوم هذه الايات وما يكمن في ظواهرها وروحها ودعى صحابته والناس جميعاً الى تطبيق كل ما ينطوي تحت اهدافها الجزئية والكلية ، وهي كثيرة لا حصر لها في حياة الانسان بما في ذلك تعامله مع اهله وجاره وشريكه في العمل

(١) السابق ، ١٧ .

(٢) نفسه .

(٣) السابق ، ١٨ .

(٤) الحلبي ، سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة ، رقم الحديث ٢٩٠٠ ، ١٠٧/٢ ، موضوعات الاحياء ، ١١٩ .

(٥) سورة الجاثية ، الآية ٢١ .

(٦) ابو الفيض ، جمهرة الاولياء واعلام اهل التصوف ، ٥٦/١ .

والسوق والتجارة وقد اشار الرسول ﷺ الى الفعل الشنيع من الكذب والفعل المنكر من السرقة فنفي ان يكون المسلم كاذباً كما قال لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

(وعمل خلفاء النبي انفسهم بما ورد في القرآن الكريم والاحاديث النبوية فكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف في اسواق المدينة ودروبها ويديه الدرة ليرقب اسلوب تعامل الناس في شراء السلع وتبادلها ويدعوهم الى ابعاد الوسيط في البيع والشراء والى نظافة الطريق وافساحه للسابلة فيه وتجنب الصخب وعدم تحميل الأجورين بما لا طاقة لاجسامهم على حمله وهو يردد : احتسبوا يا قوم في اعمالكم فان من احتسب عمله كتب له اجر عمله والاحتساب هو الابتعاد عن المنكرات والعمل بالمعروف والحسنى)^(١) .

(ولما كثرت مسؤوليات الخلفاء وتفرعت اعمالهم في المدينة وفي الحواضر الاسلامية الاخرى والمدن التي فتحوها أنابوا عن انفسهم من وثقوا بروعه وخوفه من الله وعقاب الآخرة وتصلبه في تطبيق الفرائض والسنن الدينية... ، واول من اناب عن نفسه من الخلفاء على تولي هذه الوظيفة هو الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد عين لها الصحابي عبدالله بن عتبة ليراقب من يعمل في الاسواق ومن يدخلها سابلأً أو بائعاً أو شاريأً ويدعوهم الى الامانة والصدق فيما يتفهمون عليه في الاخذ والعطاء ودولة الخلفاء الراشدين اسلامية اولاً ثم عربية نسباً ونزعة فلم يضعف اختلاطهم بشعوب المدن الاعجمية التي فتحوها عصبيتهم للاسلام او لقوميتهم العربية واستمر خلفاؤهم يعملون بالمبادئ التي أمر بها الله ورسوله)^(٢) .

(اما دولة بني امية فقد اعتمدت على العرب في ادارة شؤون دولتهم على الرغم من اختلاف وجوه حياتهم الدنيوية عن العصر السابق ، وفي مطلع دولة بني العباس دخلت بغداد أثر تأسيسها اخلاط من مختلف الشعوب والنحل وجميعها غريبة على العرب ومذاهب المسلمين وقد نفذت بعض افكارهم في عقلية بعض الناشئة العرب ، المتعلمين منهم وتبنوها بتطرف لا يتفق والسلوك العربي الاصيل ويتنافى والطبيعة العربية .

وقد صارت بغداد على الرغم من حداثتها اكبر حواضر البلاد العربية الاسلامية في الشرق والغرب واكثرها ازدحاماً بالسكان من العرب والاعاجم وتبادل البضائع وكان لا بد ان يحدث الغش والتدليس في البيع والشراء)^(٣) .

(١) كمال السامرائي ، مدخل الى موضوع الحسبة في الاسلام ضمن كتاب دراسات في الحسبة والمحاسب عند العرب (بغداد : ١٩٨٨) ١٠ .

(٢) السابق ، ١٠ وللمزيد انظر محمد ضيف الله البطاينة ، الحضارة الاسلامية (عمان : ٢٠٠٢) ١٢٢ وما بعدها .

(٣) السامرائي ، دراسات في الحسب والمحاسب ، ١٠-١١ .

(لقد احتاط الخلفاء العباسيون وفي مقدمتهم ابو جعفر المنصور وهم المسؤولون عن مصالح المسلمين والحفاظ على الروح الاسلامية فجعلوا الاوزان والاكياس تحت رقابة مستمرة ، كما اخضعوا الاعمال اليدوية للفحص عن الغش والتلاعب بأسعارها وهكذا تطور مبدأ (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) لتكون اهدافه اجتماعية فضلاً عن أهدافه الدينية واطلقوا عليه مصطلح (الحسبة) ومن يتولى امرها محتسباً ، ويكون المحتسب عادة من العلماء البارزين في العلوم الدينية والدنيوية ومن سراة القوم ووجهائهم والمعروفين بالاستقامة فكراً وعملاً ، والخليفة او من يقوم مقامه هو الذي يعين من يراه مناسباً وكفوفاً لهذا المنصب)^(١) .

ظل الخلفاء العباسيون حتى عصر المهدي هم القوامون على شؤون الحسبة ورعاية الصالح العام فيباشرونها بانفسهم او يوكلون المهمة الى القضاة وعمال الشرطة نيابة عنهم ، ولم يتم استقلالها الا في عصر الخليفة المهدي وارتبطت اساساً بمكافحة الزندقة والزنادقة الذين كثروا في هذا العصر وجنحوا الى التشكيك في العقائد الدينية ثم الثورة ضد النظام العباسي^(٢) .

نستنتج من كل ما تقدم (ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يعد القاعدة الاساس التي استندت اليها انظمة الحسبة فهي أمر بالمعروف اذا ظهر تركه ونهي عن المنكر اذا ظهر فعله ، وعُتت في صدر الاسلام واجبه على كل مسلم فمن تطوع فله الاجر والثواب ، وعندما تطورت الحالة الاجتماعية ونمت المدن العربية وازدهرت اسواقها وصناعاتها ظهرت الحاجة الى من يعينه الحاكم للقيام بمهمة الرقابة ويتفرغ لها وصارت احدى وظائف الدولة يختار لها شخص من ذوي السمعة الحسنة والاخلاق الحميدة ، ورعاً ، تقياً ، عارفاً بأمر الشرع وله علم واطلاع بمختلف المهن والصناعات والحرف وعرف هذا الشخص بالمحتسب ، يكون رقيباً على السوق واصحاب الصناعات المختلفة ، والمهن الحرة والتجارة ويراقب ايضاً المحلات العامة مثل الطرقات والمساجد والحمامات ودور الكتاتيب وحيثما تواجد الجمهور لانه جعل مسؤولاً ايضاً عن مراقبة الآداب العامة في الاماكن العامة ، ويمكن القول بان الغاية الاولى من وجود المحتسب هي تنفيذ تعليمات الدين الحنيف وحماية الفرد والمجتمع من غش الباعة والصناع في المكايل والاوزان او النوع او الصنف ثم شملت الرقابة الاطباء والجراحين والكحالين والصيدالة والفسادين والحمامين فلا يتسببون بضرر للمرضى بعلاج خاطئ ولا يبيعونهم عقاراً مغشوشاً)^(٣) .

(١) نفسه .

(٢) موسى القبال ، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب شأنها وتطورها (الجزائر : ١٩٧١) ٢٣ .

(٣) داؤد سلمان علي ، الحسبة في الطب والجراحة عند العرب ، ضمن ندوة الحسبة والمحتسب عند العرب ، ٢١ .

اما الشروط الواجب توفرها فيمن يقوم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكثيرة منها :

- ان الامر بالمعروف من قواعد الامور الدينية وقد كان في عصر صدر الاسلام يبأشرونها بانفسهم لعموم صلاحها وجزيل ثوابها وهو امر بالمعروف اذا ظهر تركه ونهي عن المنكر اذا ظهر فعله واصلاح بين الناس لذلك يجب ان تتوفر فيمن يتولى هذه المهمة شروط مهمة فمن شرط الامر بالمعروف ان يكون مسلماً حراً بالغاً عاقلاً عدلاً قادراً على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر^(١) .
- ان يكون ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين عارفاً باحكام الشريعة ليعلم ما يأمر به وينهى عنه فان الحسن ما حسنه الشرع والقبح ما قبحه الشرع لقوله ﷺ ما استحسنه المسلمون فهو حسن ولا مدخل للعقول في معرفة المعروف والمنكر الا بكتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ ورب جاهل يستحسن بعقله ما قبحه الشرع ويرتكب المخدور وهو غير ملم بالعلم به ولهذا المعنى كان طلب العلم فرضاً على كل مسلم^(٢) .
- يجب على الامر بالمعروف ان يقصد بقوله وفعله وجه الله تعالى وطلب مرضاته خالص النية لا يشوبه في طويته رياء ولا مرأى ويتجنب في رئاسته مناقشة الخلق ومفاجرة ابناء الجنس لينشر الله عليه رداء القبول وعلم التوفيق ويقذف له في القلوب مهابة وجلالة ومبادرة الى قوله بالسمع والطاعة^(٣) .
- ينبغي للامر بالمعروف يكون مواظباً على سنن رسول الله ﷺ من قص الشارب ونتف الابط وحلق العانة وتقليم الاظافر ونظافة الثياب وتقصيرها والتعطر بالمسك ونحوه وجميع سنن الشرع ومستحباته هذا مع القيام على الفرائض والسنن الراتبة^(٤) ومن الشروط اللازمة للامر بالمعروف أن يكون عفيفاً عن اموال الناس متورعاً عن قبول الهدية من المتعيشين وارباب الصناعات فان ذلك رشوة وخلاً بهيئته وآدابه^(٥) .
- ليكن شيمته الرفق ولين القول وطلاقة الوجه وسهولة الاخلاق عند أمره الناس ونهيه فان ذلك ابلغ في استمالة القلوب وحصول المقصود ، قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : (وَكُنْتَ فَظًا

(١) ابن الاخوة ، معالم القرية ، ٧ .

(٢) السابق ، ٨ .

(٣) السابق ، ١٢ .

(٤) ابن الاخوة ، معالم القرية ، ١٣ .

(٥) السابق ، ١٤ .

غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ^(١) لأن الاغلاظ في الزجر ربما اغرى بالمعصية والتعنيف بالموعظة ينفر نفر القلوب ، حكي ان رجلاً دخل على المأمون فامرّه بمعروف ونهاه عن منكر واغلظ له في القول فقال له المأمون يا هذا ان الله ارسل من خير منك لمن هو شر مني فقال لموسى وهارون فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيًّا لَعَنَهُ يَذْكُرُ أَوْ يَخْشَى^(٢) ثم اعرض عنه ولم يلتفت اليه ولان الرجل قد ينال بالرفق فلا ينال بالتعنيف^(٣) .

واذا رجعنا الى الفترة موضوع البحث (العصر العباسي الاول) نلاحظ ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قد اتخذ جانبيين الاول فيما يتعلق بسلوك الناس ثم الامر والنهي فيما يتعلق بسلوك السلطة السياسية ، حيث ان غياب نفوذ السلطة المركزة والافتقار الى شخصية بارزة تقود مجريات الامور في بغداد الى خلق حالة من الفوضى العامة^(٤) .

كان لهذا الارتباك السياسي انعكاس سيء على الاوضاع الاجتماعية فقد ظهر دور العيارين والشرط السلبى على الرغم من انهم قد أدوا دوراً ايجابياً في الصراع بين الامين والمأمون عبروا من خلاله عن تلاحمهم مع الخليفة الشرعي ومستميتين في الدفاع عن مدينتهم بغداد^(٥) متمثلاً دورهم برفضهم الخضوع لارادة الحسن بن سهل ، لذا هل أفوا معظم القوة التي اعتمدها عيسى بن محمد ومنصور بن المهدي^(٦) ، ولما لم يكن هؤلاء على قدر كبير من الوعي الوعي السياسي ولانهم افتقدوا للضوابط المحكمة في حركتهم ، فان هؤلاء الشطار مع المنحرفين من الابداء مارسوا سلوكاً اجتماعياً منحرفاً تجسد في عدة مظاهر ابرزها : اظهار الفسق وقطع الطريق ، ولخذ الغلمان والنساء علانية من الطرق واحياناً من ذويهم هدفهم هو بيعهم عبيداً وجواري ، واخذ اموال الناس بالقوة وجباية الضرائب من المارة في الطرق ومن السفن ايضاً وكانوا يفرضون حمايتهم على البساتين مقابل مبالغ معينة ثم انهم استضعفوا اهل القرى المجاورة لبغداد فداهموها واخذوا منها ما قدروا عليه من مال ومتاع ، وكان آخر اعمالهم هجومهم في ضواحي بغداد ونهبها في وضح النهار آخذين كل ما صادفوه ثم عادوا الى بغداد لبيعه علانية دون خوف

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .

(٢) سورة طه ، الآية ٤٤ .

(٣) ابن الاخوة ، معالم القرية ، ١٤ .

(٤) ابن قتيبة ، المعارف ، تحقيق : د. ثروت عكاشة (القاهرة : ١٩٨١) ٣٨٨ ؛ وللمزيد انظر نوري ، الاوضاع السياسية في بغداد عند اقامة المأمون في مرو ، مجلة كلية المعلمين ، بحث مسئل ، العدد الحادي والعشرون (بغداد : ٢٠٠٠) ٢١١ وما بعدها .

(٥) الطبري ، تاريخ ، ٤٥٤/٨ - ٤٥٨ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ٤٠٢/٣ - ٤٠٩ .

(٦) الطبري ، تاريخ ، ٥٥٣/٨ .

او وجل او وجود رادع لهم لانهم كانوا يشكلون الثقل الرئيسي في قوة عيسى بن محمد ومنصور بن المهدي^(١) .

كان اهل بغداد في مثل هذه الحالات ينزعون الى التكتل والتطوع للقيام بعمل ما لاعادة ترتيب اوضاعهم بنحو صحيح^(٢) ، فان عجز السلطة في بغداد عن توفير الحماية والامن اللازمين للسكان دفع صلحاء كل رضى وكل درب للتداول في هذا الشأن ، وقد يقصد بالصلحاء مياسير التجل ممن صلحت حالهم ام هم الصالحون ديناً من رجال الايمان والتقوى فكلتا المجموعتين كان يههما التخلص من هذه الاوضاع لذا تداولوا في كيفية التخلص من حضر هؤلاء مشيرين الى ان الشطار والفساق - قلة من الناحية العددية لانهم بين الواحد والعشرة في كل درب على حين ان الناقمين عليهم اكثر من ذلك بكثير^(٣) وكان هؤلاء يعملون في غالب الاحيان على شكل مجموعات صغيرة وليس قوة كبيرة منظمة ، الا ان هذه المجموعات كانت تتعاون وتتآزر فيما بينها ولا سيما اذ كانت المهمة التي يقبلون عليها كبيرة مثل مهاجمة القرى وقد يكون هذا هو مبعث تخوف اهل بغداد منهم لذا توحدت قوة الاهالي وتتظمت لكي يكونوا قادرين على التصدي لقوة هؤلاء الفساق والسطار .

وطبقاً لسير هذه الامور بهذا الاتجاه قام خالد الدريوشي وكان يسكن طريق الانبار (عند باب الكوفة من الجانب الغربي) يدعوا جيرانه واهل محله الى تنظيم قوة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولقيت دعوته اقبالاً اذ تمكن من الحد من نشاط هذه الجماعات في المناطق المجاورة لمحله وهزمهم في اكثر من واقعة وقبض على عدد منهم وضربهم وحبسهم ثم سلمهم الى السلطة^(٤) ، وبعد يومين او ثلاثة من قيامه قام رجل آخر في محلة الحربية (شمال الجانب الغربي من بغداد) يدعى سهل بن سلامة الانصاري دعا هو ايضاً الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ^(٥) لبس الصوف وعلق القرآن في عنقه^(٦) وبدأ دعوته في الايام الاولى من شهر رمضان من عام (٢٠١ هـ / ٨١٧ م)^(٧) ، وهناك شخص ثالث

(١) الطبري ، تاريخ ، ٥٥١/٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٣٢٤/٦ .

(٢) ابن الفقيه ، بغداد مدينة السلام ، ٨٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ ، ٥٥٢-٥٥١/٨ .

(٤) الطبري ، تاريخ ، ٥٥٢-٥٥١/٨ .

(٥) الطبري ، تاريخ ، ٥٥٢/٨ .

(٦) اليعقوبي ، مشاكل الناس لزمانهم ، تحقيق : وليم ميلورد (بيروت : ١٩٦٢) ٢٨ .

(٧) الطبري ، تاريخ ، ٥٥٢/٨ .

هو احمد بن نصر بن مالك الخزاعي^(١) الذي ظهر نشاطه ايام الواثق وقتل على يده وكانت دعوته الى نبذ القول بخلق القرآن^(٢) .

لقيت دعوة سهل بن سلامة قبولاً واسعاً من اهل بغداد اذ دعا اهلها الشريف منهم والوضيع وفيهم العباسيون ، ووضع ديواناً لتنظيم اتباعه وقد كان اكثر تشدداً من خالد الدريوشي حتى تمكن من فرض حمايته لاهل بغداد^(٣) ومبعث التباين بين دعوتيهما تمثل بطبيعة الموقف من السلطة فخالد الدريوشي (ان لا يرى ان يغير على السلطان شيئاً)^(٤) وكان يقول : (أنا لا اعيب على السلطان شيئاً ولا اغيره ولا اقاتله ولا آمره بشيء ولا انهاه) أي ان حركته اجتماعية بحتة موجهة الى عامة المجتمع دون ان يكون لها بعد سياسي مباشر في حين كان لحركة سهل بن سلامة وجه سياسي تستهدف بين ما تستهدفه تقويم السلطة السياسية وكان يقول : (لكني اقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كائناً من كان سلطاناً او غيره والحق قائم في الناس اجمعين فمن بايعني على هذا قبلته ومن خالفني قاتلته)^(٥) ، وقد حصل سهل على تأييد واسع جداً اذ اجتمع اليه عامة اهل بغداد حتى بلغ اتباعه زهاء النصف مليون شخص^(٦) وبلغ من سعة انتشاره انتشاره وقوة حركته ان زعماء بغداد بايعوه على قبول دعوته منهم منصور بن المهدي وخزيمة بن خازم والفضل بن الربيع ولهم في ذلك اسبابهم الخاصة المتمثلة بالاحتفاء به من خصومهم^(٧) . وفي وقت متأخر بايعه ايضاً عيسى بن محمد^(٨) .

قام سهل بن سلامة بتحويل محلة الحربية الى أشبه شيء بمعسكر كبير فجعل اتباعه من بيوتهم ثكنات (تحصين عسكري) وحولها الى ترسانة مسلحة بأن بنى كل واحد منهم برجاً (حصيناً) على باب بيته من الجص والاجر ونصب عليه السلاح والمصاحف وامتد ذلك ليشمل كل محلة الحربية الى باب الشام (شمال غرب المدينة المدورة)^(٩) .

(١) السابق ، ٢٣٦/٩ ؛ ابو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم الازري ، تاريخ الموصل ، تحقيق : علي حبيبة (القاهرة : ١٩٦٧) ٣٤١ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، ١٣٥/٩ .

(٣) السابق ، ٥٥٢/٨ .

(٤) نفسه .

(٥) نفسه .

(٦) ابن الفقيه ، بغداد مدينة السلام ، ٨٠ .

(٧) الطبري ، تاريخ ، ٥٥٣/٨ .

(٨) السابق ، ٥٥٤/٨ .

(٩) الطبري ، تاريخ ، ٥٦٢/٨ .

ومن ناحية أخرى تعرضت قوة منصور بن المهدي وعيسى بن محمد الى هزيمة كبيرة بسبب الانتشار الواسع لحركة سهل وكانا يعدان لمواجهة قوات الحسن بن سهل ويقيمان خارج بغداد ، ذلك ان حركة سهل كانت موجهة ضد فساد الحربية والسطار ويؤلف هؤلاء اكثرية قوتهم ، أي منصور وعيسى مما دفع منصوراً إلى العودة الى بغداد والقبول لدعوة سهل^(١) التي استمرت عاماً كاملاً .

ويعطي احد المؤرخين^(٢) تفسيراً فيه نوع من المعقولية اذ يشير الى ان المأمون وردته اخبار سهل بن سلامة فأرسل الى ثمامة بن اشرس (وهو من كبار مقريه) فاطلعه على امر سهل وان معه (٥٠٠) من العامة فاستعظم ثمامة الامر ثم ارسل اليه بعد مدة واخبره ان اتباعه بلغوا الفاً فاستعظم الامر ايضاً ، ثم ارسل اليه الثالثة واخبره ان اتباعه بلغوا خمسة الاف فكان جوابه ان امر الرجل قد ضعف اذن فاستنفس المأمون متعجباً من هذا الجواب فرد عليه بقوله : (لاني ظننت ان مخرجه ومن معه لقصد الدين فرا عني فلما كثر اصحابه علمت ان خمسة الاف رجل لا يجتمعون على نصره الدين في مثل هذه السرعة وان اصحابه غوغاء) .

وهذا يدل ان عامة الناس اذا ما كثروا حول مسألة معينة فان ذلك ايدان بضعفها لانه لا بد من يكون نقطة ضعف ووهن يمكن ان تتسع بما يؤدي الى اخلال الامر وهذا ما حدث فعلاً فان دراهم قليلة ادت الى انهيار حركة سهل بن سلامة .

بعد ذلك حاول ابراهيم بن المهدي زج سهل في صراعه مع المأمون مستغلاً ماله من تأييد بين عامة اهل بغداد ، فكان يخرجهم الى مسجد الرصافة يدعو الناس كما كان يفعل من قبل ، ثم يعاد الى سجنه ليلاً فلما كان بعد ايام اجمع اليه اصحابه ولكنه امرهم بلزوم مساكنهم ثم اطلق صراحه ليختفي بصمت^(٣) ، وبعد دخول المأمون بغداد عفا عن سهل ومنحه الاعطيات وأمره بلزوم بيته^(٤) هناك رواية تفيد ان المأمون عينه على صدقات الجبل مما ادى الى سقوط منزلته بين اتباعه لقبوله بهذا العمل الذي لا ينسجم مع تدينه وورعه ثم ان المأمون تحرى عن امانته في العمل فوجد عنده اختلاساً فحبسه حتى مات في حبسه^(٥) .

(١) السابق ، ٥٥٣/٨ ؛ وللمزيد من التفاصيل انظر : د. نوري ، الاوضاع السياسية في بغداد عند اقامة المأمون المأمون في مرو ، مجلة كلية المعلمين ، ٢١٩ .

(٢) محمد بن عبدالله الاسكافي ، لطف التدبير ، تحقيق : احمد عبد الباقي (بغداد / القاهرة : ١٩٦٤) ٥٧-٥٨ .

(٣) الطبري ، تاريخ ، ٥٧١/٨ .

(٤) السابق ، ٥٧٣/٨ .

(٥) الاسكافي ، لطف التدبير ، ٨٥ .

وفي عام (٢٣١هـ / ٨٤٥م) اتخذت جماعة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر شكلاً آخر في مرحلة من مراحل احتدام محنة خلق القرآن في خلافة الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ / ٨٤١-٨٤٦م) حيث انبرى احمد بن نصر الخزاعي لهذه المهمة وكانت له تجربة مع سهل بن سلامة حيث اجتمع اليه عدد من السكان حتى ملكوا بغداد ثم خطط اثنان من اتباعه الموسرين للوثوب في بغداد ويظهر ان ذلك كان بهدف السيطرة عليها سياسياً وعسكرياً غير ان تسرب الاخبار الخاصة بذلك الى صاحب الشرطة اطاح بهذه المحاولة فالقى القبض على المعنيين ونفذ الحكم بالموت على احمد بن نصر^(١) انتظمت البيعة لاحمد بن نصر الخزاعي في السر على القيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والخروج على السلطان لبدعته ودعوته الى القول بخلق القرآن ولما هو عليه وأمرؤه وحاشيته من المعاصي والفواحش وغيرها . ولكن الذي حدث انه قبض عليه وارسل الى الخليفة بسر من رأى ، فلما وقف بين يدي الواثق لم يعاقبه على شيء مما كان فيه في مبايعة العوام على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره بل اعرض عن ذلك كله وقال : ما تقول في القرآن ؟ فقال : هو كلام الله قال : امخلوق هو ؟ قال : كلام الله فقال له : مما تقول في ربك : اتراه يوم القيامة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين قد جاء القرآن والاخبار وبذلك قال الله تعالى : (وجوه يؤئذ ناضره الى ربها ناظرة) وقال رسول الله ﷺ انكم ترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته ، امتحن على الخير وكانت هذه الاجابة التي ادت الى قتله وانتهائه^(٢) .

ويعد سفيان الثوري من ابرز العاملين بقاعدة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في سلوكه اليومي وكان اول ما يبدأ به نفسه واصحابه في الامر والنهي فقد خرج مع اصحاب له في اول يوم عيد فقال : اول ما نبدأ به يومنا هذا غض ابصارنا^(٣) . يقول يحيى بن عبدالملك بن ابي غنية^(٤) : ما رأيت احداً أضعف وجهاً في ذات الله من سفيان الثوري^(٥) .

وذكر شجاع بن الوليد^(١) انه كان يخرج مع سفيان فما يكاد يفتر عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاهباً وراجعاً^(٢) وكان سفيان يقول عن نفسه : (اني لا ارى المنكر فلا اتكلم ،

(١) الطبري ، تاريخ ، ١٣٥/٩ - ١٣٩ ؛ الخطيب ، تاريخ ، ١٧٦/٥ - ١٧٧ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣٠٣/١٠ وما بعدها .

(٣) الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٢٣/٧ .

(٤) يحيى بن عبدالملك بن ابي غنية : كوفي اصله من اصبهان قال احمد : كان شيخاً ثقة له هبة رجل صالحاً توفي عام (١٨٨هـ) . انظر تهذيب التهذيب ، ٢٥٢/١١ .

(٥) الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ١٣/٧ .

، فأبول دماً^(٣) ، وهذا دليل على حماسه الشديد في إقامة هذا الامر والاندفاع فيه وهذا ينسجم مع شخصية الثوري .

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الثوري محكوم بشروط هي في إطارها العام تتسجم مع السنة النبوية الشريفة ومستمدة من روحها في هذا الباب ، من ذلك وصيته لاحد اصحابه بان يكون امره ونهيه برفق فان قبل منه حمد الله (عز وجل) والا اقبل على نفسه منشغلاً باصلاحها^(٤) ، ولما اخبره احدهم بانه يكون مع بعض المحتسبة فيدخلون على الناس في بيوتهم بتسلق الحيطان ومباغتتهم لكبسهم على المنكر ويحولون دون قرارهم ، فانكر ذلك انكاراً شديداً وعابه . وقال لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر الا من كانت فيه ثلاث خصال : رفيق فيما يأمر رفيق بما ينهى ، عدل فيما يأمر عدل فيما ينهى ، عالم بما يأمر عالم بما ينهى^(٥) ، ومثل هذه الشروط نفسها لا بد ان تتوفر فيمن اراد ان يأمر وينهى على السلطان^(٦) .

ومن الامثلة على ممارسته الامر والنهي ، دخوله على ابي جعفر المنصور منبهاً له على اسرافه في اموال المسلمين في اثناء حجه^(٧) وذكره ايضاً بما آل اليه حال ابناء المهاجرين والانصار من سوء وضعف حال^(٨) ، وكذلك دخوله على الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٨ هـ / ٧٧٤-٧٨٤ م) وانكاره على ما شاهده من اسراف في الاموال في اثناء موسم الحج ايضاً^(٩) ورأى سفيان الثوري احد الاشخاص ويدعى (الغازي) وهو يضحك الناس فقال له : (يا شيخ او ما علمت ان الله يوماً يخسر فيه المبطلون ؟ فوحم الغازي ، ومازال ذلك يعرف فيه حتى لقي الله عز وجل)^(١٠) (وكان يمر بالصيادلة فينهاهم عن بيع (الدواي او الداوي)^(١١) وهو نوع من

(١) شجاع بن الوليد : قال عن سفيان : ليس بالكوفة اعبد منه قال ابن معين : ثقة توفي عام (٢٠٣ هـ) ،

تهذيب التهذيب ، ٣١٣/٤ - ٣١٤ .

(٢) الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ١٣/٧ .

(٣) السابق ، ١٥/٧ .

(٤) الرازي ، الجرح والتعديل ، ١٢٤/١ .

(٥) ابن حنبل ، الورع (القاهرة : ١٣٤٠ هـ) ٩٢-٩٣ .

(٦) الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٣٧٩/٦ .

(٧) ابن حنبل ، الورع ، ١١٣-١١٤ .

(٨) الرازي ، الجرح والتعديل ، ١٠٦/١ - ١١٣ .

(٩) الرازي ، الجرح والتعديل ، ١٠٦/١ - ١١٣ .

(١٠) ابو اسحاق القيرواني ، زهر الاداب ، تحقيق : محمد علي البجاوي (القاهرة : ١٩٣٥) ١٦١/١ .

(١١) الرازي ، الجرح والتعديل ، ١٢٤/١ .

الحبوب تطرح في التنفيذ فينشد حتى يصبح مسكراً^(١) وإذا عجز عن نهيمهم عن ذلك بال الدم^(٢) ،
، وسخط على رجل ذهب للوضوء بعدما اقام المؤذن الصلاة قائلاً له :
هذه الساعة تتوضأ ؟ لا كلمتك ابداً^(٣) .

وكان اصحاب الامام سفيان وجلساؤه ممن شملهم امره ونهيه فقد كان لسفيان رجل اعمى
يجالسه فاذا كان شهر رمضان خرج هذا الى قرى السواد فيصلي بالناس فيعطيه هؤلاء ويكسونه
ويهبونه الهبات فقال له سفيان : اذا كان يوم القيامة اثيب اهل القرآن من قرآنهم (ويقال لمثل هذا
: قد تعجلت ثوابك فقال له الرجل : يا ابا عبدالله تقول هذا لي وانا جليس لك ؟ : فقال سفيان :
اني اتخوف ان يقال لي يوم القيامة : انه كان جليساً لك ، افلا نصحتك)^(٤) .

هذه هي المواقف التي دلت على شخصية سفيان الثوري في الامر والنهي وتحولت الى
سلوك يومي إرضاء لله تعالى .

من كل ما تقدم يتضح ان مسألة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مبدأ كان متبعاً ضد
الاضلاع المتردية للسلطة وقسم آخر كان موجهاً للناس .

ومن العلماء الذين كان لهم دور مهم في الاخذ بقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر في العصر العباسي الاول العالم صالح بن عبدالجليل اذ دخل على المهدي وسأله ان
يأذن له في الكلام فقال : تكلم فقال : (إنا لما سهل علينا ما توعد على غيرنا من الوصول اليك
قمنا مقام الاداء عنهم وعن رسول الله ﷺ ، باظهار ما في اعناقنا من فريضة الامر والنهي
عند انقطاع عذر الكتمان في التقية ولا سيما حين اتسمت بميسم التواضع ، ووعدت الله وحملة
كتابه إثارة الحق على ما سواه فجمعنا وإياك مشهد من مشاهد المحيص ليتم مؤدينا على موعد
الاداء عنهم ، وقابلنا على موعود القبول او يدرنا تمحيص الله إيانا في اختلاف السر والعلانية ،
ويحلينا تحلية الكاذبين ، فقد كان اصحاب رسول الله ﷺ يقولون : من حجب الله عنه العلم
عذبه على الجهل وأشد منه عذاباً من اقبل عليه العلم وأدبر عنه . ومن اهدى الله اليه علماً فلم
يعمل فقد رغب عن هديه الله وقصر بها فاقبل ما اهدى الله اليك على السننات قبول تحقيق وعمل
لا قبولاً فيه سمعة ورياء ، فانه لا يعدمك منا اعلام بما تجهل او موطنه على ما تعلم ، او
تذكير لك من غفلة ، فقد وطن الله جل وعز نبيه عليه السلام على نزولها تعزية عما فات

(١) ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث والاثار : تحقيق : محمود الطفاحي (بيروت : ١٩٧٩) ١٤٧/٢ .

(٢) ابن حنبل ، الورع ، ٥٥ .

(٣) الرازي ، الجرح ، ٩٦/١ .

(٤) السابق ، ٩٩/١ . وللمزيد عن زهد سفيان الثوري انظر : موفق سالم نوري ، الامام سفيان الثوري

٩٧-١٦٠ هـ دراسة تاريخية (بغداد : ٢٠٠٤) ٤٢ وما بعدها .

وتحصيناً من التماذي ودلالة على المخرج فقال : (وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعْذُ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)^(١) ، فاطلع الله على قلبك بما ينور به القلوب من ايثار الحق ومنايذة الالهواء ، فانك ان لم تفعل ذلك ير أترك واثر الله عليك فيه ولا حول ولا قوة الا بالله)^(٢) .

(١) سورة الاعراف ، الآية ٢٠٠ .

(٢) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٣٣٩/٢ - ٣٤٠ .

الفصل الخامس
الوعظ الديني ومشروع الإصلاح
(1)
اذكاء فاعلية الضمير

اشتملت المواعظ التي شهدها الادب الوعظي في العصر العباسي الاول في مختلف مستوياتها على دلالات عبرت عن افق فكري واسع شغل اذهان قادة الفكر في ذلك العصر ومن خلال استقصاء هذه المضامين نرى انها عبرت عن مشروع فكري واضح الدلالات حاول اصحابه من خلاله تقويم مسيرة الامة في بعديها الامة والدولة ، كما ان هذا المشروع كان يعمل في محورين رئيسيين هما :

اولاً - إذكاء فاعلية الضمير والوازع الديني .

ثانياً - اصلاح اوضاع الامة في جوانب حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

حيث ستنتم معالجة هذين الجانبين في هذا الفصل والذي سيليه بما يمكن من بيان طبيعة مشروع الاصلاح هذا .

فقد شغلت قضية الضمير المفكرين قديماً وحديثاً فراح العديد من المفكرين منهم الى الربط بين الضمير وبين السلطة او الاعراف الاجتماعية او التربية البيئية ، كل هذه العوامل قد تقود الى تكوين ضمير محكوم بنظام من المتغيرات تجعله متقلباً او هشاً ، لكن الضمير الذي يرتبط بالمنهج الالهي يمتاز بالثبات في احكامه ومعاييره استناداً الى نظام الثوابت الشرعية ثم ان عوامل تكوين هذا الضمير لا يمكن ان تغيب او تضعف لان الله تعالى يعلم الغيب ولا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء الامر الذي يجعل الضمير المتكون على اساس شرعي وعلى اساس الخوف من الله هو الضمير الاكثر فاعلية في ضبط سلوك الانسان وتقويمه^(١) ، من هنا جاء اهتمام رجال الوعظ بإذكاء هذا العامل في النفس الانسانية من خلال الابعاد الاتية :

اولاً - البعد الديني :

اكّد الواعظون على الجنب الديني بوصفه جانباً مهماً بالحث على الالتزام بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ والمواكبة على سيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين (رضوان الله عليهم جميعاً) ، ولذلك سوف نلاحظ في دراسة هذا الجانب انهم ركزوا على العمل الصالح وابتغاء مرضاة الله تعالى وكان جل تركيزهم على اصلاح الخلفاء وتذكيرهم بالآخرة وان الدنيا فانية ولا ينفع الا العمل الصالح والتقرب الى الله سبحانه فمن الامور التي اكّد عليها الوعاظ :

(١) عماد الدين خليل وموفق سالم نوري ، مدخل الى الثقافة الاسلامية (موصل : ٢٠٠٤) ١٤٨ .

١ - التأكيد على ان الدنيا فانية وأن الآخرة خالدة :

وردت مواظ كثيرة للخلفاء اكدت في مضامينها ان الدنيا فانية وان الآخرة خير وابقى وهي خالدة فالعمل الصالح باق وهو الذي يحفظ الانسان من سخط الله تعالى في الآخرة ، اما ما عدا ذلك فلا خير فيه من ذلك ما وعظ به الامام الاوزاعي الخليفة أبا جعفر المنصور بقوله :

(يا أمير المؤمنين ان الملك لو بقي لمن كان قبلك لم يصل اليك وكذا لا يبق لك كما لم يبق لغيرك)^(١) .

ومن المكثرين في وعظ الخليفة هارون الرشيد ابن السماك فقد كان يعظه ويخوفه من عقاب الله تعالى له في كل مناسبة ، فمما وعظه به قوله :

(من جرعه الدنيا حلاوتها لميله اليها جرعه الآخرة مرارتها لتجافيه عنها)^(٢) .

ولاثبات ان الدنيا فانية ولا تساوي جرعة ماء دخل ابن السماك على هارون الرشيد وهو يشرب الماء فقال :

(يا أمير المؤمنين ماذا لو منعت عنك هذه الشربة من الماء فبكم تشتريها قال : بملكي وفي رواية أخرى بنصف ملكي ، وماذا لو منعت خروجها فقال بنفس الشيء فأجابه ابن السماك : ان ملكاً قيمته شربة ماء لجدير أن لا ينافس فيه)^(٣) .

يتبين من خلال استقراء النص السابق ان الدنيا زائلة ولا قيمة لها وان ملكها زائل ولا يدوم وان من واجب الخليفة العمل للآخرة بالتزامه بالكتاب والسنة وتقديم العمل الصالح في ادارة الدولة ومعاملة الرعية لانها امانة في عنقه هو الذي يبقى له في ميزان الآخرة ، وما الدنيا سوى ممر للعبور الى الآخرة ، فالتقوى والثبات على العقيدة والعمل بما جاء في القرآن الكريم والتخلق بما جاء في القرآن الكريم والتخلق بخلق الرسول ﷺ هو الذي يدوم ويدفع الانسان في الآخرة عندما تعرض الصحف على رب العالمين تبارك وتعالى اللهم اجعلنا ممن يسمعون القول فيتبعون احسنه .

ووعظ الشافعي هارون الرشيد بطلب من الخليفة نفسه فقال :

(اعلم ان من اطال عنان الامل في العزة طوى عنان الحذر في المهلة ، ومن لم يعول

(١) الشيزري ، المنهج المسلوك ، ٧٢٧ ؛ الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٢٤/١ .

(٢) الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٣٠٣/١ .

(٣) السابق ، ٣٣٦/١ .

على طريق النجاة خسر يوم القيامة اذا امتدت يد الندامة^(١) فيكي الرشيد .
يتضح من موعظة الشافعي ان طول الامل في الدنيا يجعل الانسان يخسر الآخرة والعمل
لها والتجهيز لاستقبالها لان العمل للدنيا والتفكر بها لوحدها يبعد الانسان عن الآخرة ، فمن
واجب الخليفة وكل انسان تذكر الآخرة في كل خطوة وفي كل لحظة لانه لا يدري في أي لحظة
يحيق به اجله المحتوم وعند ذلك لا تنفعه الندامة يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب
سليم ، وهذه الموعظة موجهة للخليفة باعتباره المسؤول عن الرعية والقيام باعباء مصالحها .
وقد برع الزهاد من الشعراء في العصر العباسي الاول الذين ركزوا في شعرهم على ذم
الدنيا والتمسك بها وانها فانية وانما هي ممر للآخرة واكثرها من ذكر التوحيد وذكر البعث والاقرار
بالجنة والنار والوعود الوعيد ، منهم ابو العتاهية الذي قال :

ارى الدنيا لمن هي في يده عذاباً كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه
اذا استغثت عن شيء فدعه وخذ ما انت محتاج اليه^(٢)

فالدنيا فانية والتمسك بها ليس من صفات المؤمن وانما هي دار للتزود منها الى الآخرة
لان خير الزاد التقوى ، فمحاسبة الانسان لنفسه دائماً تجعله بعيداً عن الدنيا قريباً من الآخرة دائم
التفكير بالله تعالى لا يعمل الا صلاحاً يرضي الله ورسوله .

ان تذكير الافراد -مسؤولين كانوا ام ناساً عاديين - يسهم في الارتقاء بالفعل الانساني
نحو افضل مستويات الاداء مع التزام المعايير الشرعية من حلال وحرام في السلوك فالتذكير
بالآخرة يعني ضرورة الاستعداد لها ولمواقف الحساب والمساءلة فيها وذلك ما يمكن على كل
عاقل التريث في عمله مبيناً الصالح منه الذي يرضي الله تعالى فيقدم عليه كما تبين الباطل منه
فيتراجع عنه متوخياً الابتعاد عن مساخط الله سبحانه وبذلك اراد الوعاظ في التذكير بزوال الدنيا
والاقدام على الآخرة ، تنقية النفوس والاعمال على حد سواء .

٢ - التذكير بمواقف يوم القيامة ومشاهدها :

ان التذكير باهوال يوم القيامة وما فيها من حساب وسؤال كان من الامور المهمة التي
الترمها الوعاظ تجاه الخلفاء لما تتركه من وقع في النفس البشرية تجعل المرء يراجع نفسه مرات
عديدة قبل فعل الشيء او الهم بأمر ما لان أي عمل محاسب عليه امام الله وحده فان كان خيراً

(١) الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٣٣٦/١ .

(٢) ديوان أبي العتاهية ، ٤٦٤-٤٦٥ وللمزيد من الشعر في هذا المجال انظر الصفحات : ٤٤٧ ، ١٢ ، ١٤ ،

٢٤٩ ، ٢٥٣ . وللمزيد انظر رشيد يوسف ، تاريخ الاداب العربية ، ٢٤٤/١ .

وان كان شراً عوقب بمثله ولهذا حرص اهل الفكر على هذا الامر لاصلاح اعمالهم ، فمن ذلك وعظ عمرو بن عبيد الخليفة ابا جعفر المنصور قائلاً :

(يا أمير المؤمنين إن الله اعطاك الدنيا باسرها فاشتر نفسك منه ببعضها واعلم ان الامر الذي صار اليك لو بقي لمن قبلك لم يصل اليك واعلم انك لست اول خليفة تموت فاحذر يا أمير المؤمنين ليلة صبيحتها القيامة ليلة تتمخض بيوم الفزع الاكبر)^(١) فبكى المنصور .

وذكره مرة اخرى بيوم الحساب عند ما اشار الى المهدي بكونه ولي عهده بانه هو المسؤول عن أمر هذه الرعية أمام الله يوم الحساب قائلاً :

(..... من هذا الفتى يا أمير المؤمنين قال : هذا ابن اخيك محمد المهدي ولي عهد المسلمين فقال : ارى شاباً وجمالاً ونشاطاً وقد رشحته لأمر يصير اليه ، ان صار وانت عنه في شغل وقد وطأت له الدنيا وأنت منتقل عنها الى الآخرة فهناك الحساب ، ان الله قد جعلك فوق كل احد فلا ترص ان يكون فوقك في طاعته احد)^(٢) . وفي مناسبة اخرى وعظه فقال :

(ان الله واقفك وسائلك عن مثاقيل الذر من الخير والشر وان أمة محمد خصماؤك يوم القيامة وانك لا ترضى لنفسك الا بأن يعدل عليك فان الله لا يرضى منك الا بالعدل على رعيته)^(٣) .

وكتب عبيد الله العمري الى ابي جعفر المنصور يحذره من سلوكه مع الرعية وانه مسؤول يوم القيامة عنهم قائلاً :

(..... لقد وليت امر هذه الامة احمرها واسودها وابيضها وشريفها ووضيعها ، يجلس بين يديك العدو والصديق والشريف والوضيع ، ولكل حصته من العدل ونصيبه من الحق فانظر كيف انت عند الله يا ابا جعفر واني احذرك يوماً لن تغني فيه الوجوه والقلوب وتقطع فيه الحجة لملك قد قهرهم بجبروته واذلهم بسلطانه والخلق داخرون له يرجون رحمته ويخافون عذابه وعقابه)^(٤) .

كان لعبيد الله العمري دور كبير في وعظ الخليفة هارون الرشيد ايضاً فقد التقى فيه في موسم الحج وهو واقف على الصفا فقال له :

(انتظر حولها (يعني الكعبة) من الناس ؟ فقال كثير ، قال : كل يسأل منهم يوم القيامة عن خاصة نفسه وانت تسأل عنهم كلهم فبكى الرشيد بكاءً كثيراً ، وجعلوا يأتونه بمنديل بعد

(١) الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ٦٩ .

(٢) البلاذري ، انساب الاشراف ، ٢٣٢/٣ ؛ ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ١٣٧/٢ .

(٣) السابق ، ٢٣٤/٣ ؛ للمزيد انظر الماوردي ، نصيحة الملوك ، ١٨٣-١٩٣ .

(٤) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١٨٨/٢ .

منديل يمسح دموعه ثم قال : يا هارون ان الرجل ليسرع في ماله فيستحق الحجر عليه فكيف بمن يسرع في اموال المسلمين كلهم^(١) .

مما سبق نلاحظ ان الوعاظ اعطوا التحذير من الاخرة اهتماماً كبيراً ولا سيما عند تعلق الامر بالخلفاء وانهم مسؤولون عن كل عمل وفي كل سلوك تجاه المسؤولين عنهم ويحذرونهم من ظلمهم للرعية وسوء استخدام اموالهم وفي كل هذا على الخلفاء اتباع سنة الرسول ﷺ في معاملة الناس وحفظ حقوقهم وحسن معاملتهم لان الله سيحاسب الراعي عن رعيته فان كان خيراً فخير وان كان سوءاً فيعاقب عليه ، ولذلك كان معظم رجال الوعظ يؤكدون على الخلفاء ضرورة مخافة الله تعالى وحسن معاملة الرعية والخوف من عقابه يوم الحساب الذي لا ينفع منه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

لم يقتصر الوعظ في هذا الجانب على خاصة العلماء فقط وانما مارس ذلك عدد من بسطاء من الناس فقد وقف اعرابي امام الخليفة هارون الرشيد وهو يطوف في الكعبة فأنشده هذه الابيات التي تدل على الحكمة والموعظة البليغة :

عش ما بدا لك كم تراك تعيش

أتظن سهم الحادثات يطيش

عش كيف شئت لتأتينك وقعه

يوماً وليس على جناحك ريش

وطلب اعادة ما قال ثم بكى وأمر له بخمسة آلاف درهم^(٢) .

ودخل ابن السماك على الخليفة هارون الرشيد مذكراً اياه بان مقامة سيكون إما الى الجنة ولما الى النار قائلاً :

(يا أمير المؤمنين انه ليس من احد من هذا الخلق الا له مقام بين يدي الله عز وجل ومنصرف فانظر اين يكون منصرفك الى الجنة أم الى النار ، قال الفضل بن الربيع وهو على رأسه ، الى أين يكون منصرفه الى جنة الله ورضوانه ومجاورة نبيه محمد ﷺ فقال ابن السماك : يا أمير المؤمنين لا يغرنك هذا من نفسك فانك توشك ان لا تراه ولا يراك)^(٣) .

وفي مناسبة اخرى قال للخليفة الرشيد (ان الله تعالى يقول لعيسى بن مريم يوم القيامة أأنت قلت للناس (اتَّخِذُوا مِنِّي وَآمِي إِلَهِينَ مِن دُونِ اللَّهِ)^(٤) وعيسى يعلم انه لم يقل هذا فكيف انت

(١) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ١٦٣/٢ - ١٦٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٨٥/١٠ .

(٢) السابق ، ١٩٠/٢ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣٥٧/٨ ؛ ابن الجوزي ن المصباح المضيء ، ١٧٢/٢ .

(٤) سورة المائدة ، الآية ١١٨ .

تسأل يوم القيامة عن ألف ألف أمر أنت علمته والله يعلمه وخسر وخاب من لم يكن له في جنة عرضها السموات والارض مكان يسكنه^(١) .

من هذا يتضح ان هدف الموعظة تذكير الخليفة بيوم القيامة وفزعها الاكبر ، وانه مسؤول امام الله عن كل عمل يقوم به مع الناس ، ويذكره بالجنة التي عرضها كعرض السموات والارض اعدت للمتقين ، وكذلك يذكره بالنار واهوالها ، فسلوكه هو الكفيل بان يسكنه الله فسيح جناته وهذا تنبيه للخليفة بالاسراع في تصحيح اخطائه وتحسين سلوكه لينال الدرجة والمقام الرفيع عند الله .

وحول احوال يوم القيامة وشدة حسابها وعذابها وعظ الفضيل بن عياض الخليفة هارون الرشيد مذكراً اياه بسيرة الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة حيث ارسل الى ثلاثة من كبار العلماء ليستشيرهم بما ابتلى به من الخلافة إذ عد الخلافة ابتلاء ومسؤولية كبيرة لانه هو راع ومسؤول امام الله عن رعيته ، وكان من ضمن هؤلاء الثلاثة رجاء بن حيوة : حيث قال له : إن اردت النجاة غداً من عذاب الله فاحبب المسلمين ما تحب لنفسك واکره لهم ما تكرهه لنفسك ثم مت اذا شئت فإنني اقول لك اني اخاف عليك أشد الخوف يوم القيامة يوم تزل فيه الاقدام ، أفعلك يا أمير المؤمنين مثل هؤلاء فمن يشير عليك بمثل هذا الرأي فبكى الخليفة الرشيد^(٢) ، فقال له الفضل بن الربيع ارفق بأمر المؤمنين فاجابه بل أنت واصحابك ارفقوا به ، وذكره ايضاً انه كان لعمر بن عبدالعزيز عامل شكى اليه فكتب اليه الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه :

(يا اخي اذكرك طول سهر أهل النار في النار في خلود الابد فان ذلك يطرد بك الى الرب عز وجل نائماً او يقظاناً وإياك ان ينصرف بك من عند الله سبحانه وتعالى فيكون آخر العهد ومنقطع الرجاء . قال فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم عمر بن عبدالعزيز فسأله عن سبب قدومه فقال : أحرقت قلبي بكتابك فليس لي رجعة الى الولاية مرة أخرى)^(٣) .

فالتذكير بيوم القيامة أيقظ الخلفاء الى ضرورة اعادة النظر في سلوكهم وتصرفاتهم تجنباً من الوقوع في الخطأ الذي يعرضهم للحساب امام الله ، ونلاحظ ايضاً أن الوعاظ يتخذون من السلف الصالح قدوة للسير على نهجهم والاخذ بسيرتهم الحسنة لانهم اتبعوا الطريق الصحيح في سياستهم مخلصين اعمالهم لله تعالى وإرضائه ولذلك استخدم رجال العلم هذا الطريق منبهين

(١) الغزالي ، مقامات العلماء ، ١٠٤ .

(٢) نفسه .

(٣) السابق ، ١٢٣-١٢٤ .

الخلفاء باخطائهم وضرورة الاسراع للعمل الصالح والتوبة والاخذ بسير الصالحين الذين اتبعوا النهج الاسلامي الصحيح في حكم الامة .

٣- التخويف من غضب الله وجبروته وعقابه :

اتخذ الوعاظ من كتاب الله العزيز خير دليل لتذكير الخلفاء ودعوتهم الى ضرورة الاستقامة في حياتهم وفي حكمهم ومعاملتهم للناس والا سوف يتعرضون لغضب الله تعالى وبطشه فمن ذلك وعظ عمرو بن عبيد الخليفة ابا جعفر المنصور ذكره بقوله تعالى :

(اَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ اِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ ظَنُّوا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)^(١) .

وكذلك ذكر ابن طاووس الخليفة ابا جعفر المنصور وابن السماك عندما وعظ الخليفة هارون الرشيد^(٢) بنفس الآية .

نستخلص من ذلك ان الوعاظ جميعاً ارادوا تذكير الخلفاء بمن سبقهم وما حدث لهم نتيجة لظلمهم وطغيانهم والذي ادى بهم الى التهلكة وان الله تعالى دائماً واقف بالمرصاد لكل من عمل بغير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فكانت هذه الآيات خير رادع للخلفاء للتوقي في سلوكهم من الوقوع في الخطأ ومراجعة أعمالهم باستمرار والاتصال دائماً بالعلماء للاستشارة بعلمهم والاستشارة بهم .

ومن وعاظ المدينة ابو النصر الجهني الذي وعظ الخليفة هارون الرشيد قائلاً :

(اعلم ان الله سائلك عن امة نبيه ﷺ فأعد لذلك جواباً وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو ماتت سخله بالعراق ضياعاً لخشيت ان يسألني الله عنها فقال الرشيد اني لست كعمر وان دهري ليس كدهره فقال : ما هذا بمغنى عنك شيئاً)^(٣) .

فالخليفة هوالمسؤول عن كل صغيرة وكبيرة وشاردة وواردة عن امر هذه الامة التي هو يدير امورها فعليه ان يتوخى من كل خطأ وأن يحاسب نفسه دائماً على كل عمل يقوم به قبل ان يسأل امام الله وعند ذلك لات حين مناص .

وفي مكة وعظ الفضيل بن عياض الخليفة هارون الرشيد قائلاً :

(١) سورة الفجر ، الآيات ٦-١٤ .

(٢) ابن كثير ، البداية ، ١٠/٢٢٥ .

(٣) نفسه .

إيا حسن الوجه لقد قلدت امرأً عظيماً فاتق الله في نفسك فان قدرت ان لا تطفح النار هذا الوجه فافعل^(١) .

كان للفضيل بن عياض دور كبير في مواظبة للرشد بتخويفه من الله وعقابه وتحسين سلوكه من كل تصرفاته لانه مسؤول امام الله عن كل عمل فمن جملة ما وعظه بها مذكراً إياه بسطوة الله وجبروته عندما وعظه مذكراً إياه بالخليفة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه وكيف انه استشار ثلاثة من العلماء لاعانتته على امور الخلافة ومنهم سالم بن عبد الله ، ومحمد بن كعب القرظي ، ورجاء بن حيوة ، فقال له سالم : (ان اردت النجاة من عذاب الله تعالى ، فصم من الدنيا وليكن افطارك على الموت وقال محمد بن كعب القرظي : إذا أردت النجاة من عذاب الله تعالى فليكن اكبر المسلمين عندك أباً وأوسطهم عندك أخاً وأصغرهم عندك ولداً فبر أباك واکرم أخاك وتحن على ولدك^(٢) .

ويتضح التذكير في مخافة الله من عقابه وغضبه في الكتاب الذي صنفه القاضي ابو يوسف للخليفة هارون الرشيد فهو يحذره من عقاب الله عن خيانتته للأمانة ويعدده بالثواب إذا سلك سلوكاً حسناً فقد قال له :

(.....إن الله وله الحمد قد قللك أمراً عظيماً كثوابه أعظم الثواب وعقابه أشد العقاب ، قللك أمر هذه الامة فاصبحت وأمسييت وأنت تبني لخلق كثير قد استرعاكم الله وأئتمنك عليهم وابتلاك بهم وولاك أمرهم وليس يلبث البنبان اذا اسس على غير التقوى أن يأتين الله من القواعد فيهدمه على من بناء واعان عليه فلا تضيعن ما قللك الله من امر هذه الامة والرعية فان القوة في العمل بأذن الله^(٣) .

يتبين من هنا ان التقوى ومخافة الله هي اساس الحكم السليم ودوام الملك وبقائه قوياً صلباً بأذن الله تعالى أما الانحراف عن النهج الصحيح في السلوك وفي رعاية الامة فانه يؤدي الى هدم البنيان ومحاسبة الباني وعقابه اشد العقاب لعدم التزامه بالنهج الاسلامي الصحيح وطاعة الله في حكمه وعمله ، لذلك كان جل اهتمام العلماء دائماً تنبيه الخلفاء وتذكيرهم بان رأس الحكمة مخافة الله في الرعية الذين هم مسؤولون عنها لمام الله فان كان خيراً فخير وان كان شراً فحسابهم شديد وعذابهم أليم يوم يكون الملك كله لله تعالى وحده ، ولهذا عندما كان الخلفاء يسمعون المواعظ تفيض اعينهم من الدمع لانها ترجعهم الى الله وذكره وتنبههم من غفلتهم فيدركون بانه لا مناص من الخلاص من عقاب الله الا بالاسراع في تصحيح اخطائهم وطلب

(١) ابن الجوزي ، الشفاء في مواظ الملوك والخلفاء ، ١٠١ .

(٢) الغزالي ، مقامات ، ١٢٢ .

(٣) ابو يوسف ، الخراج ، ٦٧-٦٨ .

المغفرة والتوبة من الله والرجوع الى القاعدة السليمة الصحيحة في الحكم وهي اتباع كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ والسلف الصالح .

٤ - الجرأة والصراحة في قول الحق :

في كل المواعظ التي قدمها الوعاظ الى الخلفاء كانوا يتوخون قول الحق لان هدفهم الاول والاخير مخافة الله ولا يهتمهم في ذلك لومة لائم ، كل الذي يهتمهم مواجهة الخلفاء وجهاً لوجه دون خوف او وجل ما دامت غايتهم إرضاء الله تعالى ، فعلى سبيل المثال ، كان عمرو بن عبيد في جميع مواعظه يواجه الخليفة أبا جعفر المنصور بالحقيقة ولا يخاف من عقابه ، وبلغت به الجرأة أنه طلب من المنصور أن لا يبعث اليه حتى يجيء هو بنفسه ولا يعطيه حتى يسأله ولذلك قال عنه المنصور : شغل الله الرجل بما هو فيه عما نحن فيه^(١) .

ولشدة جرأة ابن ابي ذئب في قول الحق كان يواجه الخليفة المنصور في اكثر من موقف وجهاً لوجه دون خوف طالما انه يقول الحق لا يهتمه موقف أبي جعفر منه ينتقده بوجهه ولا يبالي بما سيصنعه المنصور ففي احدى المرات كان الخليفة المنصور في المدينة يناظر بيت رجل من قريش وأهل بيت من المهاجرين ليسوا لقريش فقالوا لابي جعفر اجعل بيننا وبينهم ابن ابي ذئب فقال ابو جعفر لابن ابي ذئب ما تقول في بني فلان ؟ قال اشرار من أهل بيت أشرار واستكملوا حديثهم بقولهم :

(..... والله يا أمير المؤمنين لو سألتك عن نفسك لرماك بداهية ونعتك بشر قال : ما تقول في؟ قال : اعفني يا أمير المؤمنين ، قال : لا بد أن تقول ، قال : إنك لا تعدل في الرعية ولا تقسم بالسوية ، فتغير وجه ابي جعفر ، فقام ابراهيم بن محمد بن علي صاحب الموصل وقال : طهرني بدمه يا أمير المؤمنين قال له ابن ابي ذئب ، اقعد يا بني فليس في دم رجل يشهد ان لا إله الا الله طهور)^(٢) .

كان قول الحق يسبق ابن ابي ذئب لا خوف ولا استحياء الا من الله لان غايته قول الحق والحديث عن العدل لا يهتمه رأي الخليفة حتى ولو هددته بالسيف والقتل ويظهر هذا واضحاً من خلال موقف آخر لابن أبي ذئب مع المنصور عندما سأله عن نفسه وأي الرجال هو عنده قائلاً :

(لا انت عندي والله شر الرجال استأثرت بمال الله ورسوله وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين واهلكت الضعيف واتعبت القوي وأمسكت اموالهم ، فما حجتك غداً بين يدي الله ؟

(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ٢٣٢/٣ .

(٢) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ٧٠ .

فقال له ابو جعفر : ويحك ما تقول ؟ أتغفل ؟ انظر ما امامك : قال : نعم قد رأيت اسيفاً وإنما هو الموت ولا بد منه عاجله خير من اجله ثم خرج^(١) .

إن اهمية مثل هذه الجرأة والصراحة تجعل الموعوظين يدركون أن في الامة رقباء يحصون عليهم اعمالهم وينقدونهم إذا ما استوجب النقد الامر الذي يدفعهم للتحسب لمثل هذا الأمر .

٥ - التذكير بالموت :

في كثير من الاحيان كان الوعاظ يذكرون الخلفاء بالموت فهو خير واعظ يهديهم لتقويم سياساتهم وجعل مخافة الله هو أصل اعمالهم ، فمن ذلك وعظ عمرو بن عبيد الخليفة أبا جعفر المنصور وأبكاه بحيث انتقده أحد حاشية الخليفة على ما فعله به ، فرد عليه عمرو قائلاً :

(إن أمير المؤمنين ميت ومخل ما في يديه من هذه الدنيا ومرتهن بعمله ، وأنت غداً جيفة بالعراء لا تغني عنه شيئاً ، ولقرب هذا الجوار منه خير له من قريك ، يا أمير المؤمنين : ان هؤلاء اتخذوك سلماً الى درك ارادتهم وصفاء دنياهم لهم فكلهم يوقد عليك ...) ^(٢) .

ودخل شبيب بن شيبه على الخليفة المهدي فقال :

(يا أمير المؤمنين ان الله قد أعطاك الدنيا فأعط لرعيته قسطاً من طيب عيشك فقال المهدي : وما الذي ينبغي ان اعطي الرعية فقال : العدل فانه اذا نامت الرعية آمن منك نمت آمناً في قبرك وقال : إحذر يا أمير المؤمنين من يوم لا ليلة بعده ومن ليلة لا يوم بعدها ، واعدل ما استطعت فانك تجازى بالعدل عدلاً وبالجور جوراً وزين نفسك بالتقوى فانك في الحشر لا يعيرك أحد زينته كما قال الشاعر :

فحلّ نفسك بالتقوى وزينها

فلن يعار تقي في الناس من رجل

وليس تبلي يد المعروف فاحظ بها

تريح كثيراً وراس المال لم يزل^(٣)

وقد يكون التذكير بالموت يأتي من العامة ومن البسطاء فالخليفة هارون الرشيد كان قد حلف يميناً ان يحج ماشياً راجلاً وفي الطريق وبعد أن اعياه المسير جلس واتكأ فاذا بسعدون المجنون أمامه وهو يقول :

هب الدنيا تواتيكا

(١) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١/ ١٨٥ وما بعدها .

(٢) البلاذري ، انساب الاشراف ، ٣/ ٢٣٤ .

(٣) الغزالي ، البتر المسبوك ، ٦٢ .

أليس الموت يأتيك
فما تصنع بالدنيا
وظل الميل يفيك
الا يا طلب الدنيا
دع الدنيا لشانك
كما أضحك الدهر
كذاك الدهر يبيك
فصعق الرشيد مما سمع^(١)

وطالب الخليفة هارون الرشيد من الشاعر ابي العتاهية ان يعظه فقال : اخافك قال : أنت
آمن فأنشده أبياتاً من الشعر تعد من خير شعر المواعظ والحكم :
لا تأمن الموت في طرف ولا نفس
إذا استترت بالحجاب والحرس
واعلم ان سهام الموت قاصدة
لكل مدرع منا ومدّرس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
ان السفينة لا تجري على اليبس^(٢)
فبكى الرشيد لذلك .

وبينما كان الرشيد يطوف في الكعبة إذ اعترض طريقه أعرابي فوعظه بموعظة بليغة
وردت على شكل أبيات شعرية جاء فيها :
عش ما بدا لك كم تراك تعيش
أظن سهم الحادثات يطيش
عش كيف شئت لتأتيتك وقعة
يوماً وليس على جناحك ريش
فسمع الرشيد هذه الابيات وبكى بكاءً شديداً حتى بلّ وجهه فأمر له بخمسين الف درهم^(٣)

(١) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ١٨٩/٢ .

(٢) السابق ، ١٧٩/٢ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢٨/١٠ .

(٣) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ١٩٠/٢ .

من خلال هذه الابيات يمكننا ملاحظة أن التذكير لا يقتصر على العلماء والزهاد فحسب وانما كان يشمل ايضاً عامة الناس وانهم كانوا يدلون بآرائهم بحرية ودون تردد بوصف ما يرونه حقاً ، وان الخليفة كان يسمع من بسطاء الناس ليعيد النظر في سلوكه لان في الموت موعظة وذكرى لمن تتفعه الذكرى .

وفي موضع آخر طلب الخليفة الرشيد من ابن السماك الموعظة فذكره بانه سوف يموت وحده ويغسل وحده ويكفن وحده ويقبر وحده قائلاً :

(يا أمير المؤمنين انما هو دبيب من سقم فيؤخذ بالكظم وتزل القدم ويقع الفوت والندم فلا توبة تتال ولا عثرة تقال ولا يقبل فداء بمال)^(١) .

نستخلص من كل ما تقدم ان الوعاظ سلكوا كل السبل التي من شأنها اشاعة الاصلاح ونشر التقوى وحب الله والعمل لارضائه سبحانه والحث على ترك المعاصي والمحرمات التي تؤدي بصاحبها الى الهلاك ، وقد تنوعت الطرق التي وعظ بها العلماء الخلفاء من اجل اصلاح الدولة وتقويم بنيانها والحفاظ على الرعية ومحاولة نشر الامان والسلام بين الناس ابتغاء وجه الله والعمل بكتابه وسنة نبيه محمد ﷺ فذكر الموت والتذكير به تجعل الانسان يراجع نفسه دائماً ويعيد حساباته ويصحح أخطائه ويعلن توبته ويدعو الله تعالى دائماً لقبول توبته وطلب المغفرة منه ، فعلى الرغم من ان العصر العباسي الاول اتسم بالازدهار الحضاري والعمراني والتوسع في مظاهر الحياة المختلفة وانسياق الخلفاء الى الملذات والترف الا انهم سرعان ما كانوا يرجعون الى الله عندما يحضر واعظ او فقيه ينبههم بما هم فيه من مظاهر الترف والفساد فيعودون الى الله ويعلنون توبتهم اليه .

ثانياً : البعد الفكري :

كان للبعد الفكري رؤية واضحة من خلال مواظ العلماء للخلفاء والوزراء وعامة الناس وتمثل هذا في :

١ - الحث على التعلم :

نرى من ذلك ما قاله الزاهد الفضيل بن عياض :

(كنتم معشر العلماء سراج البلاد يستضاء بكم فصرتم ظلمة وكنتم نجوماً هؤلاء الظلمة ثم يسند ظهره ويقول : حدثنا فلان عن فلان فقال سفيان : فان كنا بصالحين فانا نحبهم)^(٢) .

(١) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ٣٧/٧ ؛ للمزيد انظر : الماوردي ، نصيحة الملوك ، ١٤٨-١٥٣ .

(٢) ابن الجوزي ، القصاص والمذكرين ، ٥٥ ؛ ابو حيان التوحيدي ، البصائر والنخائر ، ٤٥٢/٣ .

ووعظ الامام الاوزاعي الخليفة أبا جعفر المنصور بضرورة لقاء العلماء واستشاراتهم فهم خير من جمع المال قائلاً :

(لقاء الاخوان خير من لقاء الأهل والمال)^(١) .

ووعظ سفيان الثوري المنصور بقوله : (ما عملت يا أمير المؤمنين فيما علمت فاعظك فيما جهلت فما وجد له المنصور جواباً)^(٢) .

وقد التقى ابو جعفر المنصور مع مالك بن انس عندما خرج حاجاً الى مكة (سنة ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م) بعد ان استقامت له الامور واستولى على السلطان فلما كان بمنى أتاه الناس ليسلموا عليه ويهنئوه بما انعم الله عليه وجاءه رجال من قريش وغيرها من أهل الحجاز وفقهائهما وعلمائهما ممن صاحبه وجامعه على طلب العلم ومذاكرة الفقه ورواية الحديث فكان ممن التقى بهم مالك بن انس فقال له ابو جعفر المنصور :

(يا أبا عبدالله اني رأيت رؤيا ، رأيت اني اجالسك في هذا البيت فتكون من عمار بيت الله الحرام واحمل الناس على علمك واعهد الى اهل الامصار يوفدون اليك وفدهم ويرسلون اليك رسلهم في ايام حجهم لتحملهم على امر دينهم على الصواب والحق ان شاء الله وانما العلم على اهل المدينة وانت اعلمهم فقال مالك : أمير المؤمنين اعلى عيناً وارشد رأياً واعلم بما ياتي وما يذر وان أذن لي اقول قلت ، فقال ابو جعفر : نعم فحقيق أنت ان يسمع منك ويصدر عن رأيك فقال مالك : يا أمير المؤمنين ان اهل العراق قد قالوا قولاً تعدوا فيه طورهم ورأيت اني خاطرت بقولي لانهم اهل ناحية واما اهل مكة فليس بها احد وانما العلم علم اهل المدينة كما قال الامير وان لكل قوم سلفاً وائمة فان رأى أمير المؤمنين أعز الله نصره وأقراره على حالهم فليفعل فقال ابو جعفر ، أما اهل العراق فلا يقبل أمير المؤمنين منهم صرفاً ولا عدلاً وانما العلم علم اهل المدينة وقد علمنا انك انما اردت خلاص نفسك ونجاتها)^(٣) .

وطلب ابو جعفر المنصور من مالك ان يضع للناس كتاباً فوضع الموطأ ، فلم يفرغ منه حتى مات ابو جعفر^(٤) .

كان لرشيد اكثر الخلفاء طلباً للعلم ولديه رحلات طويلة في سبيل طلب العلم فقد رحل بولديه الامين والمأمون لسماع الموطأ على مالك رحمة الله^(٥) .

(١) الشعراني ، الطبقات الكبرى ، ٣٩/١ .

(٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٥٧/١ .

(٣) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١٨٣/٢ وما بعدها .

(٤) نفسه .

(٥) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ٢٩٤ .

وللعلماء مكانة مهمة عند الخلفاء ، فقد شاور الرشيد الامام مالك في ثلاث مسائل :
الاولى : أن يعلق الموطأ في الكعبة ، ويحمل الناس على ما فيه .

والثانية : أن ينقض منبر الرسول ﷺ ويجعله من جوهر وذهب وفضة ، والثالثة : ان يقدم نافع بن ابي النعيم إماماً يصلي في مسجد رسول الله ﷺ فأجاب الامام مالك عن ذلك :

اما تعليق الموطأ في الكعبة فان اصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع وتفرقوا في الآفاق وكل عند نفسه مصيب ، واما نقض منبر رسول الله ﷺ واتخاذك إياه من جوهر وذهب وفضة فلا ارى ان تحرم الناس من اثر النبي ﷺ ، واما تقديمك نافعاً اماماً يصلي بالناس في مسجد رسول الله ﷺ فان نافعاً امام في القراءة لا يؤمن ان تنذر منه نادرة في المحراب فتحفظ عليه فأجابه الرشيد وفقك الله يا ابا عبدالله^(١) .

ولم يقطع الامام مالك صلته بالخلفاء والامراء بل كان يرى من الواجب عليه ارشادهم واصلاحهم ، وقد وجد ان وعظ هؤلاء يذهب ببعض ما يقعون فيه ويقلل من شرهم وربما حملهم على الصلاح وصار منهم مثل عمر بن عبدالعزيز ، لذلك كان يدخل على الخلفاء والامراء ويرشدهم ويدعوهم الى الخير وفي نفس الوقت يبحث بقية العلماء على ارشاد الخلفاء الى قول الحق ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً بقوله :

(حق على كل مسلم او رجل جعل الله في صدره شيئاً من العلم والفقہ ان يدخل الى ذي سلطان يأمره بالخير وينهاه عن الشر حتى يتبين دخول العالم عن غيره فاذا كان فهو الفضل الذي لا بعده فضل)^(٢) .

وقد يطلب الخلفاء من العلماء العلم والاخذ بما يعرفونه وينصحون فيذكر في احد مواسم الحج كان الرشيد في المدينة فأرسل في طلب الامام مالك مع كتابته الذي ألفه وهو (الموطأ) فلما دخل الامام مالك قال :

(يا أمير المؤمنين ان شرفك برسول الله ﷺ واقتداءك به انه حدثني نافع عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ كان رأسه في حجر ابن ام مكتوم) فنزلت الآية (لَا يَتَدَوَّى الْقَاعُونَ)^(٣) .
فقال ابن ام مكتوم : أي شيء اصنع يا رسول الله ؟ أنا رجل ضرير فعرج جبريل عليه السلام ونزلت الآية (غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ)^(٤) ، فجبريل عرج ونزل في نصف ساعة خمسمائة عام

(١) الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٣٣٢/٦ .

(٢) ابو زهرة ، الامام مالك ، ٧٨ .

(٣) سورة النساء ، الآية ٩٥ .

(٤) سورة النساء ، الآية ٩٥ .

حتى عدد السموات وتأمرني ان احمل اليك كتابي وقد عملت الاحكام وجمعت السنن^(١) ، وقال له يا أمير المؤمنين حدثني نافع عن عبدالله بن عمر ان رسول الله ﷺ قال : (ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب)^(٢) ، فامشي ولا تركب^(٣) ، فحمل له الرشيد دابة وبغلاً وخمسائة دينار فرد البهائم وقبل الدنانير^(٤) .

٢ - تعزيز مبدأ احترام العلماء وتكريمهم ومجالستهم :

وضع الخلفاء العلماء موضع الاحترام والتكريم فكثيراً ما عملوا بمشورتهم ونصائحهم ، من ذلك طلب الخليفة هارون الرشيد من شيبان ان يعظه ، فوعظه قائلاً : (لئن تصحب من يخونك حتى يدركك الا من خير لك من ان تصحب من يؤمنك حتى يدركك الخوف)^(٥) ، أي من يقول لك انت مسؤول عن الرعية فاتق الله انصح لك ممن يقول : انتم اهل البيت مغفور لكم وانتم قرابة رسول الله ﷺ^(٦) .

وفي اثناء سفر المأمون الى الشام اعترضه رجل من العامة ووعظه بضرورة معاملة العرب مثل العجم فأجابه الخليفة المأمون بجواب لطيف وطريف قائلاً : (اكثر علي يا اخا اهل الشام والله ما فزلت قيساً عن ظهور الخيل الا وانا ارى انه لم يبق في بيت مالي درهم واحد ، اما اليمن فوالله ما احببتها ولا احببتي قط ، وأما قضاة فسادتها تنتظر السفيناني وخروجه فتكون من اشياعه ، واما ربيعة فساخطة على الله منذ بعث نبيه من مصر ولم يخرج اثنان الا خرج احدهما شلياً)^(٧) .

كان الرشيد كثير الحب للفضيل بن عياض وكان يجله ويحترمه ، فقد ذكر انه قال للرشيد : (يا أمير المؤمنين اني اخشى ان يكون العلم قد ضاع قبلك كما ضاع عندنا فقال الرشيد اجل انه ما قلت فلما قدم الرشيد العراق كان اول ما ابتدأ فيه النظر الى كتب الامصار كلها والى امراء الاجناد :

..... أما بعد فانظروا الى من التزم الاذان عندكم فاكتبوه في الف من العطاء ومن جمع القرآن واقبل على طلب العلم وعمر مجالس العلم ومقاعد الادب فاكتبوه في الف دينار من العطاء ومن جمع القرآن وروى الحديث ونفقه في العلم واستخر فاكتبوه في اربعة الاف دينار من

(١) الغزالي ، مقامات العلماء ، ١١١ .

(٢) ابن ماجه ، السنن ، المقدمة ، حديث رقم ٢١٩ ؛ الدارمي ، سنن الدارمي ، الايمان ، المقدمة ، رقم الحديث ٣٥٨ ؛ النيسابوري ، المستدرک على الصحيحين ، كتاب العلم ، رقم الحديث ٣٤١ ، ١/١٨١ .

(٣) الغزالي ، مقامات ، ١١١ .

(٤) السابق ، ١٦٣ .

(٥) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ٢٩٤ ؛ للمزيد انظر : الماوردي ، نصيحة الملوك ، ٢٢٣-٢٣٢ .

(٦) نفسه .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل ، ٨/٦٥٢ .

العتاء لىكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الامر من المعروفين به من علماء عصركم وفضلاء دهركم فاسمعوا قولهم واطيعوا أمرهم فان الله تعالى يقول :

(أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)^(١) وهم اهل العلم^(٢) .

وكثيراً ما كانت تجري محاوراة بين الخلفاء والفقهاء حول اسلوب الموعظة وكيفية تقديمها للخليفة فيذكر ان بعض الزهاد قال للرشد :

(إنق الله فقال له الرشد : انصفي في المخابطة والمسألة قال ذاك اقل ما يجب لك قال : فاخبرني : انا شر واخبث ام فرعون قال : بل فرعون قال : (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلى)^(٣) وقال : (مَا عَظُمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)^(٤) ، قال : صدقت فاخبرني فمن خير انت ام موسى بن عمران قال : موسى كلم الله وصفيه اصطنعه لنفسه وأتمن على وحيه وكلمة من بين خلقه قال صدقت : أفما تعلم انه لما بعثه وأخاه الى فرعون قال لهما **تَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهٗ يَذَّكَّرُ أَوْ يَخْشَى**)^(٥) فأمر له بهدية^(٦) .

٣- التحذير من اخطار الافكار الهدامة اشباه الشعوبية والزندقة^(٧) :

تصدى العلماء بشكل بارز للافكار الهدامة الفكرية التي نشطت في العصر العباسي الاول والتي كان هدفها محاربة الاسلام والفكر العربي الاسلامي فتصدوا لها بكل قوتهم وخاصة في عهد المهدي والرشد والمأمون^(٨) .

لقد اعترف الزنادقة بوضع الاف الاحاديث الملفقة على رسول الله ﷺ فقد أقر زنديق أمام الخليفة المهدي بانه وضع مئة حديث تجول في ايدي الناس واعترف الزنديق عبدالكريم بن

(١) سورة الشورى ، الآية ٥١ .

(٢) ابن قتبية ، الامامة والسياسة ، ١٥٧/٢ .

(٣) سورة النازعات ، الآية ٢٤ .

(٤) سورة القصص ، الآية ٣٨ .

(٥) سورة طه ، الآية ٤٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ ، ٣٢٨/٨ .

(٧) الشعوبية : ان كلمة (شعب) تعني الجمع وجمعها شعوب ، وقيل لمحتقر أمر العرب (شعوبي) والشعوب : فرقة لا تفضل العرب على العجم والشعوبي الذي يصغر شأن العرب ولا يرى لهم فضلاً على غيرهم ، انظر ابن منظور ، لسان العرب ، ٤٩٩/١-٥٠٠ ؛ خورشيد ماکوننا (مادة شعوبية) دائرة المعارف الاسلامية ، ٣١٥/١٣-٣١٦ .

أما الزندقة فجاءت من كلمة (زنديق) والجمع (زنادقة) والمصدر (زندقة) وهو عند فقهاء المسلمين مصطلح يطلق على الملحد الذي يكون قسيرو نصوص الشرع حظراً على سلامة الدولة وهم الذين يؤمنون بالديانة التتوية ويظهرون الاسلام ويتمسكون بترائهم المجوسي . انظر ماسينيون (مادة نديق) دائرة المعارف الاسلامية ، ٤٤٠/١٠ ؛ ابن منظور ولسان

العرب ، ١٤٧/١٠ ؛ الدوري ، الجذور التاريخية للشعوبية ، ٣٥-٣٦ .

(٨) الجاحظ ، الحيوان ، ٤٤٨/٤ .

ابي العوجاء بان وضع اربعة الاف حديث يحرم فيها الحلال ويحلل فيها الحرام ، ولهذا نجد ان الخلفاء لمسوا من وراء حركتهم حظراً على كيان الدولة فتتبعوهم بالقتل مثل بيان بن سمعان ، ومحمد بن سعيد المصلوب^(١) .

شعرت الدولة العباسية بخطورة هذه الحركات على كيان الدولة السياسي وعلى الدين الاسلامي ، لذلك احدثت ديواناً خاصاً سمي بـ (ديوان الزنادقة) والمشرف عليها سمي (صاحب الزنادقة) يعينه الخليفة مباشرة^(٢) .

ومن اجل دحض افكار الزنادقة وتسفيه آرائهم والرد عليهم ولتوعية الناس ونصحهم وارشادهم كونت هيئة علمية من كبار العلماء لهذه الاغراض^(٣) .

وفي عهد الخليفة المأمون كونت هيئة علمية جديدة برئاسة الفقيه يحيى بن اكثم مكونة من اربعين عالماً وفقهاء ومما قلّه المأمون للمجلس : (إني لأرجو أن يكون مجلسنا هذا بتوفيق الله وتأييده سبباً لاجتماع هذه الطوائف على ما هو ارجى واصلاح للدين ، ولما شك فيفيق ويثبت وينقاد طوعاً ولما معاند فيرد بالعدل وكرهاً)^(٤) .

ولم يكن خطر الشعوبية والزندقة في داخل الدولة بل تعداه الى ارتباطهم باعداء الدولة العربية الاسلامية مثل يونس بن ابي فروة (ت ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م) الذي ألف كتاباً في (مثالب العرب والاسلام) وحمله الى امبراطور الروم فأجازه عليه جائزه كبيرة ، وغايته في ذلك توطيد الشعوبية ونشر آرائها المعادية للقيم العربية ومبادئ الدين الاسلامي الحنيف^(٥) .

وخير من تصدى لاصحاب الافكار الهدامة هو الاصمعي (ت ١٢٦ هـ / ٨٣١ م) الذي عاصر البرامكة وحاربهم عندما بدأ ما ينحرفون ويجمعون الشعوبيين حولهم وينالون من العنصر العربي في مجالسهم ، وذلك بدافع شعوره القومي وحبّه للرشد الذي اخلص الوفاء له ومال الى ناحية الفضل بن الربيع وجاهر بكرهه للبرامكة وخاض صراعاً سياسياً صامتاً الى جانب العرب^(٦) وقال فيهم :

اذا ذكر الشرك في مجلس اضاءت وجوه بني برمك
وان تليت اية عندهم اتوا بالاحاديث من مزدك^(٧)

(١) مصطفى السباعي ، السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي (دمشق : ١٩٦٠) ٨٤ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، ١٦٥/٨ ؛ الاصفهاني ، الاغانى ، ٧٣/٣ .

(٣) سميرة مختار الليثي ، الزندقة والشعوبية ، ٢١٣ .

(٤) ابن طيفور ، كتاب بغداد ، ٧٥ .

(٥) الجاحظ ، الحيوان ، ٤٤٨/٤ ؛ احمد حسين القرني ، المبرد ن حياته وآثاره (القاهرة : ١٩٧١) ١٦ .

(٦) الجومرد ، الاصمعي ، ٢٠٥-٢٠٦ .

(٧) ابن قتيبة ، المعارف ، ٣٨٢ .

ولهذا كان من ابغض الناس واشدهم على النفوذ الفارسي المهدد لدولة الرشيد وقد اكثر من مخالطة الرشيد وتحذيره من نفوذ البرامكة وتشجيعه على التخلص منهم ان وجد الى ذلك سبيلاً^(١)

ومن رجال الحديث الذين عنوا بتتقية احاديث الرسول ﷺ من الوضع المحدث ابو اسحاق الفزاري وله كتاب في السير^(٢) ، وابن المبارك ابو عبدالرحمن عبدالله بن المبارك (ت ١٨١هـ / ٧٩٧م) وله عدة مؤلفات منها كتاب السنن في الفقه ، وكتاب التفسير وكتاب التاريخ^(٣) ، الذين مدحهم الخليفة هارون الرشيد عندما قبض على احد الزنادقة معترفاً له بوضع ألف حديث فأجابه :

إني انت من ابن المبارك وابي اسحاق الفزاري سوف ينخلانها ويخرجانها حرفاً حرفاً^(٤)

وبرع المعتزلة في الرد على الزنادقة ومحاربتهم بأمر من الخليفة المأمون ، ووطدوا بذلك الطريق لاهل السنة لاثبات عقيدتهم وغيرهم من الفرق ، ومن علمائهم الفقيه ابو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف (ت ٢٣٥هـ / ٨٥٣م) الذي ألف ستين كتاباً في الرد على المخالفين^(٥) ، الذي دخل في مناظرات مع زعيم الزنادقة صالح بن عبدالقدوس (ت ١٦٨هـ / ٧٨٤م) في عهد الخليفة المهدي الذي قتله بعد ما تيقن انه لا يتوب عن ذلك^(٦) . نستنتج من كل ما تقدم بان للفقهاء دوراً واضحاً في الحفاظ على الدين الاسلامي واللغة العربية من التشويه على ايدي هؤلاء الذين ارادوا طمس معالم اللغة العربية ومحاربة الدين الاسلامي فكان دور العلماء واضحاً في التصدي لهم وايقافهم عند حدهم وحماية الاسلام والمسلمين والعرب من هذه التيارات الفكرية التي انتشرت في فترات مختلفة في العصر العباسي الاول .

٤ - نقد العلماء لبعضهم عند ظهور الخل :

ان شخصية العلماء لم تكن واحدة امام الخلفاء ففيهم من يمتلك شخصية قوية يستطيع الوقوف بوجه الخليفة دون خوف او وجل ومنهم دون ذلك تصدي العلماء لبعضهم عن طريق

(١) الجاحظ ، الحيوان ، ٤٤٨/٤ ؛ ابن قتيبة ن المعارف ، ٣٨٢ وللمزيد انظر : الجومرد ، الاصمعي ، ٢٠٠ وما بعدها .

(٢) ابن النديم ، الفهرست ، ١٣٥ .

(٣) السابق ، ٣١٩ .

(٤) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٢٧٣/١ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ٢٧٩ .

(٥) ابن المرتضى ، طبقات المعتزلة ، ٤٤ .

(٦) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٧٠٦/١٢ .

التحذير من الانجرار الى مكاسب الدنيا وملذاتها ولقاء السلاطين والوقوف على ابوابهم والتحاسد فيما بينهم ، فعلى سبيل المثال عندما دخل الفضيل بن عياض هو ومجموعة من العلماء على الرشيد وعظه قائلاً :

(يا حسن الوجه انت الذي امر هذه الامة بيدك وعنقك ، لقد تقلدت امراً عظيماً ، فبكى هارون الرشيد ثم اتى كل واحد منهم بئرة فقبلها من معه الا الفضيل بن عياض فقال له الرشيد : يا بلا علي ان لم تستحل اخذها فاعطها ذا دين او اشبع بها جائعاً او اكسي بها عارياً فاستغفاه منها فلما خرجوا من عند الخليفة عاتبه سفيان بن عيينه على عدم اخذها وصرفها في ابواب البر ، فمسك سفيان من لحيته قائلاً : يا ابا محمد انت فقيه البلد والمنظور اليه وتغلط مثل هذا الغلط لو طابت لأولئك لطابت لي)^(١) .

من هنا نلاحظ ان العلماء كان يجرح بعضهم البعض الاخر اذا ظهرت هناك محاباة للسلطان او تملق له ومحاولة ارضائه ، وقبول هديته ، إذ ان كثيراً من العلماء كان هدفهم الاول والاخير إرضاء الله تعالى دون خوف من الخليفة او استحياء منه انما الخوف والخجل من الله وحده لانه سيحاسب امام الله تعالى لا ينفعه سواء أَرْضِي الخليفة عنه ام لم يَرْضَ .

وكثيراً ما كان العلماء يرفضون تولي المناصب المهمة في الدولة فقد بلغ من زهد الامام سفيان الثوري انه كان يرفض تولي المناصب الادارية في الدولة ويعط اصحابها بالابتعاد عنها موجهاً اليهم اللوم اذا ما فعلوا ذلك ، مثل صديقه الفقيه شريك القاضي (ت ١٧٩هـ / ٧٩٥م) الذي انتقده بعد ان تولى القضاء قائلاً : (لا بد للناس من شرطي)^(٢) .

ونلاحظ ان اهم ما قسم العلماء وجعل بينهم التحاسد والتباغض هو مسألة خلق القرآن^(٣) التي انقسم الفقهاء بين مؤيدين لها وهم المعتزلة الى جانبهم الخليفة المأمون ومعارضين بزعمه الامام احمد بن حنبل الذي ضرب وامتنح عدد كبير من العلماء وفصلوا من وظائفهم وسجن القسم الآخر^(٤) مثل عفان بن مسلم (ت ٢٢٠هـ / ٨٣٥م)^(٥) ، ونعيم بن حماد (ت ٢٢٩هـ / ٨٤٣م) الذي توفي في السجن وأبي يعقوب بن يحيى البويطي وأبي نعيم الفضل بن دكين الذي ضرب بالسياط^(٦) .

(١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٤٨/٤ .

(٢) السابق ، ٣٨٧/٢ .

(٣) الطبري ، تاريخ ، ٦٣٣/٨ .

(٤) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ٤٣/١ - ٤٤ ؛ دورينا كرافولسكي ، مجلة الاجتهاد ، العدد ١٩ ، ٥٨ .

(٥) التميمي ، المحن ، ٤٣٣ ؛ الكندي ، الولاة والقضاة ، ٤٤٥ .

(٦) ابن الجوزي ، مناقب الامام احمد بن حنبل ، ٣٩٤-٣٩٨ ؛ ابو بكر الحسيني بن هداية الله ، طبقات

الشافعية ، ١٦ .

ونلاحظ ان موقف احمد بن حنبل يمثل موقف أهل السنة والحديث ولو قال انه مخلوق لتغير الرأي العام الاسلامي ، ويمكن القول ان ثبات الامام احمد بن حنبل اسهم بشكل كبير في تراجع المعتزلة عندما اظهر فساد آرائهم ، وقد عاب الامام احمد بن حنبل على العلماء الذين استجابوا لهم وعدّهم ضعافاً وغضب من موقفهم الضعيف وحزن ، وكان يعتقد انهم لو ثبتوا لتوقف امر المحنة ولترك المأمون ذلك بسبب معارضتهم لانهم اقطاب المدينة واعلامها^(١) .

ولما جاء المتوكل على الله (سنة ٢٣٢هـ / ٨٤٦م) الى الحكم نهى عن الكلام في القرآن والجدل واطلق من كان في السجون من اهل البلدان ، وممن اخذ في خلافة الواثق فأطلق سراحهم وأكساهم وكتب الى البلاد كتباً نهى فيها عن المناظرة والجدل فأمسك الناس عن ذلك^(٢) ، وبهذا اخذ اهل الحديث مكان المعتزلة في بلاط الخلافة العباسية واصبحوا حملة العقيدة الرسمية في خلافته^(٣) .

(١) باتون ، احمد بن حنبل والمحنة ، ١٠٨-١٠٩ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، ٤٨٤/٢ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ٨٦/٤ .

(٣) تلمان ناغل ، مسألة أهل السنة ، مجلة الاجتهاد ، العدد ١٩ ، ٥٣ .

الفصل السادس
الوعظ الديني ومشروع الإصلاح
(2)
أصلاح بنية الدولة والمجتمع

في عرضه لواقع مستقبل الأمة قال الرسول ﷺ مبيناً ذلك لصحابته الكرام :
(تكون النبوة فيكم ما شاء الله ان تكون ثم يرفعها الله اذا شاء ان يرفعها ثم تكون خلافة
على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله ان يكون ثم يرفعها اذا شاء ان يرفعها ثم تكون ملكاً جبرياً
فتكون ما شاء الله ان تكون ثم يرفعها اذا شاء الله ان يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم
سكت)^(١) .

فاذا كانت المرحلتان الاوليتان واضحتين ، النبوة والخلافة الراشدة ، فان الملك العضوض
يراد منه النظام السياسي للدولة الاسلامية حتى قيام النظام السياسي الجبري وهو نظام الحكم
الذي حكم بلاد المسلمين على غير منهاج الشريعة الاسلامية ويتمثل بنظامي الحكم الاستعماري
ثم اعقبه في نظام حكم علماني ، عليه كان الملك العضوض هو الذي يمتد في العموم بين قيام
الدولة الاموية وحتى سقوط دولة الخلافة في عام ١٩٢٤م^(٢) .

وفي هذا الاطار يتبين ان العصر العباسي الاول يقع في حقبة الملك العضوض ، ومن
خلال بيان حقيقة الملك العضوض يتضح انه النظام السياسي الذي يقوم على الشريعة الاسلامية
بقواعدها واحكامها وفلسفتها العامة ، غير ان هذا التبني للشريعة الاسلامية شهد انحرافات بقدر
ما في اثناء عملية التطبيق فثمة ظلم وجود وخلل ومجافاة لمنهج الشريعة في بعض الاحيان ،
الامر الذي استوجب اصلاح الاوضاع بما يمكن تسميته (بالمنهج الاستدراكي) اذ يتم من خلاله
تدارك الخلل في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية وقد شغلت هذه الجوانب اهتمامات
رجال الوعظ كما سيتبين تباعاً :

اولاً : البعد السياسي :

أفرزت المعطيات الوعظية الجوانب الاتية في معالجتها الاوضاع السياسية للامة بما
يؤدي الى ترصين بنية الامة السياسية ويزيد من فاعليتها ويجعلها اكثر قدرة في مواجهة متغيرات
الواقع :

١ - اصلاح مؤسسة الخلافة :

شغلت اوضاع الخلافة مساحة مهمة في ادب الوعظ في العصر العباسي الاول لانه
يمثل اهتمام الوعاظ بنقد الملامح السلبية وغير الشرعية التي انساقت اليها مؤسسة الخلافة ومن
هذه الملامح :

(١) احمد ، المسند ، ١٧٦٨٠ .

(٢) عماد الدين خليل ، موفق سالم نوري ، مدخل الى الثقافة ، ٢٠٥ .

أ- الدعوة الى نبذ الظلم والبغي :

شكل الوعظ في الجانب السياسي مساحة كبيرة في العصر العباسي الاول لما لهذا الجانب من اهمية في نظر رجال الوعظ وذلك لان اصلاح هذه المؤسسة يلقي بظلاله على الجوانب الاخرى ، واصبح التركيز لدى الوعاظ على الخلفاء مباشرة لان الخليفة يمثل قمة الهرم ويبيده السلطة ثم هو المسؤول امام الله تعالى وأمام الامة عن كل القرارات التي يقوم بها لان هذه القرارات تمس الخاصة والعامة على حد سواء .

وقد اعطى الاسلام للامام (الخليفة) مكانة مهمة في صياغة حياة الامة فاذا صلح الامام صلحت الامة واذا فسد فسدت ومن هنا جاء القول المأثور (الناس على دين ملوكها) ، فقد قال سفيان الثوري مخاطباً المنصور : (اني لاعلم رجلاً اذا صلح صلحت الامة ، قال من هو ؟ قال : انت) ^(١) .

وقال الفضيل بن عياض : (لو ان لي دعوة مستجابة ماصيرتها الا في الامام قيل له : وكيف ذاك يا ابا علي ، قال : متى صيرتها في نفسي لم تجزني - أي لم تجاوزني الى غيري - ومتى صيرتها في الامام - فصلاح الامام صلاح العباد والبلاد ...) ^(٢) .

من هنا كان لابد من التأكيد على ضرورة ان يعمل الخلفاء بالعدل بعيداً عن أي شكل من اشكال الظلم والجور والبغي بل ان مثل هذا التصور شمل شرائح اخرى ، فقد قال معن بن زائدة القائد العسكري المعروف للرشيدي : (يا أمير المؤمنين انت الزمان فإن صلحت صلح الزمان وان فسدت فسد الزمان) ^(٣) .

وذكر عن منصور بن عمار انه قال للرشيدي : (من عفا في جماله وواسى من ماله وعدل في سلطانه كتبه الله من الابرار) ^(٤) .

وقيل كان هناك من ينبه الرشيدي وينصحه بالبعد عن الظلم والبغي وان الدنيا لا تساوي شيئاً ، فقد مرّ وهو في طريقه الى الحج باحد البهاليل فقال :

تب أن قد ملكت الأرض طراً ودان لك العباد فكان ماذا
ليس غداً مصيرك جوف قبر ويحثو عليك التراب هذا ثم هذا ^(٥)

(١) الرازي ، الجرح والتعديل ، ١٠٦/١-١١٣ ؛ الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٤٣/٧ ؛ الذهبي سير اعلام النبلاء ، ١٩٩/٧ ؛ للمزيد انظر : الماوردي ، نصيحة الملوك ، ١١٩ .

(٢) الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٩١/٨-٩٢ ؛ ابن الجوزي ، المصباح ، ١٤٩/١ .

(٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١٢٩/٢ .

(٤) الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٣٣٥/١ .

(٥) شاكر ، التاريخ الاسلامي ، ١٤٤/١ .

وتطبيقاً لقوله تعالى : **وَلَا تَرْكُدُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ^(١) انبرى احد العامة و بكل صراحة وشجاعة الى الخليفة أبي جعفر المنصور وهو في الطواف لينبهه وليسمعه وهو في دعائه يقول :

(اللهم اني اشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله) فسمعه الخليفة وتأثر بما سمع . وكأنه يريد ان يعظه في سلوك سبيل الحق ويدعوه الى نبذ الظلم والبغي في دولته مما دعى الخليفة الى استدعائه ، فلما حضر بين له تأثير موعظته مثل السيف قائلاً : (ما الذي سمعتك تشكوه الى الله تعالى من ظهور البغي والفساد فوالله لقد حشوت مسامعي ما امرضني.....) ^(٢) فأجابه الرجل بقصة يريد منها حثه ووعظه على إقرار الحق من اجل صلاح الامة ، إنه كان يسافر الى الصين ذلك البلد الكبير المترامي الاطراف وفي احدى هذه الزيارات سمع ان ملكاً صينياً قد فقد سمعه ، فبكى الملك لاصابته بهذه العاهة فتعجب الوزراء واستفسروا منه عن سبب بكائه فقال : ما بكيت لمصيبتي وفقد سمعي وانما بكيت لمظلوم يصرخ بالبواب فلا اسمعه ثم قال : نادوا في الناس لا يلبس احد اللون الاحمر الا مظلوماً ليميزه عن غيره فكان يتجول بين الناس من اجل البحث عن مظلوم لينصفه ويأخذ حقه من الذي ظلمه ، ثم يتوجه الرجل بالسؤال الكبير والمخرج الى الخليفة المنصور فيقول : ان هذا الرجل مشرك فكيف بك انت ايها المسلم القريب من نسب رسول الله ﷺ ان تفعل ثم استرسل مخاطباً الخليفة أبا جعفر المنصور في عدم الاهتمام بالدنيا وجمع المال لان المعروف عن الخليفة المنصور انه لا يسرف المال وربما لقب بـ (الدوانيقي) لهذا السبب ، ان المال يجمع لاحدى ثلاث : ان قلت أجمع المال للولد فقد أراك الله عبدة في الطفل إذا يسقط من بطن امه وليس له على وجه الارض من مال .

والثانية : ان قلت اجمعه لمصيبة تنزل بي فقد اراك الله تعالى عبدة في الملوك والقرون الذين خلوا من قبلك الخ .

والثالثة : ان قلت انما اجمعه لغاية هي أحسن من العناية التي انت فيها فوالله ما فوق غايتك الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح ، وتأثر الخليفة كثيراً لموعظته حتى بكى ولا يعرف بما يجيبه ، فاشتكى اليه انه اراد العلماء ان يعلموا معه حتى لا يظهر الفساد والظلم ولكنهم رفضوا ذلك ، وغالب الظن هو الخوف من المسؤولية امام الله وامام الناس ، وفي سياق الحديث طلب منه ان لا يحجب نفسه ويعزلها عن الناس ويصبح هو في واد والناس في واد آخر وانما

^(١) سورة هود ، الآية ١١٣ .

^(٢) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ١٤٤/٢ ؛ العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ٢٥٥/٣ ؛ للمزيد انظر : الماوردي ، نصيحة الملوك ، ٥٥٩-٥٦٣ .

يفتح بابه لكل الناس وليس لخاصته فقط وان ينتصر للمظلوم ويأخذ حقه من الظالم . واخذ المال الحلال ويقسمه بين الناس بالحق والعدل والانصاف وفي ضوء كل هذه الافعال سيتجه اليك العلماء للعمل معك لانه هو العمل الذي يبغيه كل الصالحين الذين يريدون صلاح هذه الامة ، وبعد انتهاء صلاته أراد الخليفة المنصور الرجل فلم يجده^(١) .

وكثيراً ما كان الوعاظ ينبهون الخلفاء على ظلمهم وبطشهم وجهاً لوجه دون خوف او وجل منهم ، فقد وعظ سفيان الثوري أبا جعفر المنصور قائلاً : (اتق الله فانما انزلت هذه المنزلة وصرت في هذا الموضع بسيوف المهاجرين والانصار ، وابناؤهم يموتون جوعاً ...) ^(٢) ، وفي مرة اخرى كان سفيان هو الباحث عن المنصور واصفاً اياه بالطاغية ليعظه ويأمره وينهاه^(٣) ، في حين قام احد الورعين ، بعد ان اخفق في مصادفة المنصور في الحج بإرسال موعظته الخطية اليه جاء فيها :

(..... قد وليت أمر هذه الامة احمرها واسودها فانظر كيف أنت عند الله يا ابا جعفر واني احذرك يوماً تغنى فيه الوجوه والقلوب وتتقطع فيه الحجة لملك قد قهرهم) فرد عليه المنصور : (... فصدقت وبررت فلا تدع الكتب الي ، فإنه لا غنى بي عن ذلك ...) ^(٤) .

تكشف امثال هذه النصوص عن نمط التعامل الذي اتبعه المنصور مع الورعين والاتباء من المسلمين ، فعلى الرغم مما عرف عنه من سطوة وبطش في التعامل مع خصومه السياسيين لكنه لم يكن كذلك مع هذه الفئة ، فقد تقبل منهم مواعظهم التي خلت من عبارات التبجيل والتعظيم التي اعتاد عليها ، ومع ذلك فقد هم المهدي بقتل الناسك عبدالله بن مرزوق بعد ان وعظه بكلام خشن قاس ولكنه نصح بعدم اللجوء الى قتله لان عبدالله بن مرزوق قد فعل مثل ذلك مع المنصور فتقبل ذلك منه وحمله معه الى بغداد فكان يحبسه في النهار ويسامره في الليل فحمله المهدي معه الى بغداد فتوفي فيها^(٥) كان الخلفاء يستقدمون احياناً من يعظهم لينتفعوا بكلامه ووعظه ، وكانوا في هذه الاحوال يتحرون استقدام من يأمنون فيه الصدق والصراحة ، فمن ذلك ان ابا جعفر المنصور استقدم عبدالرحمن بن زياد بن انعم الافريقي الذي حكى لقاءهما بقوله : (كنت أطلب العلم مع ابي جعفر المنصور - أمير المؤمنين - قبل الخلافة فأدخلني يوماً منزله، فقدم الي طعاماً ومريقه من حبوب ليس فيها لحم ، ثم قدم الي زيبياً وقال : يا جارية

(١) ابن الجوزي ، المصباح ، ١٤٤/٢ ؛ ابو الفدا ، المختصر ، ١١/٣ ؛ البيهقي ، المحاسن والمساوي ، ٣٣٨ .

(٢) الرازي ، الجرح والتعديل ، ١٠٦/١ - ١١٣ ؛ الاصبهاني ، حلب الاولياء ، ٤٣/٧ .

(٣) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١٤٣/٢ .

(٤) السابق ، ١٤٦/٢ - ١٤٧ .

(٥) السابق ، ١٤٧/٢ .

عندك حلوى ؟ قالت : لا قال : ولا التمر ؟ قالت : ولا التمر ، فاستلقى ثم قرأ هذه الآية : (عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَهَيِّجَ عَوْنَكُمْ وَيُنْزِلَ خَلْقَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)^(١) .

فلما ولي المنصور الخلافة أرسل الي وانا بافريقيا ، فقد مت عليه والربيع - حاجبه - قائم على رأسه فاستدناني وقال : يا عبد الرحمن بلغني انك كنت تفد الى بني امية قلت : أجل قال : فكيف رأيت سلطاني من سلطانهم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين رأيت اعمالاً سيئة وظلماً فاشياً والله يا أمير المؤمنين - ما رأيت في سلطانهم شيئاً من الجور والظلم الا ورأيت في سلطانك)^(٢) وذكره بالوضع الذي كان عليه قبل توليه الخلافة والبساطة التي اتسم بها طعامه عند تقديمه اياه له عند استدعائه له عندما كانا يطلبان العلم سوية .

وهذه الموعظة تمتاز عن الوعظ الشائع الذي يستمد من اخبار الامم البائدة بانها تستمد من حياة الرجل الذي يراد وعظه ، وتسوق مثلاً من سيرة احد خلفاء الدولة التي كان ابو جعفر المنصور حريصاً على اسقاطها ، ثم انها تبين مدى صلابة مواقف بعض علماء الدين في مواجهة الظلم دون ان تاخذهم من الله لومة لائم او الخشية من بطش الحاكم^(٣) .

وقد يرد نبذ الظلم على نمط ابیات شعرية من الشعراء المعاصرين لتلك الفترة ، حيث يذكر ان الرشيد حبس أبا العتاهية وارصد عليه من يأتيه بما يقول فكتب على جدار الحبس :

أما والله ان الظلم شؤم وما زال المسيء هو الظلوم
الى ديان يوم الدين تمضي وعند الله تجتمع الخصوم

فاستدعاه وجعله في حل ووهب له الف دينار واطلقه^(٤) وقال الاصمعي كنت مع الرشيد في الحج فمررنا بواد فاذا على شفيره امرأة حسناء بين يديها قصعة وهي تسأل منها وتقول :

طحطحتنا طحاطح الاعوام ورمتنا حوادث الايام
فأتيناكم نمد أكفاً نائلات لزدكم والطعام
فاطلبوا الاجر والمثوبة فينا ايها الزائرون بيت الحرام
من رأني فقد رأني ورحلي فارحمنا عزيزي وذل مقامي

قال الاصمعي : فذهبت الى الرشيد فاخبرته بامرها فجاء بنفسه حتى وقف عليها فسمعها ورحمها وبكى وأمر مسرور الخادم ان يملأ قصعتها ذهباً فملأها حتى جعلت تفيض يميناً وشمالاً^(٥) .

(١) سورة الاعراف ، الآية ١٢٩ .

(٢) محمود عبدالرحيم صالح ، المواعظ ، مقالة عبر الانترنت ، ١-٢ ، www.coogle.com .

(٣) نفسه .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠/٢١٨ .

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠/٢١٨ .

يتبين مما سبق ان مواسم الحج كانت افضل وقت وانسب مكان يعلن فيها الناس عما يكن في صدورهم من حرمان وظلم وما هم فيه من جوع وفقر بحيث تصل الى مسامع الخليفة انتبيهه من غفلته ورجوع الى الله تعالى والاستغفار عن الذنب ومحاولة ارضاء الله تعالى بارضاء الناس والتقرب اليهم وانصافهم .

وكان الزاهدون ينتقدون الخلفاء دون خوف منهم كما فعل ابو عبدالرحمن العمري عندما انتقد هارون الرشيد على اعماله مع الناس قائلاً :

(يا أمير المؤمنين من حال الناس كيت وكيت فقال على غير علمي وأمرني فما زال واقفاً حتى سكت العمري)^(١) .

يتبين مما تقدم : ان الظلم والبغي الذي يبدر من الخلفاء كان يواجه بردع وعنف من الورعين والوعاظ الذين كان هدفهم في الحياة هو اعلان الحق وتأكيد السيرة على النهج الاسلامي الصحيح الذي كان السلف الصالح يسير عليه فكان التذكير يجري بأشكال مختلفة سواء اكان شعراً أم غير ذلك بحيث تحسس الخليفة المسؤول عن الامة بانه ظالم ومقصر في رعايته للناس وانه محاسب امام الله تعالى .

ب- حث الخلفاء على ضرورة ادراكهم لحجم المسؤوليات الملقة على عاتقهم :

كان الوعاظ لا يتوانون عن حث الخلفاء على ضرورة ادراكهم لحجم المسؤوليات الملقة على عاتقهم في الدنيا وانهم سوف يحاسبون على كل صغيرة وكبيرة امام الله اذا لم ينصفوا الرعية ويحكموا بالعدل ، فلامام الاوزاعي دعا الخليفة المنصور في موعظه جميلة بليغة على حسن معاملته للرعية قائلاً :

(يا أمير المؤمنين ان الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل اليك وكذلك لم يبق لك كما لم يبق لغيرك واستشهد بالقول المشهور للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات لخشيت ان اسأل عنها) ونبهه على اتخاذ البطانة التي تحته على احقاق الحق وعدم الحكم بالباطل ، واسترسل الامام الاوزاعي في وعظه فذكره بخطورة الامارة ومسؤوليتها امام الله وذكره بان جده العباس سأل الرسول صلى الله عليه وسلم ان يوليه إمارة مكة والطائف واليمن فنصحه بموعظة لينة وجميلة : يا عم النبي نفس تحيىها خير لك من إمارة لا تحصيها ، وعاد الى قول الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

(اللهم ان كنت تعلم أنني أبالي اذا قعد الخصمان بين يدي على من كان الحق معه من قريب او بعيد فلا أم تهملني طرفة عين) .

(١) ابن الجوزي ، المصباح ، ١٦٦/٢ .

وهنا ناشد الامام الاوزاعي الخليفة المنصور ان يصلح ذاته ويوقظ ضميره ويخشى الله تعالى في سره وعلنه وان يتقى الله في ما يفعل ليعزه ويبتعد عن معصيته لكي لا يذله ويخذله^(١).

ونلاحظ ان الخليفة أبا جعفر المنصور قد فهم ما اراد الامام الاوزاعي من نصحه وانها لله تعالى لا مجاملة ولا نفاقاً وانه سوف يعمل بما نصحه ، وهنا نستطيع القول ان تأثير الموعظة قد فاد وكان لها وقع واصلاح^(٢) .

وكان الرشيد من اكثر الخلفاء الذين تعرضوا للوعظ والتذكير في اثناء موسم الحج ولا شك ان ذلك يعود الى طول مدة حكمه وكثرة عدد المرات التي حج فيها ، ثم ان عصره كان عصر ازدهار وانتعاش ، رافقه نوع من التحلل من بعض القيم الدينية وعدم التمسك بها ، وهو أمر اثار سخط الاتقياء الورعين واستياء الزهاد النساك فعمدوا إلى وعظ الرشيد بوصفه المسؤول عن الامة وما يمكن ان يؤول اليه حالها ، فقد بلغ الرشيد خبر عابد في مكة مجاب الدعوة ينزل جبال تهامة ، فأتاه يطلب اليه ان يوصيه ويأمره بما يشاء وسيجده لا يعصي له أمراً ، ولكن هذا العابد سكت ولم يرد عليه ، فخرج الرشيد وتركه وعند سؤال هذا العابد عن سبب عزوفه عن الاستجابة للرشيد كتب لهم على الرمل : (اني اعظم الله ان يكون يأمره فيعصيه وآمره انا فيطيعني)^(٣) ، ويكشف هذا الامر ايضاً عن مدى تسامح الخلفاء وتواضعهم امام هذه الفئة من الناس .

لجأ الخليفة الرشيد بنفسه الى البحث عنم يقدم له موعظة ذات لهجة شديدة قاسية لها وقع وتأثير في النفس فمما يذكر عنه انه جاء في هدأه الليل الى الوزير الفضل بن الربيع طالباً اليه الخروج بحثاً عن رجل يقدم له مثل هذه الموعظة ، فذهب به الوزير الى سفيان بن عيينة ، فلما قرعا عليه الباب طلب اليه الفضل ان يجيب أمير المؤمنين فخرج مسرعاً فقال : يا أمير المؤمنين لو ارسلت الي اتيتك ، فقال له : خذ لما جئناك له يرحمك الله فحدثه ساعة ثم قال له : عليك دين ؟) ثم قضى دينه ، الا انه انصرف غير مقتنع به ، فطلب رجلاً غيره ، فكان منه مثل ما كان من سفيان ثم استقر الامر بالرشيد ووزيره عند الفضيل بن عياض ، فلما قرعا عليه الباب قال الوزير : (اجب أمير المؤمنين ، فقال ، مالي ولأمر المؤمنين ؟ فقال الوزير : سبحان الله اما عليك طاعته ، فنزل وفتح الباب ثم ارتقى الى الغرفة فأطفأ السراج ، ثم التجأ الى زاوية من زوايا البيت فدخلا وجعلا يبحثان عنه بايديهما فسبقت كف هارون اليه فقال الفضيل : يا لها من كف ما لينها ان نجت غداً من عذاب الله عز وجل ، فقال الوزير : في نفسي ليكلمنه الليلة

(١) الشيرازي ، المنهج المسلوك ، ٧٢٢ ؛ الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٢٤/١ .

(٢) السابق ، ٧٣٣ .

(٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١٧٠/٣ .

بكلام من قلب تقي ، فقال له الرشيد : خذ ما جئناك له رحمك الله تعالى ، فقال : ان عمر بن عبدالعزيز لما ولي الخلافة ، دعا سالم بن عبدالله وعمر بن كعب القرظي ، ورجاء بن حيوة فقال لهم : اني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا عليّ ، فعد الخلافة بلاءً وعددتها انت واصحابك نعمة : فقال له سالم بن عبدالله : ان اردت النجاة من عذاب الله ، فصم الدنيا وليكن افطارك منها الموت ، وقال له محمد بن كعب : ان اردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أباً وأوسطهم عندك أخاً واصغرهم عندك ولداً ، فوقر اباك واکرم اخاك وتحنن على ولدك ، وقال له رجاء بن حيوة : ان اردت النجاة غداً من عذاب الله عز وجل فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك واکره لهم ما تكره لنفسك ، واني اقول لك اني اخاف عليك اشد الخوف يوم تنزل فيه الاقدام ، فهل معك رحمك الله من يشير عليك بمثل هذا ؟ فبكى هارون بكاءً شديداً حتى غشي عليه ، فقال الوزير للواعظ : ارفق بأمرير المؤمنين فقال : يا بن الربيع تقتله انت واصحابك وارفق انا : فلما افاق الرشيد قال له : زدني رحمك الله فقال : يا أمير المؤمنين بلغني ان عاملاً لعمر بن عبدالعزيز شكى اليه ، فكتب اليه عمر يا اخي اذكرك طول سهر اهل النار في النار مع خلود الابد واياك ان ينصرف بك من عند الله فيكون اخر العهد وانقطاع الرجاء فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر فقال له : ما اقدمك ؟ قال خلعت قلبي بكتابك ، لا اعود الى الولاية حتى القى الله ، قال الوزير : فبكى هارون الرشيد بكاءً شديداً ثم قال للواعظ : زدني رحمك الله فقال : يا أمير المؤمنين ان العباس عم المصطفى جاء الى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله امرني على اماره ؟ فقال له النبي ﷺ : (ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت ان لا تكون اميراً فافعل ، فبكى هارون بكاءً شديداً وقال : زدني رحمك الله قال : يا حسن الوجه انت الذي يسالك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت ان تقي هذا الوجه من النار فايك ان تصبح وتمسي وفي قلبك غش لاحد من رعيته فان النبي ﷺ قال (من اصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة) فبكى هارون وقال له : اعليك دين ؟ قال : نعم دين لربي لم يحاسبني عليه فالويل لي ان سألني والويل لي ان ناقشني والويل لي ان لم الهم حجتني قال : انما اعني من دين العباد ؟ قال : ان ربي لم يأمرني بهذا قال الله عز وجل (ان الله هو الرزاق) فقال له : هذه الف دينار خذها فانفقها على عيالك وتقوى بها على عبادتك فقال : سبحان الله انا ادلك على طريق النجاة وانت تكافؤني بمثل هذا ؟ سلمك الله ووفقك ثم صمت واتم الوزير الخبر بقوله فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فلما صرنا على الباب قال هارون : ابا عباس اذ دلتني على رجل فدلني على مثل هذا هذا سيد المسلمين^(١) وهناك اشارات اخرى غير هذه الموعظة بينهما^(١) .

(١) ابن الجوزي ، المصباح ، ١٥٢/٢ - ١٥٧ ؛ الشيرازي ، المنهج المسلوك ، ٧٤٢ - ٧٤٧ .

يتضح من سياق هذه الموعظة وأحداثها ان الرشيد كان يبحث بنفسه عن ناصح يشعره بعمق مسؤوليته عن الامة .

وممن وعظه ايضاً ابو عبدالرحمن عبدالله بن عبدالعزيز العمري ، وهو يسعى بين الصفا والمروة وطلب منه ان ينظر الى حشد الحجيج بقوله : (اعلم ايها الرجل ان كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه وانت وحدك تسأل عنهم ، فانظر كيف تكون والله ان الرجل ليسرع في ماله فيستحق الحجر عليه ، فكيف بمن اسرع في مال المسلمين ؟ ثم مضى وهارون يبكي)^(٢) وقد وعظه بغيرها^(٣) .

وطلب الرشيد الى شيبان الواعظ ان يعطه فذكره بمسؤوليته عن الامة وضرورة اجراء العدل والمساواة بين افرادها^(٤) كما وعظه حسين الجعفي مذكراً آياه بمسؤوليته عن الامة ايضاً^(٥) ، كما فعل ابو نصر وكان من اهل الصفة الذين يديمون الجلوس خاشعين في مسجد رسول الله ﷺ وقال له : (ايها الرجل انه ليس بين عباد الله وامة نبيه وبين الله ، اخلف غيرك وان الله سائلك عنهم فأعد للمسألة جواباً وقد قال عمر : (لو ضاعت سخلة على شاطئ الفرات لخاف عمر ان يساله عنها) فبكى هارون ثم قال : يا ابا نصر : ان رعتي ودهري غير رعية عمر ودهره فقال ابو نصر : هذا والله غير مغن عنك فانظر لنفسك فانك وعمر تسألان عن ما خولكما الله^(٦) .

مما لا شك فيه ان مثل هذه المواعظ وغيرها لا بد وان تترك اثارها على سياسة الدولة ولاسيما فيما يتعلق بمراعاة مصالح الرعية التي أكدت عليها معظم هذه المواعظ .

ج- دعوة الخلفاء الى عدم الاحتجاب عن الرعية :

ألح رجال الوعظ على الخلفاء بضرورة التواضع وعدم التكبر والرفق بالرعية وعدم الاحتجاب عن الناس والعمل بالكتاب والسنة النبوية المطهرة ، ففرج بن فضالة (ت ١٧٦هـ / ٧٩٢م) ففيه تولى بيت المال في عهد الخليفة هارون الرشيد^(٧) ، كان يوماً جالساً عند باب

(١) ابن قتيبة ، الامامة ، ١٥٦/٢ ؛ التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ٤٥٢-٤٥٣ .

(٢) ابن الجوزي ، المصباح ، ١٦٢/٢-١٦٤ .

(٣) السابق ، ١٦٦/٢-١٦٨ .

(٤) السابق ، ١٨٤/٢-١٨٥ .

(٥) السابق ، ١٦٩/٢-١٧٠ .

(٦) السابق ، ١٨٦/٢-١٨٨ .

(٧) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٣٩٣/١٢-٣٩٤ .

الذهب فقام الناس ولم يقم الفرّج بن فضالة فعاتبه الخليفة على ذلك قائلاً : (ما منعك من القيام حين رايتني قال : خفت ان يسألني الله عنه لم فعلت ويسألك لم رضيت وقد كرهه رسول الله ﷺ وقال : (من احب ان يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار)^(١) فاستحسن الخليفة ما قاله ورضى بما فعل واكرمه^(٢) .

كان جل اهتمام الوعاظ في مواعظهم الموجهة الى الخلفاء التأكيد على حقوق الرعية ومصالحها من خلال حفظ حرمة اموال الرعية وحفظ دمائهم وتأكيدهم على العدل ومعظم مواعظهم تذكر الخلفاء بالآخرة وعذاب الله الشديد في حالة التقصير مع الرعية لان الخليفة هو المسؤول امام الله تعالى عن الرعية وكان يجري دائماً التذكير بالخلفاء الراشدين وسياستهم مع الرعية وكيف كانوا يراقبون بانفسهم احوال الرعية ويحاربون الظلم وينصفون المظلوم ويعينون المحتاج والضعيف ويحسبون انفسهم دائماً عن اعمالهم بحيث تكون مرضية لله تعالى ، فمن ذلك عندما سمع الخليفة المنصور عن احد العامة وهو يطوف بالبيت الحرام يشكو ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله وحاول المنصور انكار ما قاله الرجل فاجابه بقوله : (..... ان الله استرعاك امور المسلمين واموالهم فاهملت امورهم واهتممت بجمع اموالهم واتخذت بينهم وبينك حجاباً من الجص والاجر وامرت ان لا يدخل عليك الا فلان وفلان ثم استخلصتهم لنفسك واثرتهم على رعيته ولم تامر بايصال المظلوم ولا الجائع ولا العاري ولا احد الا وله في هذا المال حق فلما رآك هؤلاء الذين استخلصتهم لنفسك واثرتهم على رعيته تجمع الاموال ولا تقسمها قالوا : هذا قد خان الله ورسوله فمالنا لا نخونه فاجتمعوا على ان لا يصل اليك من اموال الناس الا ما ارادوا فصاروا شركاءك في سلطانتك وانت غافل عنهم واذا جاء المظلوم الى بابك وجدك قد اوقفت ببابك رجلاً ينظر في المظالم فان كان لظالم من بطانتك علل المظلوم وسوف به من وقت الى وقت فاذا اجتهد وظهرت انت فصرخ بين يديك ضرب ضرباً مبرحاً ليكون نكالاً لغيره وانت ترى ذلك فلا تتكره ، ولقد كان الخلفاء قبلك اذا انتهت اليهم الظلامة ازيلت في الحال....)^(٣) .

(١) علي حسين الحلبي وآخرون ، سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة ، رقم الحديث ٢٢ ، ٢٣ (الرياض :

١٩٩٩ / ٩ / ١٢٣ .

(٢) ابن الجوزي ، المصباح ، ٤٠٩ / ١ .

(٣) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٣٦٠ / ١ ؛ البيهقي ، المحاسن والمساوي ، ٣٣٨ ؛ للمزيد انظر : الماوردي ،

نصيحة الملوك ، ١٢٥-١٢٩ .

وحدث الامام الاوزاعي الخليفة المنصور على العمل من اجل الرعية وعدم الظلم ، وحثه على لقاء العلماء واستشارتهم فهم خير من جمع المال قائلاً : (لقاء الاخوان خير من لقاء الاهل والمال)^(١) .

وقد يعظ العلماء الخلفاء على عدم التسرع في قتل الناس واقامة الحد والعفو عند المقدرة ، فمبارك بن فضالة بن ابي امية بينما هو جالس مع المنصور اذ جاؤوا برجل لضرب عنقه فذكر مبارك الخليفة المنصور بحديث عن رسول الله ﷺ : (اذا كان يوم القيامة ناد مناد ليقم من كان اجره على الله فلا يقوم الا من عفا)^(٢) ، فأمر بالعفو عن ذلك وبعدها عدد جرائم ذلك الرجل وما صنعه^(٣) .

وذكر الاوزاعي الخليفة المنصور بضرورة حماية الرعية وتحمل مسؤوليتها بقوله : (إنما جعلت الانبياء وعاء لعلمهم بالرعية يجبرون الكسير ويسمنون الهزيلة ويردون الضالة فكيف من يسفك دماء المسلمين وياخذ اموالهم ، اعيزك بالله ان تقول ان قرابتك من رسول الله ﷺ تدعوك الى الجنة ، ان رسول الله كان في يده جريدة يستاك بها فضرب بها قرن اعرابي فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد ان الله تبارك وتعالى لم يبعثك جباراً تكسر قرون امتك ، الق الجريدة عن يدك فدعا الاعرابي الى القصاص من نفسه فكيف بمن يسفك دماء المسلمين)^(٤) .

كان التأكيد في جميع الاوقات والمراحل من قبل الوعاظ على الرعية ، فقد وعظ الفضيل بن عياض الرشيد قائلاً :

(اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك من رعيته التي استرعاك ولا تجعل الكفر مكان الشكر ولا العقاب موضع الثواب فقد تخلت لك النصيحة ومحضت لك الطاعة وشددت أوافي ملكك بأثقل من ركني يللم وتركت عدوك مشتغلاً فالله في ذي رحمك ان تقطعه بعد ان وصلتته)^(٥) .

ان مسؤولية الرعية مسؤولية كبيرة ويحاسب الخليفة امام الله عن الرعية فقد وعظ شيبان الراعي الرشيد وحثه على العدل بين الرعية ومخافة الله في ذلك قائلاً :

(١) الشعراني ، الطبقات الكبرى ، ٣٩/١ .

(٢) الحلبي وآخرون ، سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة ، رقم الحديث ١٩٢٢ ، ٧٥٧/١ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠/١٢٣ .

(٤) البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ٣٣٧ ؛ الشيرازي ، المنهج المسلوك ، ٧٢٢ ؛ للمزيد انظر : الماوردي ، نصيحة الملوك ، ٣٥٣-٣٦٠ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١٨٢/٦ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١٥٢/٢ .

(اتق الله فانك رجل مسؤول عن هذه الامة استرعاك الله عليها وقلدك امورها وانت مسؤول عنها فاعدل في الرعية واقسم بالسوية)^(١) .

وحول التركيز على العدل هناك قصة غريبة قد تكون صحيحة او خيالية وان صحت يفهم من مغزاها توطيد العدل ، (يحكى ان الخليفة المأمون أرق ذات ليلة فدعا من يسامره فقال : يا أمير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل بومة البصرة لابنها فقالت بومة البصرة لا اجيب خطبة ابنك حتى تجعل في صداق ابنتي مائة ضيعة ضربة فقال بومة الموصل لا اقدر عليها لكن ان دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت ذلك فانتيه اليه الخليفة المأمون وجلس للمظالم وانصف الناس بعضهم من بعض وتفقده امور الولاة والعمال والرعية)^(٢) .

ووعظ ابو بكر بن عياش الرشيد قائلاً :

(ان الله عز وجل اوحى الى نبي من انبياء بني اسرائيل ان مر ملوك بني اسرائيل ان ينزلوا الجذب وينزل الرعية الخصب ويشربوا الرنق ويسقوا الرعية الصفو والا حاسبتهم بالذرة والشعيرة)^(٣) .

كان الفضيل بن عياض دائم الموعظة للرشيد وتنبهه على معاملة الرعية معاملة حسنة والحفاظ على اموالهم لانه مسؤول امام الله قائلاً : (ان اردت غداً النجاة من عذاب الله فاحب المسلمين كما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك)^(٤) فبكى الخليفة بكاءً شديداً .

من الواضح ان الجانب السياسي كان له مكانة متقدمة في مواظ العلماء للخلفاء لا سيما فيما يخص ازالة الظلم وإقامة العدل واحقاق الحق فهذا ابن السماك يدخل على الرشيد فيعظه قائلاً :

(يا أمير المؤمنين ان الله لم يرض لخلافته في عباده غيرك فلا ترضى من نفسك الا بما رضى الله به عنك فانك ابن عم رسول الله ﷺ وانت اولى الناس بذلك ، يا أمير المؤمنين من طلب فكاك رقبتة من اجله كان خليفاً ان يعتق نفسه ، يا أمير المؤمنين من ذوقته الدنيا حلاوتها يركون منه اليها اذاقته الاخرة مرارتها بتجافيه عنها ، يا أمير المؤمنين ناشدتك الله ان تقدم الى جنة عرضها السموات والارض وقد دعيت اليها وليس لك فيها نصيب ، يا أمير المؤمنين انك

(١) ابن الجوزي ، المصباح ، ١٨٣/٢ .

(٢) الابشيهي ، المستطرف ، ١٣٩ .

(٣) ابن الجوزي ، المصباح ، ١٦٨/٢ .

(٤) الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ١٠٦/٨ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ٨٠ وللمزيد انظر الطبري ، تاريخ ،

١٢٠/٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ١٥٠/٧ .

تموت وحدك ، وتحاسب وحدك ، وانك لا تقدم الا على نادم مشغول ولا تخلق الا مفتوناً مغروراً وانك واينا في دار سفر وجيران صنعن^(١) .

ووعظ ابو يوسف الخليفة هارون الرشيد بالجلوس لمظالم الرعية في الشهر او في الشهرين مجلساً واحداً تسمع فيه من المظلومين وتكرر على الظالم ، ورجى منه ان لا يحتجب عن رعيته وحوائجها فيخاف الظالم من الظلم ويأكل الضعيف المتهور فيقوى وترتيب ذلك كل حسب حقه ووقت قدومه وعدم المفاضلة بينهم^(٢) ، وتطبيقاً لحديث الرسول ﷺ :

(من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً في الدنيا ستر الله زلته يوم القيامة)^(٣) .

يتضح من خلال النصوص المارة الذكر ان الرعية والاهتمام بها قد شغل الواعظين كثيراً بحيث اصبحوا في كل موقف يذكرون الخليفة بالرعية والتعامل معهم بإحسان لان الخليفة هو الذي يحاسب امام الله عن رعيته وفي كل موعظة من المواعظ الموجهة الى الخلفاء كان يظهر فيها مدى الاهتمام وتفضيل أمر الرعية سواء اكان في المعاملة أم في تقسيم الاموال او انصاف المظلومين منهم ، اذ ان الوعاظ يذكرون الخلفاء دائماً بالموت والقبر وان الخليفة هو الوحيد المسؤول امام الله فما عليه الا اتباع سياسة العدل مع الرعية والتوفيق في حكمهم ، والسماع لآرائهم وعدم احتجاب انفسهم عن الرعية وتقريب الخاصة فقط وعدم سماع العامة فان ذلك هو الظلم بعينه لان الناس على الرغم من بساطتهم لا يتحملون الظلم ولذلك نراهم في كل فترة وفي كل مناسبة يطلقون السنتهم بانتقاد الخليفة والاشادة بظلمه والمطالبة باحقاق الحق ونشر العدل كما امر الله به في كتابه العزيز وأقرته السنة النبوية واعماله ﷺ .

(١) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ٥٢ .

(٢) ابو يوسف ، الخراج ، ٢٥٥ .

(٣) الترمذي ، سنن ، ٤٣٩/٢ ؛ ابو داود ، سنن ، ٥٨٣/٢ .

د - دعوة الخلفاء بضرورة التزام المنهج الشرعي في سياسة الدولة :

شدد الفقهاء والورعون على خلفاء العصر العباسي الاول بالتزام المنهج الشرعي في سياسة الدولة ، وذلك عن طريق اتباع ما جاء في الكتاب والسنة النبوية المطهرة وان تكون جميع قراراتهم مستمدة ومطابقة لما جاء في الكتاب والسنة ، وكذلك الاقتداء بسياسة الخلفاء الراشدين ، والحث على تأمل سياسة عمر بن عبدالعزيز (رضي الله عنهما جميعاً) لا سيما وان في العصر العباسي الاول تطورت البلاد وتوسعت الفتوحات ودخلت عناصر اخرى المجتمع ، وابتعد العهد عن فترة الرسول ﷺ فنسي كثير منهم هذه القاعدة فكان من وظيفة الوعاظ التذكير دائماً في كثير من المجالس والاجتماعات بضرورة الالتزام بكتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ حتى لا يتحمل الخليفة وزر الناس لانه هو المسؤول امام الله عن سياسة الناس ومعاملتهم .

ففي حوار بين ابن طاووس والخليفة أبي جعفر المنصور قال له الخليفة عظمي يا بن طاووس ؟ فأجابه يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول :

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يَخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ ظَفَّوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ ذُو الْمِرْصَادِ ^(١)) .

مما سبق نلاحظ ان ابن طاووس يذكر الخليفة بقوله تعالى وبكتابه وكيف ان الامم الطاغية يخسف الله بهم الارض لابتعادهم عما نزل في كتاب الله وان ظلمهم وطغيانهم قد ادى بهم الى التهلكة ، وقد سمع الخليفة منه هذه الموعظة وعمل بها .

وحول الاقتداء بالخلفاء الراشدين والسير على نهجهم وعظ ابن ابي ذئب (ت ١٥٩هـ / ٧٧٥م) الخليفة المنصور قائلاً :

(يا أمير المؤمنين قد هلك الناس لو اعنتهم مما في يدك من الفيء فاجابه بان هذه الاموال تصرف على سد الثغور والجيش ولولا ذلك لدخل الاعداء الى بيوتنا فقال ابن ابي ذئب : فقد سد الثغور وجيش الجيوش وفتح الفتوح واعطى الناس اعطياتهم من هو خير منك قال : ومن هو وملك ؟ قال : عمر بن الخطاب رضي الله عنه فنكس المنصور رأسه ولم يعرض له والتفت الى محمد بن ابراهيم الامام وقال : هذا الشيخ خير اهل الحجاز ^(٢)) .

وحول تطبيق النهج الاسلامي للخلفاء في سياستهم وعظ صالح بن عبدالجليل من كبار الزهاد - الخليفة المهدي ، الذي كان ناسكاً بليغاً بعد ما اتاحت له الفرصة للقاء به وما في

^(١) سورة الفجر ، الآيات ٦-١٤ .

^(٢) ابن الجوزي ، مصباح ، ٤٠٤/١ .

اعناق العلماء من نصح ووعظ الخلفاء في الامر والنهي وتقريب العلماء والعمل بما يقولونه وينصحوه ليس رياء ولا بطراً وانما خوفاً من الله تعالى وتطبيق سنة نبيه محمد ﷺ وتذكيره من الغفلة والظلم كما جاء في قوله تعالى : (وَأَمَّا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)^(١) والحكم بما جاء في القرآن واحقاق الحق والبعد عن الهوى^(٢) .

وفي مناسبة اخرى وعظه صالح بن الجليل موعظة بليغة حتى ابكاه وذكره بسيرة الخلفاء عمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز (رضي الله عنهما) فرد عليه الخليفة المهدي بانه قد فسد الزمان وتغير اهله وتغيرت العادات والاهتمام بالدنيا والمال والنعمة والبعد عن الزهد كما كان لدى السلف الصالح^(٣) .

ووعظ صالح المري الخليفة المهدي بعدم المكابرة في المعصية وذكره بما فعله الرسول ﷺ من اجل اقامة العدل والحق وحثه على العمل بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية لان اثبت الناس يوم القيامة الذين يعملون بها وكتب موعظته في ديوانه^(٤) .

إن اغلب الوعاظ كانت مواعظهم تصب في العمل بالكتاب والسنة النبوية المطهرة واقامة العدل لتقويم أي اعوجاج قد يحصل في الدولة فمن ذلك وعظ عبدالله بن عبدالعزيز العمري الرشيد وكان يغلط في مواعظه ، ففي احدى مواعظه طلب منه الاستماع الى الرعية ومعالجة مشاكلها والعمل بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وحثه على اقامة العدل لانها امانة في عنقه فلا يضيعها من اجل درء الفساد وعدم ظلم اليتيم قائلاً :

(ان الله عز وجل جعل الامام العادل قوام كل زائل وقصد كل جائر وقوة كل ضعيف ونصر كل مظلوم ومفرع كل محتاج وهدى من الضلالة)^(٥) .

وسار على نفس المنهج ابنه عبدالرحمن العمري في وعظ الرشيد وحثه على اقامة العدل والعمل بالكتاب والسنة^(٦) .

كان الرشيد اكثر لخلفاء التزاماً بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ ويتضح ذلك من خلال ما جرى بينه وبين الفضيل بن عياض ، اذ يذكر انه قال للرشيد : (يا أمير المؤمنين اني اخشى ان يكون العلم قد ضاع قبلك كما ضاع عندنا فقال الرشيد : اجل انه ما قلت)^(٧) .

(١) سورة فصلت ، الآية ٣٦ .

(٢) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٣٥٩/١ .

(٣) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ، ١٤٩ .

(٤) ابن الجوزي ، المصباح ، ١٤٧/٢ .

(٥) السابق ، ١٦٤-١٦٦ .

(٦) السابق ، ١٦٢/٢ .

وطلب منه الرشيد ان يعظه مرة اخرى فقال : (ماذا اعطك ، هذا كتاب الله تعالى بين الدفتين ، انظر ماذا عمل بمن اطاعه وماذا عمل بمن عصاه ، وقال اني رأيت الناس يغوصون على النار غوصاً شديداً ويطلبونها طلباً حثيثاً اما والله لو طلبوا الجنة بمثلها او ايسر لنالوها فقال : عد لي فقال الفضيل : لو لم تبعث لي لم اترك وان انتفعت بما سمعت عدت اليك^(١) .

وحول الالتزام بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وجه الامام مالك الى الرشيد رسالة جامعة للسنن والاداب جاء فيها :

(..... اجعل من نفسك لنفسك بالليل وصل من النهار اثنتي عشرة ركعة واقرأ فيهن ما احببت ، وصم ثلاثة ايام من كل شهر واعط زكاة مالك طيبة بها نفسك حيث يحول عليها الحول)^(٢) .

وركز على اداء الفرائض ومنها الحج والعمل بالمعروف والنهي عن المنكر وتأديب الابناء والبنات والعدل بين الرعية وعدم ظلمهم وعدم التكبر ، وحذره من بطانة السوء^(٣) .

وفي موعظة اخرى للفضيل بن عياض للرشيد : (بلغني ان عاملاً لعمر بن عبدالعزيز شكى اليه ، فكتب اليه عمر بن عبدالعزيز يا اخي : اذكرك طول سهر اهل النار مع خلود الابد ، واياك ان ينصرف بك من عند الله فيكون اخر عهد وانقطاع الرجاء قال ، لما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبدالعزيز فقال له : ما اقدمك قال : خلعت قلبي بكتابك لا اعود الى ولاية حتى ألقى الله عز وجل فيكي هارون الرشيد)^(٤) .

وبذلك يتبين من خلال النصوص السابقة التي وثقت للوعظ ان الخلفاء كانوا دائماً في وعظ وتنبية من الورعين المتمسكين بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ فقد كانوا للخلفاء خير رادع لهم عن طريق تذكيرهم باعمال السلف الصالح وسيرة الخلفاء الراشدين (ضوان الله عليهم جميعاً) ولذلك سرعان ما يرجع الخلفاء الى هديهم الصحيح والى سلوك النهج الاسلامي السليم ويعملون بموعظة الزاهدين لهم طالما هدفهم حفظ الامة وسير السياسة بالطريق الصحيح بما يخدم الرعية والدولة ويجعل اركانها سليمة وقوية دائماً .

٢ - اصلاح جهاز الدولة الاداري :

(١) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١٥٧/٢ .

(٢) الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ١٠٤/٨ - ١٠٥ ؛ عمر ، النشر الصوفي في الادب العربي الى نهاية القرن الخامس الهجري ، ١٥٧ .

(٣) الامام مالك ، رسالة الامام مالك ، ١٨ وما بعدها .

(٤) نفسه .

(٥) الطبري ، تاريخ ، ١٢٠/٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ١٥٠/٧ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ١٢٢/٥ .

دعى الوعاظ الخلفاء العباسيين الى اعادة النظر في المعايير المعتمدة لانتقاء موظفيهم بما يجعل هذه المعايير منطلقة من الاسس التي رسختها مفاهيم الكتاب والسنة ولا سيما الكفاءة والامانة في العمل وبما يقود الى حماية الناس من الظلم والتعسف واحقاق الحق ونشر العدل والقضاء على الطغاة والمحيطين بالخليفة والذين يسعون من اجل تحقيق مصالحهم الخاصة وهذا يتم عن طريق :

أ- اختيار الموظفين الكفاء والامناء :

كان للعلماء دورٌ مهم في وعظ الخلفاء باختيار موظفيهم من الذين يمتازون بالنزاهة والكفاءة والتقوى وذلك انطلاقاً من قوله تعالى : (إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ)^(١) والابتعاد عن بطانة السوء التي لا تروم اصلاح الدولة بل تحقيق مآربهم الخاصة ، وخير من نبيه الخليفة المنصور على ذلك صديقه القديم في البصرة الفقيه الجليل عمرو بن عبيد الذي كان له مكانة خاصة في نفس الخليفة أبي جعفر المنصور لما له عنده من صلاح السريرة وسداد النصيحة ، ففي احدى المناسبات بادر الى وعظ الخليفة قائلاً :

(ان الله واقفك وسائلك عن مثاقيل الذر من الخير والشر وان امة محمد خصماؤك يوم القيامة وانك لا ترضى لنفسك الا بان يعدل عليك فان الله لا يرضى منك الا بالعدل على رعيته ، يا أمير المؤمنين ان على بابك نيراناً تتأجج من الجور فبكى المنصور فانتقد حاشيته عمرو هذا القول ، فقال عمرو :

(إن أمير المؤمنين ميت ومخل ما في يديه من هذه الدنيا ومرتهن بعمله وانت غداً جيفة بالعراء لا تغني عنه شيئاً ، ولقرب هذا الجوار منه خير له من قريبك ، يا أمير المؤمنين : إن هؤلاء اتخذوك سلماً الى درك ارادتهم وصفاء دنياهم لهم فكلهم يوقد عليك فقال : كيف أصنع يا ابا عثمان)^(٢) .

من خلال هذا النص نستنتج ملحوظة مهمة هي ان هذه الموعظة أثرت تأثيراً كبيراً على الخليفة من الناحية السياسية فهو يطلب بعدها من عمرو بن عبيد ان ياتي بأصحابه ليشاركونه الرأي لاصدار الحكم قائلاً :

إدعُ لي اصحابك استعملهم قال : أدعهم انت واطرد هؤلاء الشياطين عن بابك ، فان أهل الدين لا يأتون بابك وهؤلاء محيطون بك لانهم ان باينوهم ولم يعملوا باهوائهم أرشوك بهم

(١) سورة القصص ، الآية ٢٦ .

(٢) البلاذري ، انساب الاشراف ، ٢٣٤/٣ .

وحملوك عليهم والله لئن رأوك عمالك لا تقبل منهم إلا العدل لتقرين اليك به من لا نية له فيه^(١)

من هنا نلاحظ ان التشاور بين الخلفاء والعلماء اصبح ركناً رئيساً في سياسة الدولة التي كان شعارها (العمل بكتاب الله وسنة نبيه)^(٢) ، فقد فاتح الخليفة المنصور الفقيه أبا عثمان عمرو بن عبيد^(٣) في الاشتراك معه في ادارة الدولة والحكم هو ومن معه من تلامذته ولكن زهد عمرو في الدنيا جعله يؤثر الابتعاد عن السلطة وعدم الانغماس في شؤون الدولة وقال المنصور : (سلني حوائجك فقال : حاجتي ان لا تبعث عليّ حتى اجيبك ولا تعطني شيئاً حتى اسألك ثم نفّض ثوبه وقام واتبعه المنصور ببصره قائلاً : شغل والله الرجل عما نحن فيه وقال :

كلكم يمشي رويد وكلكم يطلب صيد
غير عمرو بن عبيد^(٤)

وقد عرض عمرو بن عبيد على ابي جعفر في المناسبة نفسها او في غيرها انه اذا اراد ان يستقطب العلماء للعمل معه وبالذات تلامذته فلا يكون ذلك عن طريق القوة وانما بالعمل الصالح واظهار الحق طبقاً لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قائلاً : (اظهر الحق يتبعك اهله)^(٥) وهم العلماء .
ووعظه في مناسبة اخرى قائلاً :
(ان الله لم يرض ان يكون احد من الناس فوقك فلا ترض ان يكون احد أشكر لربك منك)^(٦) .

ولدى استفسار الامام الاوزاعي عن سبب استدعائه من قبل الخليفة أبي جعفر المنصور كان الرد من الخليفة هو اخذ الشورى والنصيحة ، فانبرى له الامام الاوزاعي بموعظة قوية ابتدأها بالمسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقه وان مثله لا ينام وذكره بما فعله الانبياء والرسل من الصلاح والدعوة الى الله الى الامم التي ارسلوا اليها وماولاه الامر الا بمثل هؤلاء من المسؤولية امام الله ، عليهم مراعاة الناس وان يبتعدوا عن سفك دماء المسلمين لان دماءهم واموالهم

(١) البيهقي ، المحاسن والمساوي ، ٣٣٧ وما بعدها .

(٢) فوزي ، طبيعة الدعوة العباسية ، ١١٧ .

(٣) انظر ترجمته في ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٤٦٠/٣ .

(٤) البلاذري ، انساب ، ٢٣٤-٢٣٥ .

(٥) السابق ، ٢٣٤/٣ .

(٦) الجهشيارى ، الوزراء والكتّاب ، ١١٦ .

واعراضهم حرام عليهم ، وذكر بما فعله الرسول ﷺ عندما كان في يده جريد يستاك بها فضرب بها قرن اعرابي ، وعلى الرغم من سهولة الحادثة الا ان جبريل عليه السلام نزل على الرسول ﷺ وقال له : ان الله تبارك وتعالى لم يبعثك جباراً تكسر قرون امتك ألق الجريدة عن يدك فدعا الاعرابي الى القصاص من نفسه فكيف بمن يسفك دماء المسلمين ويأخذ اموالهم ، وان الله تعالى اوحى الى من هو خير منك ، فذكره بسماحة الاسلام وحقوق العباد^(١) .

ووعظ الامام ابو يوسف الخليفة هارون الرشيد بضرورة تكليف اهل الصلاح والامانة والدين لجباية للخراج ويجب ان يكون فقيها عالماً مشاوراً لاهل الرأي عفيفاً لا يطلع الناس منه على عورة ولا يخاف قول الحق ولا يتعسف في جباية الخراج ولا يحتقر ولا يستخف اصحاب الخراج وان يجبي الخراج كما هو مرسوم له لا يزيد فيه ولا ينقص منه^(٢) .

ونصحه ايضاً بالعدل وانصاف المظلوم وتجنب الظلم مع ما جاء ذلك من الاجر يزيد به الخراج وتكثر به عمارة البلاد والبركة مع العدل وينقص الخراج مع الجور والظلم وبه تخرب البلاد^(٣) .

ب- دعوة الخلفاء الى متابعة عمل موظفيهم ومراقبة عملهم :

شدد رجال الوعظ على تذكير الخلفاء دائماً على ضرورة مراقبة عمل موظفيهم وسير اعمالهم باستمرار حتى لا يقع الظلم على الرعية ويسود الفساد حتى لو اضطر الخليفة الى متابعة اعمالهم بنفسه كما كان يحدث في عهد اسلافهم الصالحين لا سيما في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لان الخليفة هو المسؤول امام الله عن الرعية ، ولهذا فان اتباع ما جاء في النهج الشرعي وفق الكتاب والسنة النبوية أمر ضروري على الخليفة اتباعه حتى يحكم حسبهم ولا يظلم احداً ابداً .

وحول هذا المنطلق وجه احد شيوخ المغرب وهو عبدالرحمن بن زياد بن انعم الافريقي^(٤) عند ما ارسل اليه الخليفة ابو جعفر المنصور موعظة قائلاً :

(ان الخليفة أبا جعفر المنصور ارسل الي ولما دخلت عليه ووزيره الربيع واقف على راسه وسألني كيف رأيت اعمالنا عند مرورك بها حتى وصلت الينا فقال له ودون مجاملة او محاباة :

(١) البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ٣٣٧ ؛ الشيرازي ، المنهج السلوك ، ٧٢٢ .

(٢) ابو يوسف ، الخراج ، ٢٥٤ .

(٣) السابق ، ٢٤٧-٢٤٨ .

(٤) عبدالرحمن بن زياد بن انعم الافريقي احد شيوخ المغرب وقاضيه من كبار العلماء توفي (١٥٦هـ / ٧٧٣م) انظر الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١٠/٢١٤-٢١٨ .

يا أمير المؤمنين :اني رأيت اعمالاً سيئة وظلماً فاشياً ظننته لبعث البلاد منك ، وكنت كلما اقتربت منك كان اعظم واكبر فسكت المنصور قليلاً وفاجأه بالجواب : وقال : من اين لي برجال يصلحون الوضع فأجابه عبدالرحمن وذكره بقول الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه : الوالي بمنزله السوق يجلب اليها ما ينفق فيها فان كان براً اتوه ببرهم وان كان فاجراً أتوه بفجورهم^(١) .

من النص السابق يتضح لنا ان مهمة اختيار الوالي والموظفين مهمة دقيقة جداً ومهمة لسلامة البلاد والعباد ولتثبيت اركان الدولة بشكل سليم يرضاه الله ورسوله فمتى ما صلح اختيار الموظفين الاكفاء في المكان المناسب صلحت الدولة وساد العدل وقل الظلم وعلى العكس من ذلك فالوالي والموظف الفاسد لا يجلب الا الفساد على المكان المسؤول عنه ثم يؤدي الى تصدع اركان الدولة وهذا معروف منذ عصور سحيقة والى حد الان وهذا كله يتبع مدى الالتزام باوامر الله ونواهيه فمتى ما كان الانسان ملتزماً دينياً صلحت اعماله وبالعكس .

وحول متابعة عمل الموظفين ، فقد حاسب المأمون احمد بن يوسف بعد ان تظلم منه اصحاب الصدقات قائلاً : (إنهم ما رضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنزل فيهم الله تعالى : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ)^(٢) فقال له المأمون صدقت واحسنت النظر^(٣) .

٣- اصلاح الجهاز المالي للدولة :

برز دور رجال الوعظ واضحا في العصر العباسي الاول ودعوتهم الى اصلاح الجهاز المالي للدولة بما من شأنه انصاف الناس في حقوقهم عند الجباية وعدم استخدام العنف في الجباية وصرف الاموال بوجهها الصحيح واختيار الامناء في العمل مما يؤدي الى نشر العدل بين الرعية وواجب الخليفة متابعة هذه الامور بدقة وعناية لانه مسؤول امام الله عن تلك الرعية التي سئل عنها ولا سيما في الجباية وعدم ايقاع الظلم عليهم لان الظلم ظلمات يوم القيامة فمن واجب الخليفة قدر استطاعته احقاق الحق ورفع الظلم ومحاسبة ولاته المسؤولين عن امر الجباية ولا يترك هذه الامور دون متابعة منه ومحاسبة ، ويتفرغ لارضاء شهواته واهوائه فانه مسؤول امام الله عن كل تقصير تجاه الرعية .

ولاجل وضع اسس شرعية للضرائب ومنها ضريبة الخراج لابد من المفاهيم الاسلامية ومن اجراءات الخلفاء الراشدين ومن توجهات الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ولكي تأخذ هذه

(١) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ٤٠٥/١ .

(٢) سورة التوبة ، الاية ٥٨ .

(٣) الغزالي ، مقامات العلماء ، ١٣٣ .

الآراء موضع الممارسات طلب الخليفة هارون من الامام أبي يوسف ان يضع له كتاباً جامعاً فيها وفي ذلك يقول الامام ابو يوسف :

(ان أمير المؤمنين أيده الله تعالى سألني ان ضع له كتاباً جامعاً يعمل به في جباية الخراج والعشور والصدقات والجوالي وغير ذلك مما يجب عليه النظر فيه والعمل به وانما اراد بذلك رفع الظلم عن رعيته والصالح لامرهم وفق الله أمير المؤمنين وسدده واعانه على ما تولى من ذلك وسلمه مما يخاف ويحذر)^(١) .

نلاحظ ان الامام أبا يوسف استغل هذه المناسبة ليقدم للخليفة موعظة بليغة ومؤثرة في أسلوبها البلاغي الذي الم بالمسائل الفقهية والمالية وذكر في مستهلها اهمية هذا الاجراء المالي وعلاقته في شد اواصر المحبة والقوة بين الخلفاء وعامة الرعية مما يعزز قوة الدولة عندما قال : (وانما اراد بذلك رفع الظلم عن رعيته والصالح لامرهم)^(٢) .

ونلاحظ ان الامام أبا يوسف عبر عن تأييده لذلك وسعادته ولفت انتباه الخليفة الى ان هذا الاجراء نابع من حرصه على خطورة هذا الامر وخوفه من الله تعالى وعدم الركون الى الدنيا والحكم بالهوى عندما قال : (قلدك أمر هذه الامة فأصبحت وأمسييت وانت تبني لخلق كثير قد استرعاكهم الله ... اذا اسس على غير التقوى ان يأتيه الله من القواعد فيهدمه على من بناه واعان عليه فلا تضيعن ما قلدك الله من أمر هذه الامة والرعية فان القوة بالعمل باذن الله)^(٣) .

وهو بحق وثيقة مالية اجتهد ابو يوسف في اخراجها بما يتوافق واحكام الشرع مع بعض الاجتهادات التي اقتضتها ظروف العصر وتطوراته^(٤) .

ركز رجال الوعظ على الخلفاء بتحسين سياستهم مع الرعية والامر باحقاق الحق ورفع الظلم عن الناس واجراء العدالة بين الناس واتباع النهج الاسلامي وسياسة الرسول ﷺ في نشر العدل والسلام وانصاف المظلومين ، يتضح ذلك من خلال موعظة جعفر بن حنظلة البهراني للمنصور بقوله :

(يا أمير المؤمنين ادركت عمر بن عبدالعزيز سنتين لن يتخذ مالا ولم ينشئ عينا ولم يستخرج ارضا ولم يصنع لبنة على لبنة ولا احصي كم من ولده تحمل الحملات وحمل على الخيل وولى هشام بن عبدالملك ثمان عشرة سنة ما منها سنة الا وهو ينشئ عيونا ويتخذ فيها

(١) ابو يوسف ، الخراج ، ٦٧-٦٨ ؛ غيداء خزنة كاتبي ، الخراج منذ الفتح الاسلامي حتى اواسط القرن الثالث الهجري الممارسات والنظرية (بيروت : ٢٠٠١) ١٧ .

(٢) ابو يوسف ، الخراج ، ٦٧-٦٨ .

(٣) السابق ، ٦٨ .

(٤) كاتبي ، الخراج ، ١٨٦ .

اموالاً ويقطع لولده القطائع ولا اعرف اليوم من ولده رجلاً يشبع فقال : والله لقد وعظت واحسنت قال جعفر ، ففرحت ان نجحت موعظتي في أمير المؤمنين^(١) .

يمكن ان نفهم من النص السابق ان التركيز كله كان على الخلفاء وتوجيههم وللاقتداء بالسلف الصالح الذين اهتموا بحماية حقوق الرعية واموالهم والسعي من اجل توفير الامان والراحة وحماية الاموال وتوفير العيش للناس وعدم خلق مجتمع طبقي في الدولة وهذا لا يأتي الا من خلال سياسة الخليفة تجاه الرعية والعمل بما يرضي الله ورسوله لاسعاد الرعية وتحصيل رضاها .

ثانياً : البعد الاقتصادي :

لم يقتصر الوعظ على جانب واحد وانما شمل جميع الجوانب ومن بينها المسائل التي تخص النفقة والصدقات وتحسين المستوى المعاشي للعامة والحفاظ على مالية الدولة وعدم التبذير والاسراف بغير وجه حق وتحقيق العدالة بين الناس حيث لم تكن يد الخليفة مطلقة بشكل كامل في التصرف باموال الدولة الا وفق ما جاء في القرآن الكريم والشرعة الاسلامية ، ويمكن ملاحظة تباعاً الامثلة التي تؤكد هذا القول من خلال معالجة الفقرات الآتية :

١ - قيام الخلفاء بمتابعة الموظفين الماليين والاشراف على عملهم من اجل سيادة العدل والانصاف :

ان من واجب الخليفة متابعة عماله وموظفيه عن كثب لانه مسؤول امام الله عن معاملة هؤلاء العمال مع الناس ومسؤول عن اموالهم والصالح العام ، حيث يذكر ان الخليفة أبا جعفر المنصور دعا بعمال من عماله قد كسر خراجه فقال له : (أد ما عليك قال : والله ما أملك شيئاً ونادى المنادي : اشهد ان لا اله الا الله قال : يا أمير المؤمنين هب ما علي معه وشهادة ان لا اله الا الله فخلى سبيله)^(٢) .

وولى الخليفة ابو جعفر المنصور رجلاً من اهل الشام شيئاً من الخراج فأوصاه وتقدم اليه فقال : ما أعرفتني بما في نفسك الساعة يا أخا أهل الشام تخرج من عندي فنقول الزم الصحة يلزمك العمل^(٣) .

وكذلك مارس الخليفة ابو جعفر المنصور الدور نفسه مع رجل من أهل العراق عندما ولاه خراج السواد حيث نصحه بان يتقي الله في عمله والا يعرض نفسه للعقوبة والمحاسبة^(١) .

(١) البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ٣٣٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، ٦٧/٨ .

(٣) الطبري ، تاريخ ، ٦٧/٨ .

وجاء في موعظة الامام الاوزاعي للخليفة المنصور ما يأتي :

(.... لقد بلغني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلاً من الانصار على الصدقة فرآه بعد ايام مقيماً فقال له : ما منعك من الخروج الى عملك ؟ اما علمت ان لك فيه مثل اجر المجاهدين في سبيل الله قال : لا قال : فكيف ذاك ؟ قال : لانه بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ها من وال يلي شيئاً من امور المسلمين الا اتى به يوم القيامة مغلوله يده الى عنقه فيوقف على جسر من النار فينتفض به الجسر انتفاضة يزيل بها كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب ، فان كان محسناً نجا بحسانه وان كان مسيئاً انخرق به ذلك الجسر فهو في النار سبعين خريفاً^(١)) ، فبكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال : واعمره من يتولاها بما فيها ، قال فبكى المنصور وجعل ينتحب حتى ابكى الحاضرين)^(٢) .

وقد كان للخلفاء دور كبير في انصاف المظلومين والانتصار لهم من عسف الموظفين الذين كان الخليفة يعينهم ولاسيما في الاماكن البعيدة عن مركز الخلافة وكان يسمع شكاوي الناس ومظالمهم ويأتي لهم بحقوقهم فمن ذلك كان المنصور جالساً يوماً للنظر في المظالم فدخل عليه رجل وقال :

(ان لي مظلمة ، واني اسألك ان تسمع مني مثلاً اضربه قبل ان اذكر مظلمتي قال : قل : اني وجدت الله عز وجل خلق الخلق على طبقات ، فالصبي اذا خرج الى الدنيا لا يعرف الا امه ولا يطلب غيرها فان فزع من شيء لجأ اليها ثم يرتفع عن ذلك طبقة فيعرف ان أباه اعز من امه فان فزع من شيء لجأ الى ابيه ثم يبلغ ويستحكم فان افزعه شيء لجأ الى سلطانه فان ظلمه ظالم انتصر به منه فاذا ظلمه السلطان لجأ الى ربه واستنصره وقد كنت في هذه الطبقات وقد ظلمني ابن نهيك في صنيعه لي في ولاية فان نصررتي عليه فاخذت بمظلمتي والا استنصرت الله تعالى ولجأت اليه فانظر لنفسك ما ترى : فقال ابو جعفر اول شيء فقد عزلت ابن نهيك عن ناحيته وأمر برد صنيعته)^(٣) .

مارس الخلفاء اسلوب محاسبة العمال وتعريضهم للعقاب اذا قصروا في عملهم ، فعلى سبيل المثال في سنة (١٨٤هـ / ٨٠٠م) اخذ الخليفة هارون الرشيد العمال واصحاب الضياع والمبتاعين للغلات والمقبلين وكانت عليهم اموال مجتمعة فولى مطالبتهم عبدالله بن الهيثم بن

(١) نفسه .

(٢) الحلبي وآخرون ، سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة ، رقم الحديث ٢٢٣٣٨ ، ١١/٩ .

(٣) الشيزري ، المنهج المسلك ، ٧٢٩-٧٣٠ ؛ الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٢٤/١ ؛ للمزيد انظر : الماوردي ، نصيحة الملوك ، ٣٨٦-٣٨٨ .

(٤) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ٢٢٢/٢ .

سام^(١) ففسى عليهم بالتعذيب وصادف ان أصيب الخليفة هارون الرشيد بمرض شديد ثم شفى من بعدها دخل عليه الفضيل بن عياض فرأى الناس يعذبون من أجل دفع ضريبة الخراج التي عليهم فقال للخليفة هارون الرشيد ونصحه ووعظه ان يرفع عنهم هذا تأسيّاً بما جاء في قول الرسول ﷺ :

(من عذب الناس في الدنيا عذبه الله يوم القيامة)^(٢)

فأمر الخليفة هارون الرشيد ان يرفع العذاب عن الناس فمنع تعذيب الناس حول دفع الضريبة منذ تلك السنة^(٣) .

٢ - اتفاق الاموال بوجهها الشرعي وعدم تبذيرها :

أكد الوعاظ دائماً على الاموال وطرائق استخدامها بوجهها الصحيحة وان الخليفة محاسب امام الله عن صرف هذه الاموال اذا كان الصرف لغير نواحي المصالح المرسله للعباد لان هذا الصرف هو من بيت مال المسلمين الذي هو من حق كل المسلمين فليس من حق الخليفة البذخ والترف وتحصيل المتعة من صرف هذه الاموال في مقابل ذلك يعاني المسلمون من الفقر والجوع والحرمان ولذلك كانت مهمة الوعاظ التذكير دائماً بهذا الموضوع للخلفاء لمنعهم من الانحراف عن جادة الصواب ويتخذون من السلف الصالح عبرة لهم .

ان الخليفة لم تكن له سلطة مطلقة في التصرف باموال المسلمين الا وفق ما جاء في القرآن الكريم والشريعة الاسلامية ، فقد سأل عباد بن كثير الخليفة أبا جعفر المنصور عن اموال بني امية التي اخذوها فان كانت هذه الاموال قد جمعت من الناس غضباً وظلماً فمن الواجب على الخلفاء العباسيين ردها الى اهلها ولا يجوز اخذها وان كانت فعلاً لهم فسوف يطالبون بها ويأتون بعدل الخليفة عمر بن عبدالعزيز حجة عليهم وطلب منه ان يجعل صحابته من العلماء الاتقياء امثال سفيان الثوري والامام الاوزاعي ، وعدم الميل الى وزرائه مثل أبي ايوب المورياني الذي لا يهمه سوى جمع المال^(٤) .

(١) عبدالله بن الهيثم بن سام : لم اقف له على ترجمة .

(٢) لم أعثر عليه في كتب الصحاح ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٤١٥/٢ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٤١٥/٢ .

(٤) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ١٣٥/٢ .

وكان من واجب المقربين للخلفاء وعظمهم بكيفية استخدام الاموال وعدم تبذيرها وصرفها بوجهها الصحيح لان الخليفة مسؤول امام الله عن الرعية وعن الاموال لانه سيحاسب عليها اذا كانت بغير وجهها الصحيح ، فعلى سبيل المثال روى ابراهيم بن المهدي قائلاً :

(كنت يوماً عند الرشيد فدعا طباخه فقال : اعندك في الطعام لحم جزور قال : نعم الوان منه فقال : احضره مع الطعام فلما وضع بين يديه فوضعها في فيه ، فضحك جعفر البرمكي فترك الرشيد مضغ اللقمة واقبل عليه قائلاً : لم تضحك ؟ قال : لا شيء يا أمير المؤمنين ، ذكرت كلاماً بيني وبين جارتى البارحة فقال له : بحقي عليك لما اخبرتني به فقال : حتى تأكل هذه اللقمة فאלقاها من فيه وقال : والله لتخبرني فقال : يا أمير المؤمنين بكم تقول ان هذا الطعام من لحم جزور يقوم عليك قال : باربعة دراهم قال : لا والله يا أمير المؤمنين بل باربعمئة الف درهم قال وكيف ذلك ؟ قال : انك طلبت من طباخك لحم جزور قبل هذا اليوم بمدة طويلة فلم يوجد عنده فقلت لا تملأون المطبخ من لحم جزور فنحن كل يوم جزور لاجل مطبخ أمير المؤمنين لانا لا نشترى من السوق لحم جزور فصرف لحم الجزور ذلك اليوم الى هذا اليوم اربعمئة الف درهم ولم يطلب أمير المؤمنين لحم جزور الا هذا اليوم قال جعفر فضحكت لان أمير المؤمنين انما له من ذلك هذه اللقمة فهي على أمير المؤمنين باربعمئة الف قال : فبكى هارون الرشيد بكاءً شديداً وأمر برفع السمساط من يديه واقبل على نفسه يوبخها^(١) .

يتبين مما سبق ان الخليفة على الاغلب في العصر العباسي الاول لم يكن مطلق التصرف بالاموال وان هناك من يحاسبه على بذخه وترفه واسرافه للاموال وانما من واجبه محاسبة نفسه وتصرفاته حسب ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ وبذلك يسود العدل والاطمئنان بين الناس .

وكان لهارون الرشيد واعظ مشهور هو ابو العباس محمد بن صباح العجلي المعروف بابن السماك ، وكان الرشيد يجله ويبالغ في احترامه وتقديره ، ويلاحقه بالمطالبة بالموعظة ، دخل عليه مرة ، فلما وقف بين يديه قال له : عطني يا بن السماك واوجز قال : كفى بالقرآن واعظاً - يا أمير المؤمنين ، قال الله تعالى :

(وَيَلِّ لِلطَّافِينَ اللَّائِينَ إِذَا كُنُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)^(٢) هذا يا أمير المؤمنين وعيد لمن طفف في الكيل فما ظنك بمن اخذه كله^(٣) ؟ .

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠/٢١٦ .

(٢) سورة المطففين ، الآية ١-٦ .

(٣) صالح ، مقالة المواعظ ، عبر الانترنت ، ٣ .

يتضح من خلال هذه الموعظة ان ابن السماك ينبه الرشيد على ضرورة صرف الاموال بوجهها الصحيح وعدم السيطرة عليها واخذها لنفسه لان ذلك فيه عقوبة عظيمة من الله تعالى لان الذي ينقص الميزان له الويل والثبور فكيف بالذي يسيطر عليها وياخذها لانها من حق المسلمين والرعية الذين هم بزمة الخليفة فعليه مراجعة نفسه قبل فوات الاوان فمهمة هؤلاء الوعاظ مهمة انسانية دينية هدفها الرجوع الى الله والاستغفار عن الذنب العظيم قبل فوات الفرصة .

٣- الحث على مراعاة احوال الناس المعاشية والاقتصادية :

يتضح البعد الاقتصادي للوعظ الديني في العصر العباسي الاول من خلال حث رجال الوعظ الخلفاء على ضرورة الاهتمام بالرعية والناس وتحسين مستواهم المعاشي والاقتصادي وضرورة تتبع احوالهم عن كثب ومعاينة الظالمين وانصاف المظلومين والوقوف الى جانب الضعفاء لانهم اصل المسؤولية الملقاة على عاتق الخلفاء فهم المسؤولون في الاول والاخير عن الرعية امام الله .

أتخاذ الوعاظ سيرة السابقين خير دليل على وعظ الخلفاء العباسيين وضرورة السير على نهجهم لقرب عهدهم برسول الله ﷺ وكان جل اهتمامهم بأمور الرعية والحفاظ على معيشتهم بطريق آمن واتباع الحلال في تحصيل سبل العيش وعدم فسح المجال امامهم لاتباع الطرق المحرمة في الحصول على لقمة العيش فعلى سبيل المثال يتضح مثل هذا في الموعظة التي وجهها احد العامة للخليفة أبي جعفر المنصور عندما قارن بينه وبين احد ملوك الصين الذي كان يبحث عن المظلومين ويعطيهم حقهم وكيف انه هو ابن عم رسول الله ﷺ ويكثر حوله المظلومين والفقراء والمساكين الذين بحاجة الى اموال وتحسين امورهم المعاشية وذكره بان يتعظ بالملوك الذين سبقوه والذين جمعوا الاموال فما اغنت عنهم من عذاب الله ، فبكى المنصور بكاءً شديداً ثم قال : (كيف اعمل والعلماء قد فرت مني والصالحون لم يدخلوا علي فقال : يا أمير المؤمنين افتح الباب وانتصر للمظلوم من الظالم وخذ المال مما حل واقسمه بالحق والعدل وانا ضامن من هرب منك يعود اليك)^(١) .

سلك رجال الوعظ طرائق مختلفة في سبيل تحقيق العدل والسير على النهج الاسلامي الصحيح ومراعاة حقوق الناس ورفع مستواهم المعاشي فمن ذلك دخل سفيان الثوري على الخليفة أبي جعفر المنصور في منى ووعظه في حكمه ومراعاة الناس وتحقيق العدل قائلاً :

(١) العصامي ، سمط النجوم ، ٢٥٥/٣ ؛ ابو الفدا ، المختصر ، ١١/٣ .

(..... حج الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فما انفق الا خمسة عشر ديناراً ، فاجابه المنصور : اتريد ان اكون مثلك ؟ قلت لا تكن مثلي ولكن كن دون ما انت منه وفوق ما انا فيه)^(١) .

وطلب الخليفة المهدي من الامام مالك ان يعظه فوعظه بتقوى الله واللفظ باهل بيت الرسول صلوات الله عليهم وبعدها أجزل المهدي العطاء لاهل المدينة كونها مدينة الرسول صلوات الله عليهم ^(٢) . وقد كان للامام مالك مواعظ حسنة بين يدي بعض الخلفاء والامراء عند ما ياتون الى الحجاز في موسم الحج وفيه قوله للخليفة هارون الرشيد : (لقد بلغني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان من فضله انه كان ينفخ لهم على الرماد (النار) تحت القدر حتى يخرج الدخان من لحيته وقد رضي الناس فكم يرون هذا)^(٣) .

من كل ما سبق يتضح لنا بان من واجب الخليفة مراعاة الوضع المعاشي والاقتصادي للناس بشكل عام والسعي قدر الامكان من اجل توفير سبل العيش والحياة الكريمة لهم تأسيساً بما كان يفعله الصالحون الذين سبقوه والذين كانوا يفضلون راحة الناس على راحتهم ، فلا يبذخون من اجل ملذاتهم ويتركون الناس يموتون جوعاً .

٤ - حث الخلفاء والاعنياء من الناس على التصدق والانفاق :

ان اختلاف وجوه المعيشة في المجتمع ابان العصر العباسي الاول اوجدت فئات فقيرة جداً وفئات متوفرة الامر الذي دفع الوعاظ دائماً الى تنبيه الخلفاء والاعنياء في المجتمع الى ضرورة التصدق والانفاق على الفقراء لتقليل الفوارق الطبقيّة ولحماية المجتمع من أي خلل قد يحول هؤلاء الفقراء الى لصوص او غير ذلك وهذا نهج اسلامي يجعل الفقير يحمي نفسه من الوقوع بالطريق الحرام لكسب لقمة العيش فعلى سبيل المثال وعظ عمرو بن عبيد الخليفة المنصور قائلاً :

(ان الله واقفك وسائلك عن مثاقيل الذر من الخير والشر وان امة محمد خصمائك يوم القيامة وانك لا ترضى لنفسك الا بان يعدل عليك فان الله لا يرضى منك الا بالعدل على رعيّتك يا أمير المؤمنين ان على بابك نيراناً تتأجج من الجور فبكي المنصور)^(٤) . ومنها موعظة بن ابي ذئب للمنصور سبق وان ذكرت في الصفحات السابقة تؤكد على ضرورة مساعدة الخلفاء للمسلمين ومدّهم بالاموال^(١) .

(١) الرازي ، الجرح والتعديل ، ١٠٥/١ .

(٢) ابو زهرة ، مالك ، ٧٩ .

(٣) نفسه .

(٤) البلاذري ، انساب ، ٢٣٤/٣ .

وقد نبه ابن ابي ذئب المنصور على ما فعله بالفقراء والمحتاجين وانه مسؤول امام الله عنهم وسيحاسبه على كل عمل قائلاً :

(أنت والله عندي شر الرجال استأثرت بمال الله ورسوله وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وأهلك الضعيف واتعبت القوي وامسكت اموالهم فما حجتك غداً بين يدي الله)^(١) .

وحدث الاصمعي الرشيد على التصديق للفقراء والمساكين بعد موعظة طويلة حيث يذكر ان الرشيد ارسل اليه في منتصف الليل فلما دخل عليه وجد في يده قرطاساً وهو يبكي بعد قراءة بيت شعر جاء فيه :

لم احتقب غير ايراد يمزقه

ريب الزمان لطول العهد والقدم

فاجابه الاصمعي : والله يا أمير المؤمنين لقد صدقت وهذا سبيل الناس جميعاً وطوبى للمتقين ، وطلب منه الرشيد ان يسمعه قصة فيها موعظة ونصيحة سمعها عن احد النفاة فقال له : كنا في البحر فمالت بنا السفينة الى جزيرة فاذا بقصر شاهق الى جانبه قبر وعلى القصر بابان وبين القصر والقبر بستان فيه نخيل لم أر شيئاً أحسن منها واذا على القبر شعر مكتوب فيه :

نؤمل دنيا لتبقى لنا

فمات المؤمل دون الأمل

وبات يروي اصول النخيل

فعاش النخيل ومات الرجل

وعلى باب القصر مكتوب :

وفتى كأن جبينه قمر الدجى

قامت عليه نوائح وأواويس

غرس النخيل مؤملاً لبقائه

فنما النخيل ومات عنه الفارس

فلم يزل الرشيد يبكي فلما اصبح أمر بتخصيص مال جليل على الفقراء والمساكين ويدفع الى الاصمعي عشرة الاف درهم^(٢) .

(١) ابن الجوزي ، المصباح المضيء ، ٤٠٤/١ .

(٢) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١٨٥/١ وما بعدها .

(٣) الغزالي ، مقامات العلماء ، ١١٥ .

ثالثاً : البعد الاجتماعي :

ارتبط الخلفاء والوزراء والامراء العباسيون بعلاقات اجتماعية متنوعة مع مختلف فئات المجتمع بما فيهم العلماء والوعاظ والزهاد ورجال الادب ولم تأت فرصة الا وقدم العلماء نصيحهم وارشادهم للخلفاء وفي الاوقات التي لا يكون اللقاء فيه ذاتابع رسمي او عملاً ادارياً وركزوا في مواعظهم على نقد مظاهر التحلل في المجتمع حيث اصبح المجتمع العباسي مجتمعاً مترقلاً زاحلاً بالثروة وبمظاهر الرفاه المختلفة ومن ناحية اخرى فان هذا المجتمع بات متفتحاً على مختلف الثقافات المحلية والوافدة ، كل ذلك اسهم في بروز مظاهر التحلل الاجتماعي باشكال وانماط مختلفة كانت كلها عرضة للنقد ودعوات الاصلاح ومن ذلك :

١ - نقد التحلل الخلقي ومهاجمته :

لقد وجدت بعض المحرمات طريقها الى المجتمع من زنا وشرب خمر وما الى ذلك من مظاهر اخرى وكان للافراط في استخدام الجواري والغلمان نتائج سلبية على بنية المجتمع الاخلاقية فمثلاً حاول عدد من الناس اقناع الخليفة المأمون بان زواج المتعة حلال فانبرى في رد ذلك الفقيه يحيى بن اكثم (ت ٢٤٢هـ / ٨٥٦م) وهو من اصحاب الامام الشافعي في اقناع الخليفة بانه حرام وزنا استناداً الى ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية . ونصح الوزير يعقوب بن داود الخليفة المهدي بعدم شرب النبيذ الذي كان موضع خلاف بين الفقهاء وهل هو حلال ام حرام والابتعاد عن سماع اغاني الجواري لانها حرام وتقسي القلب وتبعده عن الله والعبادة وفي ذلك قال بعض الشعراء :

فدع عنك يعقوب بن داود جانباً

وأقبل على صهباء طيبة النشر^(١)

ووعظه شبيب بن شيبه قائلاً :

(عليك بنقوى الله والعفو عند المقدرة ومخالفة الهوى)^(٢) .

وكان عدد من الوعاظ يطوف في الاسواق للوعظ وكانت غايتهم ذم الدنيا وكشف خداع مظاهرها وكبح جماح شهوة النفس وذم التكالب على جمع المال وكانوا يستخلصون وشائج هذه

(١) ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ٨٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٤٨/١ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، ٣٩٤/٢ .

الغاية من روح الدين الحنيف ، وقد اثرت هذه الروح على طائفة من الشعراء مثل أبي العتاهية^(١)

فضلاً عن التفاوت الطبقي في المجتمع العباسي فقد أثار عقول الوعاظ نقد اعمال الخلفاء وتصرفاتهم التي يقومون بها وكيف انهم ييذخون ويسرفون على انفسهم وعلى ملذاتهم في حين كانت الطبقات العامة والفقيرة تعيش الحرمان فكان من واجب الوعاظ تنبيه هؤلاء على هذه الاعمال التي لا تزيدهم الا بعداً عن الله .

كان للوعاظ دور كبير في نقد وتشخيص عدد من المظاهر الاجتماعية السيئة فعلى سبيل المثال روى لقاضي ابو يوسف انه حضر عند الخليفة هارون الرشيد يوماً فقدم من الطعام ما يحتاج الى ملعقة وصاحب المائدة قد غفل عنها فغضب الرشيد على الرجل فقال ابو يوسف : (يا أمير المؤمنين روى عن جدك ابي العباس عبدالله بن عباس في قوله تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)^(٢) وان هذا التكريم يخص جميع المخلوقات يأكل بفمه الا ابن آدم فإنه يأكل بيده فأتى بالملعة فأخذها وكسرها وقال : صدق جدي)^(٣) .

وظهر دور رجال الوعظ واضحاً في مناسبات الحزن فقد وعظ شبيب بن شيبة الخليفة المهدي عند وفاة ابنته سنة (١٦٩ هـ / ٧٨٥ م) فكانت احسن تعزية وبلغ موعظة :

(يا أمير المؤمنين ما عند الله خير لها منك وثواب خير لك فيها وانا اسأل الله ان لا يحزنك ولا يفتنك وان يعطيك على ما رزئت اجراً ويعقبك صبراً ولا يجهد لك بلاء ولا ينزع منك نعمة وأحق فاصبر عليه ما لا سبيل الى ربه)^(٤) .

وتوفي للخليفة هارون الرشيد ابن فحزن عليه حزناً شديداً ووعظه العلماء ونصحوه بالصبر ولكنه استمر في حزنه والمه الى ان دخل عليه رجل مخنث وقال له : (أتأذن لي في الكلام قال : تكلم : فكشف عن رأسه وقام بين يديه وقال : يا أمير المؤمنين انا رجل وقد تشبهت بالنساء كما ترى فأني شيء كنت تصنع لو كان ابنك في الاحياء وكان على صورتي ؟ فانتعظ به واخرج النواحات من الدار)^(٥) .

٢ - نقد مظاهر البذخ والاسراف ودعوة اصحابها للالتزام بالمنهج الشرعي في السلوك والتعامل :

(١) ديوان أبي العتاهية ، ٤٦٥ وما بعدها .

(٢) سورة الاسراء ، الآية ٧٠ .

(٣) الغزالي ، مقامات العلماء ، ٩١-٩٢ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ٨٧/٦ .

(٥) ابو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، ١٣٠/٢ .

سعى الوعاظ دائماً وفي كل وقت يروونه مناسباً الى تنبيه الخلفاء وتذكيرهم بحق الله وانهم محاسبون على كل تصرف وانهم مسؤولون أمام الله عن الرعية ولذلك فان حالة الترف والبذخ التي خالطت حياة الخلفاء قادت الى من يردعهم ويذكرهم بها ، فعلى سبيل المثال عندما سافر عبدالله بن الحسن أبا العباس الخليفة العباسي الاول بظاهر مدينة الانبار ، وهو ينظر الى بناء قد بناه فقال ابو العباس له : هات ما عندك يا ابا محمد فأنشده :

ألم تر مالكا لما تبنى بذاء نفعه لبن بقبله
يرجى ان يعمر عمر نوح وأمر الله يحدث كل ليلة^(١)

وذكر الاصمعي انه لما زخرف الرشيد مجالسه وزينها وضع فيها طعاماً كثيراً أرسل الى الشاعر المعروف أبي العتاهية وقال له : صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال :

عش ما بدا لك سالماً
في ظل شاهقة القصور
يسعى عليك بما اشتبهت
لدى الرواح وفي البكور
واذا النفوس تقعقت
في ضيق حشجة الصدور
فهناك تعلم موقنا
ما كنت الا في غرور

فبكى الرشيد : فقال الفضل بن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فأحزنته فقال الخليفة الرشيد : دعه فانه رآنا في ضلالة وعمى فكره ان يزيدنا عمى^(٢) .

وظهر دور الامام سفيان الثوري في موعظة المهدي عندما ساله كم انفق في حجة : فأجابه بأنه لا يعرف لان لديه أمناء ووكلاء يحسبون له كم انفق فقال له : سفيان الثوري : فما عذرك غداً إذا وقفت أمام الله فسألك عن ذلك فالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حج سأل غلامه كم انفقت قال له : ثمانية عشر ديناراً فأجابه ويحك لقد اجحفنا بيت مال المسلمين^(٣) .

(١) الجاحظ ، التاج ، ٨١ .

(٢) ابن الجوزي ، المصباح ، ١٧٧/٢ ؛ الطرطوشي ، سراج الملوك ، ٣٠ .

(٣) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ٥١ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٢٢٧/٧ .

وهذه الموعظة جاءت بعد معاينة سفيان الثوري مظاهر البذخ والاسراف التي هيأها المهدي للحج فحاول ان يذكر بسيرة السلف الصالح وكيف انهم كانوا يحاسبون انفسهم على كل درهم يصرفونه لانهم محاسبون امام الله عن هذه الاموال لانها من بيت مال المسلمين . هذا فضلاً عن مظاهر البذخ في بناء القصور الشاهقة والمتعددة ومجالس اللهو والغناء والشرب والولائم والزواج والختان وغيرها^(١) .

من هنا نلاحظ ان مظاهر المجون ونزعة اللهو كانت اكثر حدة بين المترفين ومن حولهم فلفروق الاجتماعية بين طبقات المجتمع لم تكن قليلة وانما كانت فروقاً كبيرة جداً ، طبقة مترفة وطبقة فقيرة بئس ما اتاح الفرصة امام طوائف النساك والزهاد للوعظ فكان منهم من اتجه الى الخلفاء لوعظهم واتخذ عدد منهم حلقات في المساجد ومنهم من كان يطوف في الاسواق^(٢) .

(١) للمزيد انظر محمد عويس ، المجتمع العباسي ، ٣٤٧-٣٧٧ .

(٢) السابق ، ٤٤١ .

الخاتمة

من ابرز الملامح التي كشفتها هذه الدراسة ان الوعظ الديني عملية مزدوجة ، بل هي عملية ترغيب وترهيب للسير وفق الشريعة الاسلامية التي هي بحد ذاتها منهاج شمولي للحياة الدنيا والاخرة ، فاذاً هي ترغيب وترهيب اولاً و آخراً لان من خلال هذه العملية يتم الاصلاح .

ان هذا المشروع تضمن جانباً حركياً تمثل في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحولت هذه القاعدة الشرعية في التعامل الى ممارسة عملية واقعية تقوم سلوك الافراد والامة والسلطة الحاكمة ، وكان لهذه القاعدة جانب تنظيمي واسع في بعض الاحيان تمثل في ظهور جماعات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي تصدت لحركة العيارين والشطار في العصر العباسي .

وقد يبدو ان فاعلية هذا المشروع وحجم تأثيره لم يكن كبيراً جداً قياساً لحاجة واقعا اليوم ذلك أن حجم التغيير الذي كان مطلوباً في حينه ليس كبيراً قياساً لما نحتاجه اليوم الى تغيير واقعا ، فقد كانت سلطة الحكم إسلامية شرعية تعمل بموجب أحكام الشريعة الإسلامية في جوانب الحياة كافة ، ولكن رافق ذلك حالات لزيغ والانحراف والجور والظلم ولم يكن ذلك كلياً شمولياً بل كان جزئياً محدوداً فجاء مشروع التغيير متناسباً مع هذه الحاجة .

إرتكز الوعظ الديني على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في استقامة الجوانب المنحرفة وتصحيحها في المجتمع حيث كان للزهاد تأثير كبير في تغيير الجوانب المنحرفة من المجتمع والتنبيه إليها في كل مناسبة وحلقة علمية .

وكان للشعر والشعراء أثر في وعظ وتنبيه الخلفاء والولاة على كثير من الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المجتمع ، مما أدى الى ظهور طبقة من الوعاظ تمتلك الشجاعة لقول الحق امام الخلفاء والوزراء والولاة ونقدهم من دون تردد .

وقد كانت المواعظ تركز على ان الدنيا فانية وغير خالدة وتنبه الى عدم الركون اليها ، وان الدار الآخرة هي الباقية ، كما كان للقصص تأثير روحي على الخلفاء والولاة والعامة من الناس في استقامة الجوانب المنحرفة .

لقد جاء الوعظ مشروعاً إصلاحياً بأنماطه المختلفة نبهت اليها الدراسة كما تضمن اتجاهات عديدة أستهدفها بالتقويم ، لذا أستهدف إصلاح بنية السلطة وإصلاح بنية المجتمع ، ثم إصلاح شريحة العلماء نفسها .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً : المخطوطات :

الفاسي : محمد بن احمد بن علي الحسيني

- ١- تحصيل المرام في تاريخ البلد الحرام ، مخطوطة ، جامعة الموصل ، المكتبة المركزية ، مايكروفيلم رقم ٣٦١ .

ثانياً : المصادر الاولية :

الابشيهي : شهاب الدين محمد بن احمد ابو الفتح (ت ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م)

- ٢- المستطرف في كل فن مستظرف ج ٢ ، الطبعة الاخيرة ، مطبعة مصطفى الباني الحلبي واولاده (القاهرة : ١٩٥٢) .

ابن أبي اصبيحة : موفق الدين أبو العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) .

- ٣- عيون الانباء في طبقات الاطباء ، شرح وتحقيق : الدكتور نزار رحنا (بيروت : ١٩٦٥) .

ابن أبي الربيع : شهاب الدين احمد بن محمد بن ابي الربيع (ت ٢٧٢هـ / ٨٨٥م) .

- ٤- سلوك المالك في تدبير المالك ، تحقيق : ناجي التكريتي ، الطبعة الثالثة ، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد : ١٩٨٧) .

ابن الاثير : عز الدين علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) .

- ٥- الكامل في التاريخ (١٢) جزء ، دار بيروت للطباعة والنشر (بيروت : ١٩٦٥) .

ابن الاثير : محب الدين المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) .

- ٦- النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : محمود الطناحي (بيروت : ١٩٧٩) .

ابن الاخوة : محمد بن محمد بن احمد القرشي (ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م) .

- ٧- معالم القرية في احكام الحسبة ، عنى بنقله وتصحيحه روبن ليوى ، مطبعة دار الفنون (كمبرج : ١٩٣٧) .

الاريلي : عبدالرحمن سنيط قنيتو (ت ٧١٧هـ / ١٣١٧م) .

٨- خلاصة الذهب المسبوك ، مختصر من سير الملوك ، تصحيح ، مكّي السيد جاسم ، مكتبة المثنى (بغداد : د/ت) .

الازدي : أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م) .
٩- تاريخ الموصل ، تحقيق : الدكتور على حبية (القاهرة : ١٩٦٧) .

الاسكافي : محمد بن عبدالله (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م) .
١٠- لطف التدبير ، تحقيق : احمد عبدالباقي ، بغداد / القاهرة : ١٩٦٤) .

الاصبهاني : أبو نعيم احمد بن عبدالله (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م) .
١١- حلية الاولياء وطبقات الاصفياء (١٠) اجزاء ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب العربي (بيروت : ١٩٦٧) .

الاصطخري : أبو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت / في النصف الاول من القرن الرابع الهجري) .
١٢- المسالك والممالك ، تحقيق : محمد جابر عبدالعال الحسيني ، مطابع دار القلم (القاهرة : ١٩٦١) .

الاصفهاني : أبو الفرج علي بن حسين بن محمد الكاتب (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م) .
١٣- الاغاني (٢٣) جزءاً ، المطبعة البوليسية ، دار الثقافة (بيروت : ١٩٥٥) .

البخاري : أبو محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م) .
١٤- صحيح البخاري ، طبعة جديدة مضبوطة ومصححة ومفهرسة ، الطبعة الاولى ، دار ابن كثير (دمشق - بيروت : ٢٠٠٢م) .

برد : بشار بن برد .
١٥- ديوان بشار بن برد ، ناشره ومقدمه وشارحه ومكمله : الاستاذ السيد محمد الطاهر بن عاشور ، علق عليه : رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين (القاهرة : ١٩٥٠) .

البغدادى : عبدالقاهر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) .

١٦- الفرق بين الفرق ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، مطبعة المدني (القاهرة : د/ت) .

البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) .

١٧- أنساب الاشراف (٣) اجزاء ، تحقيق : عبدالعزيز الدوري ، دار فرنسيس شتايز (بيروت : ١٩٧٨) .

البلخي : مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ / ٧٦٧م) .

١٨- الاشباه والنظائر في القرآن الكريم ، دراسة وتحقيق : الدكتور عبدالله محمود شحاتة (القاهرة : ١٩٧٥) .

البيروني : ابو الريحان محمد بن احمد (ت ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) .
١٩- الاثار الباقية عن القرون الخالية ، مكتبة المثنى (بغداد : د/ت) .

البيهقي : ابراهيم بن محمد (ت ٣٢٠هـ / ٩٣٢م) .
٢٠- المحاسن والمساوئ (بيروت : ١٩٦٠) .

الترمذي : ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٩٧هـ / ٩٠٩م) .
٢١- الجامع الصحيح ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، الطبعة الاولى (بيروت : ١٩٨٧) .

ابن تعريز بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) .
٢٢- النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة (١٢) جزءاً ، دار الكتب (القاهرة : ١٩٦٦) .

أبو تمام : حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٢٨هـ / ٨٤٢م) .
٢٣- ديوان أبي تمام ، شرح وتعليق : شاهين عطية ، المطبعة الادبية (بيروت : ١٩٨٩) .

التميمي : أبو ايوب محمد بن احمد بن تميم (ت ٣٣٣هـ / ٩٤٤م) .
٢٤- كتاب المحن ، تحقيق : يحيى وهيب الجبوري ، الطبعة الثانية ، دار المغرب الاسلامي (بيروت : ١٩٨١) .

التنوخي : أبو علي المحسن بن أبي القاسم (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م) .

- ٢٥- الفرغ بعد الشدة ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، مكتبة المثنى ، الطبعة الاولى (بغداد : ١٩٥٥) .
- ٢٦- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (٨) أجزاء ، تحقيق : عبود الشالجي ، دار ارساد (بيروت : ١٩٧٣) .
- التوحيدي : أبو حيان علي بن محمد بن علي (ت ٤١٤ هـ / ٩٩٠ م) .
- ٢٧- البصائر والذخائر (٤) مجلدات ، تحقيق : الدكتور ابراهيم الكيلاني ، مطبعة الانشاء (دمشق : ١٩٦٤) .
- ٢٨- الامتاع والمؤانسة (٣) أجزاء ، تحقيق : احمد أمين واحمد الزين ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر (بيروت : ١٩٥٣) .
- ٢٩- الهوامل والشوامل : (١٠٥ مسألة) ، تحقيق : أحمد أمين والسيد أحمد صقر (القاهرة : ١٩٥١) .
- الثعالبي : أبو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م) .
- ٣٠- برد الاكباد في الاعداد (القسطنطينية : ١٣٠١ هـ) .
- ٣١- تحفة الوزراء ، تحقيق : حبيب علي الراوي والدكتورة ابتسام مرهون الصفار ، مطبعة العاني (بغداد : ١٩٧٧) .
- ٣٢- خاص الخاص (بيروت : ١٩٦٦) .
- ٣٣- لطائف المعارف ، تحقيق : ابراهيم الانباري وحسن كامل الصيرفي ، دار احياء الكتب العربية .
- ٣٤- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الفكر للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية (القاهرة : ١٩٥٦) .
- الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) .
- ٣٥- البيان والتبيين ، الطبعة الثانية (القاهرة : د/ت) .
- ٣٦- التاج في اخلاق الملوك ، تحقيق : احمد زكي باشا ، الطبعة الاولى (القاهرة : ١٩١٤) .
- ٣٧- ثلاث رسائل ، تحقيق : يوشع فنكل (القاهرة : ١٣٨٢ هـ) .
- ٣٨- الحيوان ، تحقيق : عبدالسلام هارون (القاهرة : ١٩٦٥) .
- ٣٩- المحاسن والاضداد ، تحقيق : فوزي عطوان (بيروت : ١٩٦٩) .
- الجهشياري : ابو عبدالله محمد بن عبدوس (٣٣١ هـ / ٩٤٢ م) .

- ٤٠- الوزراء والكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا و ابراهيم الابياري ، الطبعة الاولى ، مطبعة مصطفى البابي واولاده (القاهرة : ١٩٣٨) .
- ابن الجوزي : عبدالرحمن بن علي بن محمد بن جعفر (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) .
- ٤١- تلبيس ابليس ، عنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه : المطبعة المنيرية بمساعدة بعض علماء الازهر ، مكتبة الدعوة الاسلامية (د/م : ١٣٦٨هـ) .
- ٤٢- الحدائق في علم الحديث والزهديات ، حققه وعلق عليه : مصطفى السبكي ، الطبعة الاولى (بيروت : ١٩٨٨) .
- ٤٣- ذم الهوى ، تحقيق : مصطفى عبدالواحد ، مراجعة : محمد الغزالي ، دار الكتب الحديثة ، مطبعة السعادة (د/م : ١٩٦٢) .
- ٤٤- الشفاء في مواظ الملوك والخلفاء ، تحقيق : فؤاد عبدالمنعم ، الطبعة الاولى ، المطبعة العصرية (الاسكندرية : ١٩٧٨) .
- ٤٥- صفة الصفوة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد (الهند : ١٩٦٨) مطبعة دار المعرفة ، الطبعة الرابعة (بيروت : ٢٠٠١) .
- ٤٦- صيد الخاطر (مصر : د/ت) .
- ٤٧- القصاص والمذكرين ، تحقيق : الدكتور مارلين سوارتز ، دار المشرق (بيروت : ١٩٧١) .
- ٤٨- المصباح المضىء في خلافة المستضى ، تحقيق : ناجية عبدالله ابراهيم ، مطبعة الاوقاف (بغداد : ١٩٧٦) .
- ٤٩- مناقب الامام احمد بن حنبل ، الطبعة الاولى ، دار الآفاق الجديدة (بيروت : ١٩٧٣) .
- ٥٠- المنتظم في اخبار الملوك والامم (بغداد : ١٩٩٠) .
- ٥١- المواعظ والمجالس ، تحقيق : عاطف صابر شاهين ، دار المنار للطباعة والنشر (القاهرة : ١٩٧٧) .
- الحسيني : أبو بكر بن هداية الله (ت ١٠١٤هـ / ١٦٠٥م) .
- ٥٢- طبقات الشافعية ، تحقيق : عادل نويهض ، الطبعة الثانية ، دار الآفاق الجديدة (بيروت : ١٩٧٩) .

- ابن حنبل : احمد (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) .
- ٥٣- الورع (القاهرة : ١٣٤٠ هـ) .
- ٥٤- المسند (علي الحاسوب : مجموعة الكتب التسعة) .
- ابن حنبل : ابو الفضل صالح بن احمد بن حنبل (ت ٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م) .
- ٥٥- سيرة الامام احمد بن حنبل ، تحقيق : الدكتور فؤاد عبدالمنعم احمد ، مؤسسة شباب الجامعة (الاسكندرية : ١٩٨١) .
- الخطيب البغدادي : الحافظ أبو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) .
- ٥٦- تاريخ بغداد (١٤ جزءاً ، دار الكتاب العربي (بيروت : د/ت) .
- ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) .
- ٥٧- المقدمة (القاهرة : د/ت) .
- ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) .
- ٥٨- وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان (٨ أجزاء ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر (بيروت : ١٩٧٧) .
- ابن خياط : أبو خليفة بن خياط بن شباب العصفري (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) .
- ٥٩- تاريخ خليفة بن خياط (جزآن) ، تحقيق : اكرم ضياء العمري ، الطبعة الاولى ، مطبعة الآداب (النجف الاشرف : ١٩٦٧) .
- الديار البكري : حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦ هـ / ١٥٥٩ م) .
- ٦٠- تاريخ الخميس في احوال أنفس نفيس ، مؤسسة الشعب (بيروت : د/ت) .
- الدمشقي : الشيخ محمد جمال الدين القاسمي .
- ٦١- موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين ، دار العلوم الحديثة (بيروت : ١٩٧٩) الطبعة الاولى ، الطبعة الثانية ، مطبعة منير (بغداد : ١٩٨٦) .

الدينوري : أبو حذيفة أحمد بن داؤد (٢٨٢هـ / ٨٩٥م) .
٦٢- الاخبار الطول ، تحقيق : عبدالمنعم عامر ، مراجعة جمال الدين الشيال ، الطبعة الاولى ، دار احياء الكتب العربية (القاهرة : ١٩٦٠) .

الذهبي : شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) .
٦٣- تذكرة الحفاظ ، الطبعة الاولى ، دار احياء التراث العربي (بيروت : د/ت) .
٦٤- سير اعلام النبلاء ، تحقيق : حسين الاسد (بيروت : ١٩٨١) .
٦٥- العبر في خبر من غير ، تحقيق : (ابو المهاجر) محمد بن السعيد بن بليون ، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٩٨٥) .
٦٦- ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٤) اجزاء ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، الطبعة الاولى ، دار احياء الكتب العربية (القاهرة : ١٩٦٣) .

الرازي : أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي (ت ٣٢٧هـ / ٩٣٨م) .
٦٧- كتاب الجرح والتعديل ، الطبعة الاولى ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد (الهند : ١٩٥٢) .

الرازي : فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر (ت ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م) .
٦٨- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة (د / م : ١٩٨٥) .

الزبيدي : أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٧٩هـ / ٩٨٩م) .
٦٩- لحن العوام ، تحقيق : رمضان عبدالنواب (القاهرة : ١٩٦٤) .

الزجاجي : أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق (ت ٣٤٠هـ / ٩٥١م) .
٧٠- مجالس العلماء ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، مطبعة حكومة الكويت (الكويت : ١٩٦٢) .

الزمخشري : أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م) .
٧١- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل (طهران : د/ت) .

- زين الدين بن تقي الدين بن عبد الرحمن الخطيب .
- ٧٢- محاسن المساعي في مناقب الامام ابي عمرو الاوزاعي ، تعليق : شبيب أرسلان (بيروت : ١٩٦٧) .
- السبكي : تاج الدين أبو النصر عبدالوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م) .
- ٧٣- طبقات الشافعية الكبرى ، دار المعرفة للطباعة (بيروت : د/ت) .
- ابن سعد : محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) .
- ٧٤- الطبقات الكبرى (بيروت : ١٩٥٧) .
- السلمي : ابو عبدالرحمن محمد بن الحسن بن محمد (ت ٤١٢هـ / ١٠٢١م) .
- ٧٥- طبقات الصوفية ، الطبعة الثالثة ، مطبعة المدني (القاهرة : ١٩٨٦) .
- السمعاني : الامام ابو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور بن محمد (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م)
- ٧٦- الانساب (١٠) أجزاء ، تحقيق : عبدالرحمن بن يحيى العلمي ، الطبعة الثانية (بيروت : ١٩٨٠) .
- السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) .
- ٧٧- تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، الطبعة الاولى (مصر : ١٩٥٢) .
- الشابشتي : أبو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨م) .
- ٧٨- الديارات ، تحقيق : كوركيس عواد ، الطبعة الثالثة (بيروت : ١٩٨٦) .
- الشعراني : عبدالوهاب .
- ٧٩- الطبقات الكبرى ، مكتبة محمد علي صبيح واولاده ، ميدان الازهر .
- الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن ابي بكر بن احمد (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م) .
- ٨٠- الملل والنحل (٣) أجزاء ، تحقيق : عبدالعزيز محمد الوكيل ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، مؤسسة الحلبي وشركاؤه (القاهرة : ١٩٦٨) .

- الشيرازي : ابراهيم بن علي بن يوسف (ت ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م) .
- ٨١- طبقات الفقهاء ، تحقيق : الدكتور احسان عباس (بيروت : ١٩٨١) .
- الشيزري : عبدالرحمن بن عبدالله بن نصر بن عبدالرحمن (ت ٥٨٩هـ / ١١٩٣م) .
- ٨٢- المنهج المسلوك في سياسة الملوك ، تحقيق : علي عبدالله موسى ، الطبعة الاولى (الزرقاء : ١٩٨٧) .
- الصولي : أبو بكر (ت ٣٣٥هـ / ٩٤٥م) .
- ٨٣- أخبار الراضي بالله والمتقي بالله ، تحقيق : هيورت (بيروت : ١٩٧٩) .
- الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) .
- ٨٤- تاريخ الرسل والملوك (١٠) أجزاء ، تحقيق : محمد (أبو الفضل) ابراهيم ، دار المعارف (القاهرة : ١٩٦٦) .
- الطرطوشي : أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري (ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م)
- ٨٥- سراج الملوك ، بوبّ وعلق الفاظه بمعرفة المكتبة المحمودية التجاري بميدان الجامع الازهر بمصر (القاهرة : ١٩٣٥) .
- ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م) .
- ٨٦- الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية (بيروت : د/ت) .
- ابن طيفور : أبو الفضل احمد بن طاهر الكاتب (ت ٢٨٠هـ / ٨٩٣م) .
- ٨٧- كتاب بغداد ، صححه : العلامة المحقق الكبير محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، راجعه : السيد عزت العطار الحسيني (القاهرة : ١٩٤٩) .
- ابن عبد البر : ابو عمر يوسف بن عبدالله محمد بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) .
- ٨٨- الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي (القاهرة : د/ت) .
- ابن عبد ربه : أبو عمر احمد بن محمد الاندلسي (ت ٣٢٧هـ / ٩٣٨م) .
- ٨٩- العقد الفريد ، الطبعة الثالثة (القاهرة : ١٩٦٥) .

- أبو العتاهية : اسماعيل بن القاسم (ت ٢١١ هـ / ٨٢٦ م) .
٩٠- ديوان أبي العتاهية (بيروت : ١٩٦٤) .
- العسقلاني : ابن حجر شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) .
٩١- تقريب التهذيب ، تحقيق : عبدالوهاب عبد اللطيف ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة (بيروت : ١٩٧٥) .
٩٢- تهذيب التهذيب (بيروت : ١٩٦٨) .
- العصامي : عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي المكي (ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) .
٩٣- سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي ، المطبعة السلفية ومكتبتها (د/م : د/ت)
ابن العماد الحنبلي : ابو الفلاح عبدالحى بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) .
٩٤- شذرات الذهب في اخبار من ذهب (٤) مجلدات ، دار الكتب العلمية (بيروت : د/ت) .
- ابن العمراني : محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) .
٩٥- الانباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق : الدكتور قاسم السامرائي ، نشریات المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية القاهرة (لايدن : ١٩٧٣) .
- الغزالي : الامام أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) .
٩٦- احياء علوم الدين (مصر : ١٣٠٩ هـ) .
٩٧- التبر المسبوك في نصيحة الملوك ، الطبعة الاولى ، مكتبة الملكيات الازهرية (القاهرة : ١٩٦٨) .
٩٨- مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والامراء ، تحقيق : محمد جاسم الحديثي ، الطبعة الاولى ، دار الحرية للطباعة (بغداد : ١٩٨٨) .
- أبو الفداء : عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ م) .
٩٩- المختصر في اخبار البشر (٣) اجزاء (بيروت : ١٩٥٩) .
- ابن الفقيه الهمداني : ابو بكر محمد بن محمد (ت ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م) .
١٠٠- بغداد مدينة السلام ، الطبعة الاولى ، وزارة الاعلام (بغداد : ١٩٧٧) .

- أبو الفيض : السيد محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني .
١٠١- جمهرة الاولياء وأعلام أهل التصوف ، الطبعة الاولى (القاهرة : ١٩٦٧) .
- القاضي عياض : عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م) .
١٠٢- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك (جزآن) ، تحقيق : الدكتور احمد بكير محمود ، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت : ١٩٦٥) .
- ابن قتيبة الدينوري : أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) .
١٠٣- الامامة والسياسة (جزآن) ، الطبعة الاولى ، مطبعة مصطفى الباني الحلبي واولاده (مصر : ١٩٣٧) .
- ١٠٤- المعارف ، تحقيق : الدكتور ثروت عكاشة ، الطبعة الثانية ، دار المعارف (مصر : د/ت) .
- القشيري : أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة القشيري النيسابوي الشافعي (ت ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م) .
١٠٥- الرسالة القشيرية ، تحقيق : الدكتور عبدالحليم محمود ومحمود بن الشريف ، الطبعة الاولى ، دار الكتب الحديثة (القاهرة : ١٩٦٦) .
- القفطي : جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) .
١٠٦- تاريخ الحكماء ، تحقيق : جوليوس ليبيرت مصور بأوفست مكتبة المثنى ببغداد عن طبعة ليزك ١٩٠٣ (بغداد : ١٩٠٣) .
- القلقشندي : احمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) .
١٠٧- صبح الاعشى في صناعة الانشا (١٣) جزءاً ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، الطبعة الاولى ، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٩٨٧) .
- القيرواني : أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري (ت ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م) .
١٠٨- زهر الاداب وثمر الالباب ، تحقيق : محمد علي البجاوي (القاهرة : ١٩٣٥) .

ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) .
١٠٩- البداية والنهاية في التاريخ (١٠) اجزاء ، الطبعة الاولى (بيروت : ١٩٦٦) .

الكندي : ابو عمر محمد بن يوسف المصري (ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م)
١١٠- كتاب الولاة والقضاة ، صحيح : فن كت ، مطبعة الادباء اليسوعيين
(بيروت : ١٩٠٨) .

ابن ماجة : ابو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م)
١١١- سنن ابن ماجة (جزآن) ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، مطبعة دار احياء الكتب
العربية ، دار الحديث للنشر (القاهرة : د/ت) .

مالك : الامام مالك بن انس (ت ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م)
١١٢- رسالة الامام مالك في السنن والمواعظ والآداب ، الطبعة الاولى (مصر : ١٩٣٧) .

الماوردي : ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م)
١١٣- نصيحة الملوك ، تحقيق محمد جاسم الحديثي ، دار الحرية للطباعة ، دار الشؤون
الثقافية العامة (بغداد : ١٩٨٦)

المتقي الهندي : علاء الدين
١١٤- كنز العمال (حيدر اباد : ١٩٥٤)

ابن المرتضى : احمد بن يحيى (ت ٨٤٠ هـ / ١٤٣٧ م)
١١٥- طبقات المعتزلة ، تحقيق : سوسنة ديفلد فلزر ، المطبعة الكاثوليكية (بيروت : ١٩٦١)
المسعودي : ابوالحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م)
١١٦- مروج الذهب ومعادن الجوهر (٤) اجزاء ، الطبعة الرابعة دار الاندلس للطباعة والنشر
(بيروت : ١٩٨١)

مسلم : الامام مسلم ابو الحسين بن الحجاج القشيري (ت ٢١٦ هـ / ٨٧٤ م)
١١٧- صحيح مسلم (١٦) جزءاً ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، مطبعة دار احياء الكتب
العربية (القاهرة : ١٩٥٥) .

ابن المعتز : عبدالله

١١٨ - طبقات الشعراء ، تحقيق : عبدالستار احمد مزاج (القاهرة : ١٩٨١) .

المقدسي : طاهر بن مطهر (ت ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م)

١١٩ - البدء والتاريخ ، تحقيق : كلمان هوار (باريس : ١٩١٦) .

المقريزي : احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)

١٢٠ - كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك (٣) اجزاء ، تصحيح : محمد مصطفى زيارة ، الطبعة

الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة : ١٩٥٦) .

المكي : ابو طالب (ت ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م)

١٢١ - علم القلوب ، تحقيق : عبدالقادر احمد عطا (القاهرة : ١٩٦٤) .

ابن منظور : محمد بن مكرم بن علي بن احمد الانصاري (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)

١٢٢ - لسان العرب ، دار بيروت للطباعة والنشر (بيروت : ١٩٥٦) .

ابن النديم : ابو يعقوب محمد بن اسحق (ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م)

١٢٣ - الفهرست ، دار المعرفة (بيروت : ١٩٧٨)

النسائي : ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب

١٢٤ - السنن الكبرى ، تحقيق : الدكتور عبدالغفار سليمان البغدادي (بيروت : ١٩٩١) .

أبو نؤاس

١٢٥ - ديوان أبي نؤاس برواية الصولي ، تحقيق : الدكتور بهجت عبد الغفور الحديثي

(بغداد : ١٩٨٠) .

النويري : شهاب الدين احمد عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)

١٢٦ - نهاية الارب في فنون الادب ، طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ،

المؤسسة المصرية العامة (د/م : د/ت) .

النيسابوري : الامام الحافظ ابو عبد الله محمد بن عبد الله
١٢٧- المستدرك على الصحيحين ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ،
الطبعة الثانية (بيروت : ٢٠٠٢) .

ابن هشام : ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري (ت ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) .
١٢٨- السيرة النبوية (جزآن) ، تحقيق : مصطفى السقا واخرين (بيروت : د/ت) .

الوطواط : ابو اسحاق برهان الدين الكتبي (ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م)
١٢٩ - غرر الخصائص (بيروت : د/ت) .

وكيع : محمد بن خلف بن حيان (٣٠٦ هـ / ٩١٨ م)
١٣٠- اخبار القضاة (بيروت : د/ت) .

اليافعي : ابو محمد عبد الله بن سعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م)
١٣١- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، الطبعة الثانية (د/م :
١٩٧٠) .

ياقوت الحموي : ابو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي
(ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) .

١٣٢- معجم الادباء ، سلسلة الموسوعة العربية ، الطبعة الاخيرة ، دار احياء التراث العربي
(بيروت : د/ت) .

١٣٣- معجم البلدان (٥) اجزاء ، دار صادر ، دار بيروت (بيروت : ١٩٥٥) .

اليقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) .

١٣٤- تاريخ اليعقوبي (٣) اجزاء ، دار صادر ، دار بيروت (بيروت: ١٩٦٠) .

١٣٥- مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق : وليم ميلورد (بيروت : ١٩٦٢) .

ابو يوسف : يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م)

١٣٦- الخراج ، تحقيق : الدكتور احسان عباس ، الطبعة الاولى ، دار الشرق
(بيروت : ١٩٨٥) .

ثالثاً : المراجع الحديثة :

ابراهيم : ناجية عبدالله

١٣٧- ريف بغداد ، الطبعة الاولى (بغداد : ١٩٨٨) .

ابو زهرة : محمد

١٣٨- مالك حياته وعصره ، اراؤه ، فقهه ، الطبعة الثانية (القاهرة : د/ت) .

ابوت :

١٣٩- ملكتان في بغداد ، ترجمة : عمر ابو النصر (بيروت : ١٩٦٩) .

آدمز :

١٤٠- اطراف بغداد ، ترجمة : صالح احمد العلي (بغداد : ١٩٨٤) .

امين : احمد

١٤١- ضحى الإسلام (٣) اجزاء ، الطبعة العاشرة ، دار الكتاب العربي (بيروت : ١٩٣٥-١٩٣٦) .

الآلوسي : عادل محي الدين

١٤٢- الرأي العام في القرن الثالث الهجري (بغداد : ١٩٨٧) .

باتون :

١٤٣- احمد بن حنبل والمحنة ، ترجمة : عبد العزيز عبد الحق (القاهرة: د/ت) .

البدراني : عزالدين هشام بن عبدالكريم .

١٤٤- النظام السياسي بعد هدم دولة الخلافة -دراسة شرعية (موصل : ٢٠٠٣) .

بالدنديه :

١٤٥- الانثروبولوجيا السياسية ، ترجمة : جورج ابي صالح (بيروت : ١٩٨٦) .

البطائنة : محمد ضيف الله .

١٤٦- الحضارة الاسلامية (عمان : ٢٠٠٢) .

تشجيفيكيا : بوجينا غيانة

١٤٧- تاريخ التشريع الاسلامي ، الطبعة الاولى (بيروت : ١٩٨٠) .

الجابري : محمد عابد

١٤٨- العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الاولى (بيروت : ١٩٩٠) .

١٤٩- الدين والدولة وتطبيق الشريعة ، الطبعة الاولى ، سلسلة الثقافة القومية ، قضايا الفكر العربي (بيروت : ١٩٩٦) .

جب : هاملتون

١٥٠- دراسات في حضارة الإسلام ، ترجمة احسان عباس وآخرون (بيروت : ١٩٧٤) .

الجبوري : عبد الله

١٥١- الامام الاوزاعي ، حياته ، واراؤه وعصره ، دار الرسالة للطباعة (بغداد : ١٩٨٠) .

الجومرد : عبد الجبار

١٥٢- الاصمعي ، حياته واثاره (بيروت : ١٩٥٥) .

حسن : محمد عبد الغني

١٥٣- الخطب والمواعظ ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف (القاهرة : ١٩٨٠) .

حسيب : عبد المجيد

١٥٤- عبدالله بن المبارك ، الطبعة الاولى (عمان : ١٩٧٢) .

الخطبي : علي حسن علي

١٥٥- سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة ، الطبعة الاولى (الرياض : ١٩٩٩) .

حلمي : مصطفى

١٥٦- نظام الخلافة في الفكر الاسلامي (القاهرة : ١٩٥٧) .

الخولي : امين

١٥٧- اصلاح الوعظ الديني ، الطبعة السابعة (بيروت : ١٩٦٩) .

الدوري : عبد العزيز

١٥٨- دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، مطبعة السريان (بغداد : ١٩٤٥) .

١٥٩- الجذور التاريخية للشعبوية ، الطبعة الاولى ، دار الطليعة (بيروت : ١٩٦٢) .

١٦٠ - مقدمة في التاريخ الاقتصادي (بيروت : ١٩٨٠) .

ديبور :

١٦١- تاريخ الفلسفة في الإسلام ، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريذة

(القاهرة : ١٩٣٨) .

رحمة الله : مليحة

١٦٢- الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، مطبعة الزهراء

(بغداد : ١٩٧٠)

رستم : عبد السلام

١٦٣- ابو جعفر المنصور (القاهرة : ١٩٦٤) .

رفاعي : احمد فريد

١٦٤- عصر المأمون ، الطبعة الرابعة ، مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة ، ١٩٢٨) .

رودنستون :

١٦٥- الإسلام والرأسمالية (بيروت : ١٩٨٢) .

الزركلي : حيز الدين

١٦٦- الاعلام ، الطبعة الثالثة (بيروت : ١٩٦٩) .

السامرائي : كمال

١٦٧- دراسات في الحسبة والمحتسب عند العرب (بغداد : ١٩٨٨) .

السباعي : مصطفى

١٦٨- السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي (دمشق : ١٩٦٠) .

سعد : فهمي عبد الرزاق

١٦٩- العامة في بغداد (بيروت : ١٩٨٣) .

السمان : محمد عبدالله

١٧٠- كتاب سلسلة الثقافة الاسلامية ، المكتب الفني للنشر .

السيد : جاسم عزيز

١٧١- متصوفة بغداد (بغداد : ١٩٩٠) .

شاكر : محمود

١٧٢- التاريخ الاسلامي / الدولة العباسية ، الطبعة السادسة (بيروت : ٢٠٠٠) .

الصابوني : محمد علي

١٧٣- صفوة التفاسير ، دار القرآن الكريم (بيروت : د/ت) .

الصالح : صبحي

١٧٤- النظم الاسلامية (بيروت : ١٩٧٨) .

الطهطاوي : عبد الرحيم

١٧٥- هداية الباري إلى ترتيب صحيح البخاري ، دار الرائد العربي ، الطبعة الرابعة (بيروت :

١٩٧٠) .

ضيف : شوقي

١٧٦- تاريخ الادب العربي في العصر العباسي الاول ، دار المعارف بمصر ، طبعة ثانية

منقحة (القاهرة : ١٩٦٦) .

عاشور وآخرون : سعيد عبد الفتاح

١٧٧- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، الطبعة الثانية ، دار ذات السلاسل (الكويت : ١٩٨٦) .

العاني : حسن فاضل زعين

١٧٨- سياسة المنصور الداخلية والخارجية (العراق : ١٩٨١) .

عبدالباقي : ابراهيم

١٧٩- ذخيرة الواعظ ، الطبعة الاولى ، مطبعة الفجالة (القاهرة : ١٩٦٧) .

١٨٠- درة الواعظين ، مطبعة الاستقامة (القاهرة : ١٩٦٣) .

عبدالباقي : فؤاد

١٨١- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم (بيروت : د/ت) .

عطا الله : رشيد يوسف

١٨٢- تاريخ الاداب العربية ، تحقيق : علي نجيب عطوي ، الطبعة الاولى (بيروت : ١٩٨٥) .

عطوان : حسين

١٨٣- الشعراء والصعاليك (بيروت : ١٩٧٢) .

عمارة : محمد

١٨٤- المعتزلة واصول الحكم (بغداد : ١٩٨٤) .

عويس : محمد

١٨٥- المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ (القاهرة : ١٩٧٧) .

فهد : بدري محمد

١٨٦- العامة في بغداد في القرن الخامس الهجري (بغداد : ١٩٦٧) .

فوزي : فاروق عمر

١٨٧- بحوث في التاريخ العباسي (بغداد : ١٩٧٧) .

١٨٨- الخلافة العباسية في عصر القوة والازدهار (عمان : ٢٠٠٣) .

١٨٩- الخليفة المجاهد هارون الرشيد ، الطبعة الاولى ، وزارة الثقافة والاعلام (د/م : ١٩٨٩) .

١٩٠- طببعة الدعوة العباسية ، مكتبة الفكر العربي (بغداد : ١٩٨٧)

القبال : موسى

١٩١- الحسبة المذهبية في بلاد المغرب نشأتها وتطورها ، الطبعة الاولى (الجزائر : ١٩٧١) .

القرني : احمد حسين

١٩٢- المبرد ، حياته وآثاره ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (القاهرة : ١٩٧١) .

القرني : عائض عبد الله

١٩٣- لا تحزن ، الطبعة الثالثة (بيروت : ١٩٩٩) .

كاتبي : غيداء خزنة

١٩٤- الخراج منذ الفتح الاسلامي حتى اواسط القرن الثالث الهجري ، الممارسات والنظرية (بيروت : ٢٠٠١) .

كاهن : كلود

١٩٥- تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، نقله إلى العربية : الدكتور بدر الدين قاسم ، الطبعة الاولى ، دار الحقيقة (بيروت : ١٩٧٢) .

الكبيسي : حمدان عبد المجيد

١٩٦- أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي (١٤٨ هـ - ٣٣٤ هـ / ٧٦٣ - ٩٤٥ م) دار الحرية للطباعة (بغداد : ١٩٧٩) .

الكروي : ابراهيم سلمان

١٩٧- المرجع في الحضارة العربية الاسلامية ، الطبعة الثانية ، منشورات ذات السلاسل (الكويت : ١٩٨٧) .

الليثي : سميرة مختار

١٩٨- الزندقة والشعوذية وانتصار الإسلام والعروبة عليها ، المطبعة الفنية (القاهرة : ١٩٦٨) .

متز : آدم

١٩٩- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، نفعه إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة ، الطبعة الرابعة (بيروت : ١٩٦٧) .

محمود : زكي نجيب

٢٠٠- تجديد الفكر العربي ، الطبعة الرابعة ، دار الشروق (القاهرة : ١٩٧٨) .

مصطفى : شاکر

٢٠١- دولة بني العباس (جزآن) ، الطبعة الاولى ، مطبعة خالد بن الوليد (دمشق : ١٩٧٣)

الملاح : هاشم يحيى

٢٠٢- الوسيط في السيرة (موصل : ١٩٩٦) .

النجار : محمد رجب

٢٠٣- الشطار والعيارون في التراث العربي (الكويت : ١٩٨٩) .

النص : احسان

٢٠٤- الخطابة العربية في عصرها الذهبي ، دار المعارف (مصر : ١٩٦٣) .

نوري : موفق سالم

٢٠٥- الامام سفيان الثوري (٩٧-١٦١ هـ / ٧١٥-٧٧٨ م) دراسة تاريخية ، الطبعة الاولى (بغداد : ٢٠٠٤) .

٢٠٦- مدخل إلى الثقافة الإسلامية (موصل : ٢٠٠٤) .

رابعاً : الرسائل الجامعية

اسماعيل : محمد حامد

٢٠٧- اسفار الخلفاء العباسيين خارج الحاضرتين بغداد وسامراء (١٣٢ هـ - ٣٣٤ هـ / ٧٤٩ - ٩٤٥ م) رسالة دكتوراه غير منشورة (موصل : ١٩٧٧) .

البدراني : جاسم علي جاسم

٢٠٨- الوفادات على الخلفاء الامويين (٤١-١٣٢ هـ / ٦٦١ - ٧٤٩ م) رسالة دكتوراه غير منشورة (موصل : ١٩٩٩) .

الجبوري : احمد اسماعيل عبد الله

٢٠٩- علاقة الخلافة العباسية بالعلماء في العصر العباسي الاول (١٣٢ هـ - ٢٤٧ هـ / ٧٤٩ - ٨٦١ م) رسالة دكتوراه غير منشورة (موصل : ١٩٩٧) .

ذنون : فارس محمود

٢١٠- المكانة الاجتماعية للفقهاء في العراق في العصر العباسي ، رسالة ماجستير غير منشورة (موصل : ١٩٨٩) .

عمر : فائز طه

٢١١- النثر الصوفي في الادب العربي إلى نهاية القرن الخامس الهجري ، رسالة دكتوراه غير منشورة (موصل : ١٩٩٠) .

نوري : موفق سالم

٢١٢- العامة والسلطة في بغداد (١٤٥ - ٣٢٤ هـ / ٧٦٢-٩٣٥ م) رسالة دكتوراه غير منشورة (موصل : ١٩٧٧) .

خامساً : البحوث والمقالات :

ابن علي : محمد

٢١٣ - اعلام الهداية ، عبر الانترنت ، www.coogle.com .

الحمارنة : صالح

٢١٤- عمرو بن عبيد وعلاقته بابي جعفر المنصور ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثاني والعشرون (بغداد : ١٩٨٢) .

صالح : محمود عبد الرحيم

٢١٥- مقالة في المواعظ ، عبر الانترنت ، www.coogle.com .

الدوري : عبد العزيز

٢١٦- نشوء الاصناف والحرف في الإسلام ، مجلة كلية الاداب ، العدد الاول (بغداد : ١٩٥٩) .

السيد : رضوان

٢١٧- اشكاليات التوحيد والانتقام في المجال العربي والاسلامي ، مجلة الاجتهاد ، العدد التاسع عشر ، السنة الخامسة (بيروت : ١٩٩٣) .

صالحية : محمد عيسى

٢١٨- مؤدبو الخلفاء في العصر العباسي الاول ، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، العدد الخامس ، المجلد الثاني ، ١٩٨٢ .

فوزي : فاروق عمر

٢١٩- الخلفاء والفقهاء - نظرة تاريخية في المظاهر السياسية العباسية ، مجلة افاق عربية ، العدد الثاني عشر (بغداد : ١٩٨٠) .

كرافولسكي : دوروتيا

٢٢٠- اهل السنة والجماعة من خلال المصادر ، مجلة الاجتهاد ، العدد التاسع عشر ، ١٩٩٣ .

ماسينيون : لويس

٢٢١- مادة (زندق) دائرة المعارف الاسلامية (١٤) جزءاً ترجمة محمد ثابت الفندي وآخرون ، ١٩٣٣ .

ماكدونالد : خورشيد

٢٢٢- مادة شعوبية ، دائرة المعارف الاسلامية (١٤) جزءاً ترجمة محمد ثابت الفندي وآخرون ، ١٩٣٣ .

ناغل : تلمان

٢٢٣- مسألة اهل السنة في الإسلام البكر ، مجلة الاجتهاد ، العدد التاسع عشر ، ١٩٩٣ .

نوري : موفق سالم

٢٢٤- الاوضاع السياسية في بغداد عند اقامة المأمون في مرو (١٩٨-٢٠٤ هـ / ٨١٤ - ٨١٩ م) مجلة كلية المعلمين ، بحث مسئل ، العدد الحادي والعشرون (بغداد : ٢٠٠٠) .

الوشمي : عبد الله صالح

٢٢٥- صحيفة الحياة اللندنية ، العدد ١٤١٧٣ ، عبر الانترنت ، www.coogle.com .

اليوزيكي : توفيق سلطان .

٢٢٦- العيارون والشطار ، مجلة رسالة الخليج ، العدد الثامن عشر (الرياض : ١٩٨٤) .

سادساً : المراجع الاجنبية :

227- Hassan Ibrahim Hassan , Islam (Beirut : 1967) .

228- George . Stewart , Is the caliph apope mw , Vol XXI , No. II , 1931 .

229- Goldaziher , Muslim studies (London : 1967) .

230- Schach , An Introduction to Islamic Law (Oxford : 1966) .

231- Lewis , Abbassids in (E. I (2) 1/15.23)

ABSTRACT

(Abstract)

We have chosen the topic of Religious preaching in the First Abbasyid Age (A Historical study) for such a topic has got an importance from religious, political, economic and social points of view . it has its own clear impact upon private class of Caliphates, ministers and princes hearing the preacher and Calling for scientists in order to remind them with the responsibility thrown upon their shoulders and establishing justice and Islamic Law in judgement , urging them to what has been said by the Quran and prophets' speech's .

As for the popular class , there are councils of storrians which are held inside mosques , houses and markets . They are the best places to remind those of what has been mentioned in the Holy Book and prophet . speeches, reminding them of the other life , paradise , hell and the privileges of Islamic law .

Therefore, and in order to show and explain the topic and its importance , the dissertation includes an introduction and some chapters . we have illustrated in the introduction the meaning of preaching in language and expression and its meaning in Quran and prophet letters and speehs as well as the characteristics that the preacher should have .

As for the first chapter , it deals with the discussions of the first beginnings of the emergence of preaching since the beginning of Islam during the era of prophet till the end of Omayyad Age .

The second chapter sheds light on the general positions in the first Abbasyid Age which are considered the basis for finding preaching and preachers . It is about political , economic , social , and intellectuel aspects and what have been familiar in spending especially among the rich . This has created a sort of class difference inside the society and a reason for attracting divoted people towards the court guiding and advising the ruling elite with the Quran and Sina for they are responsible infront of God for their manner towards the people . It is necessary for them to be committed by Quran and Sina and doing them correctly .

The third chapter speaks about types of preaching in particular the caliphs , their sons , ministers, princes and those who are close to them, reminding them to return to God before day of reckoning .

ABSTRACT

The forth chapter, we speak about types of preaching for common people and methods of preaching the most famous preachers whom they have a clear role in this age .

The fifth chapter, we talk about implications of preaching that included (escalating the effectiveness of conscience including religious dimension and intellectual dimension and what these two aspects have impacts upon the class of caliphs .

Finally , we have concentrated in the sixth chapter upon the project of reforming the nation politically , economically and socially .

We have some conclusions for this research and that the religious preaching is notonly a pure idea of cause and effect , an aspect of desire . It is also a project of reforming the nation and the character of the caliph by preachings presented to him as well as setting up judgement on a straight and rightful basis in order to please God by practicing its holy book and the Sina of the prophet Mohammed Also , there should be a sort of reformation inside the state and to watch the behaviour of the caliph .

Religious Preaching In First Abbasyid Age (A Historical Study)

**A Dissertation
Presented by Khawla Mahmood Mohammd Ali
AL- Sumaydau**

**To
The council of college of Arts , University
of Mosul As A partial Fulfillment for The
master Degree In Islamic History**

**Subervised by
Dr . Muwafk Salim Noori**
